جسر النهايات

تأليف

محمود طاهر

إهداء

إلى قلباً فقد الكثير ،..

إلى قلباً لن يعود.

حكاية من أغرب الحكايات اللي ممكن تسمعها في حياتك، حكاية صعب تتكرر في عصر أو زمن حول بداية كل علاقة بـ **Send** و ختمها بـ **Block** أصبحت العلاقات كلها بتبدأ بكلمة الكل بيقولها لكن قليل جداً اللي يحسها بكل حروفها الغريب إن الحكاية دي أبطالها مش من وحي الخيال عاشوا كل دقيقة فيها من صراعات ولحظات رومانسية وحروب نفسية وفكرية وبالرغم إن في حكايات كتير إتعاشت وتحولت لأفلام الكل لسه فاكرها إلا إن دي الحكاية الوحيدة اللي فشلوا في إنهم يظهروا مشاعر كل لحظه فيها ومش هيقدروا يوصفوا الوصف الدقيق لكل لحظه إتعاشت وبالرغم إنهم حاولوا لكن فشلوا والغريب في فشلهم إن الحكاية لما تحولت لفيلم نجحت وعملت ضجه في المجتمع ونقد من أطراف كتير لكن الحاجة الوحيدة اللي إتقفوا عليها هى إن معظم العلاقات بقيت مجرد كلام والحكاية دي الوحيدة اللي اثبتت إن الحب درجات.

2015

ذهبت إلي غرفتي ثم ظللت أبحث عن المفتاح فتذكرت أنني قد وضعته في علبة الذهب الصغيرة التي في دولاب ملابسي الخاص، فتحت العلبة وأخذته ثم اقتربت من دولابه وعند فتحي له هبت رائحة تفوح بالذكريات من ملابسه القديمة، وقفت لدقائق انظر لملابسه ومبتسمه إبتسامه هادئه جداً، ادخلت يدي بين ملابسه فأمسكت بالظرف المخبئ في جيب قميصه القديم وفتحته وأخذت برسالة وتركت الآخرى وضعت الظرف في مكانه، وقفت قليلاً انظر إلي ملابسه وأنا ما بين الحزن والإبتسامه واغلقت عيني وتمنيت الزمان يعود ليوم واحد فقط ثم خرجت من الغرفه..

- خد إقرأ الكلام ده ..

امسك بالرساله وقرأ..

أنا انسان فاشل، انتهي مستقبله وانتهى معه كل شئ، كل الذي تمنيته لم يحدث منه شئ ودائما اعيش وحدي منعزلا عن العالم، وحدي في كل شئ، من كثرة الاشياء التي أراها في حياتي اصبحت أتأثر بأقل كلمه وبسببها اشعر بأنني اريد أن أبكي ولكن أحاول أن أخفي دموعي حتى لا تظهر أمام أحداً ويظهر معها ضعفي وقلة حيلتي أو حتى لا يقل لي احداً "ماذا بك" وأرد عليه الرد الطبيعي وأقول:"لا شئ" توجد أشياء كثيره دفنت بداخلي، أشياء كانت تتنفس الا أن غطاها التراب، ضلوعي تسكنها العناكب بخيوطها ورائحه السجائر والخمر بفمي، أنا لم أكن أود ان أكون هذا الشخص، أريد الرجوع الي نفسي ورشدي، أريد أن أنام وأنا مرتاح البال وأعيش حياتي كما كنت، أريد أن أرجع الي نفسي

أحببت إنسانة لم أكن أتوقع في يوم بأن حبي سيفوق كل الحدود، حب لها أضاع حياتي، كنت متأكد بأنني امسكها بيدي جيداً ولكنها أختفت كقطعت الثلج وهي تذوب في يدي إلي أن تحولت إلي ماء، وسقط الماء من بين يدي وأنا أقف مستسلما، أنا إنسان كان يتمنى أن يتنفس، لا أعلم لمن أكتب هذا الكلام؟ نسيت نفسي وانا اجري وراء قلبي، نسيت الكثير، كان يجب على ان أخذ حذري من كل شئ، نسيت كل من حولي وحاولت جاهداً أن أرضي قلبي فقط أما عن عقلي فهو في إجازة مفتوحة، أنا...

– هى الرسالة دي مالهاش تكمله! أصلها خلصت على أنا..!

أخدت منه الرسالة وطبقتها.

– هتعرف باقي الرسالة وهتعرف حاجات كتير أوي أنت ماكنتش تعرفها ولا كانت هتخطر على بالك..

لوكيشن التصوير..

– إيه دا إنتي واخداني نتفرج على فيلم ؟

– اتفرج وأنت ساكت ..

المخرج : أكشن ..

– مش قولتلك إنك كتير عليا؟

– عمري ما كنت كتير عليكي عارفه، لما تفرحي ببقى عاوز أكون سبب فرحتك ولما تتخنقي ببقى عاوز أكون أنا سبب راحتك ولما تتعبي لازم أكون أنا اللي بشاركك تعبك أصل "أنا إنتي"..

المخرج: استوب، استوب.. مش هينفع كده أنا عاوز الإحساس في الكلام، المشاعر، فين المشاعر! يا إستاذ المفروض إنك بتحبها، أنت جعان اجيبلك تأكل!

– لأ، بحاول والله اتقمص الشخصية..

– شخصية إيه؟ أنت عمرك ما حبيت!

– أكيد حبيت، خلاص هحاول مرة كمان..

– وإنتي إيه؟ المفروض ملامح وشك تبقى أرق من كدا وإنتي بتسمعي كلام وبتردي عليه وبتقولي إنت كتير عليا!

– ما أنا بحاول أنا كمان..

– لأ يا جماعة فركش مش هكمل النهاردة خلاص أنا تعبت ..

المنتج: أنا بخسر فلوس يا جماعة حد يكلم المخرج ده ما ينفعش كده!

المخرج: اعملك أنا إيه؟ أنتوا عاوزين فيلم وأنا عاوزه بإحساس وبحاول والممثلين مش عارفين يساعدوني ..

عندما أدرك المخرج بأنني موجوده في لوكيشن التصوير إلتفت لي وقال بصوتٍ عالٍ ملفت ليلفت إنتباه الكَاست..

– أنتي إيه رأيك في اللي شوفتيه دا! هو نفس اللي حصل؟

– لأ، خالص..

– يبقى يا تغيروني يا تيجبوا ناس بتعرف تمثل ..

اقترب مني وقبل يدي بكل إجلال واحترام وقال:

شرفتينا والله وأنا أسف جداً على اللي حصل قدامك دا وأوعدك إن لو فضلت أنا المخرج هحاول على قد ما أقدر لإن قبل ما تكون قصة دي قضية مجتمع وناس كتير بتقع فيها، بكره في تصوير أتمنى تكوني موجودة، مين اللي معاكي دا ؟

– دا أخويا طارق عنده 23 سنة..

– أهلاً طارق منور..

– نورك يا...

– اسمي يوسف أو قولي يا جو، أنا مضطر امشي وبكره مستنيكم ثانية هكتبلك العنوان اللي هنصور فيه..

ثاني يوم تصوير ..

ذهبتُ أنا وطارق إلى العمارة التي قال لنا عنها المخرج، ثم صعدنا إلى الشقة التي بالعنوان ودخلنا نبحث عن المخرج ولما وجدناه تحدثنا قليلاً ثم وقفنا نشاهد تصوير مشهد في غرفة النوم..

المخرج: أكشن..

– شكلك أول مرة ..

– لأ أول مرة إيه، أنتي هتشوفي بنفسك .

– طب مش هتقلع ولا هنقضيها أحاسيس ؟!

– لأ لأ، هقلع اهو ..

خلع الجاكت والقميص والفانلة و وقف أمامها بالبنطلون وهى واقفة تنظر إليه ويداها الاثنتان على خصرها ثم قالت:

– أجيلك أقلعك أنا طيب لو مكسوف !

المخرج: استوب، لو سمحتي أنا عاوزك تدلعي أكتر من كدا، مش عاوز أقول لفظ مش كويس، امم عاوزك تهزي في جسمك وأنتي واقفه إزاي معرفش وأنت حضرتك بتبُص على إيه في جسمها إحنا جايين نمثل مش جايين نغري حضرتك يعني..

عيد المشهد من تاني ..

شاهدنا المشهد يعاد أكثر من عشرة مرات ...

وبعد محاولاتهم التي باءت بالفشل أخذت طارق وخرجنا من لوكيشن التصوير..

– أنا نفسي أعرف إيه علاقة اللي إنتي جيباني فيه دا بالجواب!

– بُص يا طارق الموضوع مش سهل زي ما أنت متخيل أنا مُمكن اقولهولك في ساعة وينتهي، دي حياة أشخاص عاشوها وصعب تفهم غير لما تعيش تفاصيل كل شخص فيهم وحياته..

بعد ساعتين من رجوعنا كلاً منا أنا وطارق ذهب إلي غرفته لينام، استيقظت باكراً الساعة 7 صباحاً على إتصالاً من المخرج..

– أخبارك إيه؟!

– كويسة.. وحضرتك ؟

– أنا كويس، حضرتك مشيتي بسرعة إمبارح وماقولتيش رأيك عن المشهد!

– لأ بس تعبت شويه وطارق كمان كان عاوز يمشي ..

– طب النهاردة في تصوير مشهد على البحر على الساعة 5 المغرب ياريت تيجي.

– حاضر وربنا يوفقكم وهتقدروا تعملوا حاجة كويسة..

أغلقت الهاتف مع المخرج ثم ذهبت إلي الحمام و خرجت لأحضر الفطار ..

جلسنا أنا وطارق على سفرة الفطار..

– هتيجي معايا تصوير النهاردة؟

– بقولك إيه ما تسيبك من حوار التصوير دا وتحكيلي أنتي ؟!

– مش هينفع تعالى بس نروح وتشوف بنفسك يمكن تفهم حاجة..

وصلنا مكان التصوير متأخرين عن الموعد، وقفنا كالعادة أنا وطارق بجانب المخرج ثم نظرت خلفي ورأيت أناساً كثيرين يشاهدون الممثلين وهم يقومون بدور الأطبال، يقومون بتمثيل مشاهد الفيلم..

– أنا عندي 12 سنة وحط عليهم كمان 12 سنة يبقوا 24 سنة وده سن عقلي إنما السن اللي الكل بيؤمن بيه في البطايق واللي الحكومة معترفه بيه فهو زي ما قولتلك 12 سنة، أنا ماليش أم ولا أب تقدر تقول فتحت عنيا..

– استوب استوب استوب، يا إبني أنت طفل، مشرد ليه بتتكلم وكإنك متربي وسط عيله، عاوز اشوف طفل مشرد قدامي وعاوز اشوف إحساس التمني في عيونه، مش الكلام بس اللي بيوصل بالعكس الملامح ونظرات العيون بتوصل الكلام من غير ما تقوله بلسانك، حاول تركز..

أصابني الملل مثل كل مرة أذهب فيها إلي لوكيشن التصوير بسبب سماعي إلي المخرج وهو يقول "استوب" لن يستطيعوا أن ينتهوا من تصوير الفيلم بهذه الطريقة، أخذت طارق من يده وذهبنا نأكل في مطعم "تيكنوفود" ونحن جالسين رأى طارق صورة في المطعم لفتت إنتباهه ..

– إيه دا ؟

إبتسمت وأنا اشرب القهوة وقلت: إشرب عصيرك وتعالى نروح البيت ومتسألش كتير..

– إيه اللي جاب الناس دي في الصورة ؟!

لما وصلنا إلى المنزل ظل طارق يفكر ويحاول أن يربط الأحداث ببعضها البعض وبعد محاولاته فشل.

الشريط الأول

الساعة 1:30 ظهراً

في المنزل

ماما ماشوفتيش فين ميدالية المفاتيح بتاعتي ؟

- لا والله يا إبنيأ بُص شوفها كده في الهدوم اللي أخدتها من الأوضة عشان اغسلها هتلاقيها في الحمام !

- الحمام؟ حمام إيه يا ماما ؟! أنتي بتهزري يا ستي!

قولتلك مليون مرة أنا اللي عارف فين الهدوم اللي مش نضيفه من النضيفة ليه كدا بس ياماما بعد إذنك متعمليش كده تانى، ممكن!

ماما بصوت كله عصبية:

ولاااا، بقولك إيه أنت كمان مش عاجبك إن أنا بغسلك هدومك وقرفك؟

لو مش عاجبك شوفلك خدامه تخدمك وتغسلك هدومك وتأكلك..

بعد سماعي لكلام أمي كان من الطبيعي أن اقول:

-أنا أسف يا ماما حقك عليا

دخلت الحمام طلعت هدومي من الغسيل وفضلت أدور على ميدالية المفاتيح بعد ما لقيتها في جيب البنطلون دخلت الأوضة، فتحت درج المكتب بالمفتاح وطلعت دفتر مُذكراتى..أحضرت القهوة وأغلقت على نفسي الباب من الداخل..

فتحت دفتري الذي أكتب فيه كل شيء عني، أكتب كل شيء أياً كان إيجابياً أو سلبياً، أكتب ذكرياتي منذ صغري، ذكرياتي المضحكه والمحزنه..

امسكت القلم ومن أول السطر، كتبت:

أنا قلب من ضمن قلوب كتير بيدور على الحُب، الحُب اللي يستمر لآخر الطريق..

بدور على قلب يحسنى ويحس بكل حاجه فيا.

بدور على قلب وسط قلوب كتير..

بيقولوا إن اللي مش بيدور على الحاجة بيلاقيها ولو بيدور عليها عمره ماهيلاقيها لكن أنا مش مُقتنع بالمثل ده لإن لازم أدور على القلب اللي نفسي أعيش معاه، صحيح أنا فيا كتير حاجات وحشه زي عصبيتي، ساعات لسانى بيطول لكن عارف نفسي، طيب، حنين، هادي معظم الوقت.

الطيبة والحنية مش بطلعها لأي حد.

أصل أنا عارف نفسي كويس فى عِز خنقتى لما بقول عاوز اقعد لوحدي بكون فى الوقت دا بالذات محتاج ناس مُعينة..

أصلي عارف إن وجودهم هينسيني اللي مزعلني يمكن مش هينسيني كل حاجة بس هحاول اتناسى الزعل لفترة مُعينة عشان أقدر أعيش وأكمل يومي حتى لو بضحك في وشهم وأنا حزين، شكراً لكل الناس دي.

صحيح أغلب الناس؛ كتير بتشوفني مغرور وساعات غامض، لكن عمر ما حد فيهم فكر يشوفني من جوه، لو حاولوا هيلاقوا العكس لإن الكل حكم عليا من بره، مش من جوه مافكروش يقربولي عشان يفهموني..

مابكرهش فى حياتي قد الناس اللي بتحاول تفرض عليا حاجه وتأمرنى بتنفيذها، مابكرهش قد الأوامر، مابكرهش قد الشخص اللي عاوزني أكون عبد لأوامره، مع إنك مُمكن تضحك عليا بكلمتين وتجبرني بكل شياكه إن أعملك اللي إنت عاوزه رغم إن أنا مابحبوش، فاهمني؟!

أحلامي..

بَحلم؛ بِحلم إن أعيش قصة زي القصص اللي بنسمع عنها.

بحلم أعيش قصة مع واحدة.

واحدة تشاركني كل حاجة.

واحدة مجنونة تستحمل جناني.

واحدة بتحس بيا من غير ما أتكلم.

واحدة تطبطب عليا من غير ما تتكلم.

واحدة في عز ما أنا زعلان تأخدني في حضنها.

نفسي؛ أيوة نفسي.

نفسي أعيش في كوكب غير الأرض.

نفسي أعيش من غير زعل ومن غير إكتئاب.

نفسي حياتي تبقى كلها ضحك.

نفسي مافكرش في هم بُكره ولا هم الفُراق ولا هم الناس ولا هم المُستقبل.

عاوز لما أحب أتجوز اللي بحبها من غير أي مشاكل.

عاوز أصحى من النوم مبسوط مافيش حاجة تضايقنى.

عاوز أنام مرتاح وعارف إن اللي بحبُه هيكون ليا.

طب مُمكن لما أقوم من نومي أبُص ألاقيها نايمه جنبي بتضحكلي ؟!

أمي تناديني قالت:

– ياسر أنا حطيت الأكل عشان نأكل ؟

– شويه كدا يا ماما معلش.

– والله لو شيلت الأكل ما أنا حطاه تاني.

– حاضر جاي أهو.

قفلت الدفتر ووضعته في الدرج وأغلقت عليه بالمُفتَاح.

دفتري هو سري، هو الشخص الذي إذا أردت التحدث معه يستجيب لي، هو الوحيد الذي لم يقل لي "معلش، طيب، كلنا كدا، أنت صداع" يستمع إلى حديثي ومن أجمل النعم التي ينعم بها الله عليك أن تجد من يستمع إليك دون أن يشعرك بأنك شخصاً غير مرغوباً به..

خرجت من الغرفة وجلست على السُفرة

قالت لي أمي بصوت يمتلئ بالأوامر التي يجب أن تنفذ:

– أعمل حسابك عيد ميلاد بنت خالتك النهاردة فاهم! يعني تروح تجيب هدية حلوة، حاجة البنات بتحبها، حاجة تشرفك كدا.

– حاضر هتغدى وساعة كدا وهنزل اشتري هديتها..

عند إنتهائي من الطعام دخلت غرفتي وأكملت الكتابة في دفتري وقلت بقلمي:

بنت خالتي "جيهان" تريد أمي أن أتزوجها، وفعلاً ذهبت لأطلب يدها للزواج من خالتي لكي أريح أمي وأريح نفسي من وسواس الأمهات وأيضاً ذهبت لكي أريح بالي من أشياء أخرى..

وفي يوماً من الأيام ذهبت مع أمي لبيت خالتي لأتحدث مع جيهان فوجدت الفرحة في عين أمي وخالتي في نظر الاثنين ياسر وجيهان تتطابق عليهم شروط وأحكام العائلة وأن أموال الأسرة لن تذهب لغريب وكما يقولون " منهم فيهم"..

بنت خالتي جميلة جداً جداً، مُميزات البنت المُمتازة في كل شيء إلا شيء صغير دائماً تحب أن تكون هي المسيطرة على كل شيء من حولها، الزعيمة.

قلت في بالي "من المُمكن أن تتغير جيهان مع الأيام و تتغير نظرة السيطرة المسيطره عليها ولكن أنا وجيهان مُنذ الصغر ونحن نتبادل مشاعر الأخوه وعكس بعض في كل شيء ودائماً نتشاجر حتى لو بالكلام ولسنا متفاهمين ولكن كنت على أمل أن تتغير الأحوال"..

والشيء الذي يخيفني أن من الصعب بعد ما كنا في نظر بعض إخوه أن نصبح في يوماً وليلة زوجاً و زوجة على فراشٍ واحد وأن أنجب منها أطفالاً ولكن..

كلاً منا يبحث عن الحب الحقيقي ولكن تأتي علينا لحظات تجعلنا نفكر وأن نترك الأختيار لغيرنا يختار لنا بعد الفشل الذي حصدناه من علاقات كنا نقول بأنها العلاقات الأبدية، لا أريد أن اقول أنني كنت الضحية ولكن كنت ظالماً ومظلوماً وبعد الإختيارات الخاطئة نترك فرصة لمن حولنا ليختار لنا شريك حياتنا لعل وعسى تكون هذه الأيام هى نهاية الأحزان..

والسؤال الذي يراودني دائماً هو..

" كيف سأجعلها تحبني كزوج بعدما أحبتني كأخ؟"

مُمكن اتقبل الفكرة بنسب قليلة أما عنها هي فلا أعرف شيئا..

هل هى ستتقبل هذا الوضع؟!

هل ستتقبلني زوجاً لها يعيش معها وينجب منها؟!

لا أعلم..

أمي وهى نائمة تفكر، تريد إنهاء الموضوع بأسرع وقت وأن تحضر حفل زفاف إبنها على بنت أختها، رتبت يوم تأتي فيه خالتي مع جيهان لكي أفاتح جيهان في الموضوع..

وإحنا قاعدين لقيتهم غمزوا لبعض.

- خالتي:

تعالي إما أوريكي اشتريت إيه من السوق، اشتريت شويه قماش تفصيل تحفه تعالي نقوم افرجك عليهم.

نظرت إلى خالتي وقلت لها:

– مش لازم يعني تغمزوا لبعض وتعملوا الحركتين دول، كان مُمكن تقولوا إحنا هنقوم نسيبكم تتكلموا مع بعض شويه وخلاص وكنا هنتكلم، عادي جداً.

ماما اتكسفت وقالت طول عمرك كده مش هتتغير يا موكوس.

اتكسفوا وسابونا نقعد مع بعض.

جيهان جالسة أمامي وصامته وعينيها تنظر إلي الأرض،

إقتربت منها وقلت:

أنا قربت منك عشان مافيش حد يسمع الكلام اللي هنقوله، أنا هتكلم معاكي كلمتين وهسيبك تفكري وهستنى ردك بعدها ومن خلال ردك لكل كلامي هفهم إحنا مُمكن نكمل ولا لأ إتفقنا؟!

– جيهان ماشي، إتفقنا.

– أولاً سيبك من الإتنين اللي قاعدين برا دول، إحنا طول عمرنا كنا بنتعامل على إن إحنا إخوات هزار وضحك وخربشة بالضوافر لكن دلوقتي كبرنا خلاص وبقينا أشخاص عندنا عقل ونضجنا وعارفين بنفكر إزاي..

الوضع اتغير ولازم نتكلم بجد، إنتي عقلك كبير وهتفهمي السؤال اللي هسأله دلوقتي وأوعدك إن مافيش مخلوق هيعرف عنه حاجة بس تجاوبيني بجد وبصراحة من قلبك ومتخافيش مني ولا من أي حد.

إنتى بتحبي؟!

في حد في قلبك؟

استني، قبل ما تردي عليا عاوزك تعرفي إن لو بتحبي شخص معين..أنا أول واحد هيساعدك إنك توصلي للشخص دا، وهقف جبنك بجد.

لو إجابتك لأ،هحاول معاكي مرة وإتنين عشان تحبيني ولو فشلت..أنا اللي هقول كل شيء قسمة ونصيب أو هطلع أنا الوحش عشان ده جواز وسنين ..

مش لعب.

- ها؟ مترددة؟ سؤال صعب؟!

لمحت في عينيها الدموع وهي تبوح بالحب وكأنها أجابت على سؤالي بعينيها الممتلئة بحب شخصٍ أخر، اقتربت منها أكثر وأمسكت بيديها الضعيفه..

- بتعيطى ليه؟ أنتي بتحبيه أوي كدا؟

- ضغطت بيدي على يديها وأخذت نفس طويل وقلت:

ماتخافيش..ماتخافيش مفيش حد هيعرف حاجة وأنا هساعدك إنك توصلي للشخص ده بأي شكل، خلاص بقى إمسحي دموعك دي!

إنسي كل اللي حصل واللي قولناه من دقايق.

إعتبري إن كل اللي إتفقوا عليه أو اللي بيتفقوا عليه برا دا مش هيحصل أبداً.

نظرت إلي وكأنها تقول لي لا تبوح بالأمر لأحد فأجعله سراً بيننا خوفاً من أهلي عيناها كانت تتحدث بدون أن تنطق بكلمة واحدة بلسانها..

- تصدقى أنا أول مرة اقرأ كلام العيون وماتخافيش مفيش حد هيعرف حاجة وأنا هقف جنبك لحد ما تتجوزي اللي قلبك إختاره.

احكيلي عنه شويه..

- جيهان: هو إنسان طموح أوي يا ياسر وبيحبني جداً ودائماً معايا في الفرح والحزن وعمره ما فكر يزعلني، عارف أنا بحس إن فيه منك أوي، شبهك جداً يا ياسر وصحيح أنا حكيلته عنك كتير وعن هبلنا زمان.

بعد ما أنهت حديثها عنه قلت لها

- مُمكن اقابله؟

- بجد؟

- أه بجد اعتبريني أبوكي اللي هيخطبك منى..

بعدما أنتهى الحديث مع جيهان ذهب مع أمها قولت لأمي:

- أنا مش مرتاح يا ماما للجواز دا خلينا كدا أحسن عشان جواز القرايب وحش وكمان بيزعل الناس من بعضها.

- ماما فضلت تبُصلي وقالتي أمال أنت كنت ماسك إيدها وهى هنا ليه؟

- يا ماما كنت ماسك إيدها عشان إحنا إخوات، ماما بقولك مش هخطبها وشيلي الموضوع من دماغك، إتفقنا؟ من الأخر أنا وافقتك بس!.. بصراحة أنا بحب واحدة تانية.

- ماما سمعت كلامي رقعت بالصوت..

أنت عاوز تفضحنا، أنت عاوز الناس تتكلم علينا؟

- في إيه ياماما هو أنا ماشي على حل شعري ولا حاجة؟

مش هتجوزها ومش هوافقك على حاجة تاني ماشي يا ماما عشان أنا حبيت واحدة تانية والموضوع أنتهى.

- تلاقيها واحدة أهلها ماعرفوش يربوها ما أنا حظي كدا مايل فيك وفي أبوك، يارب خُدني وريحني، يا رب أنا زهقت بقى من العيشة دي.

بصيت لبابا وهو بيقرأ الجُرنَال، نزل الجُرنَال وغمزلي زي ما يكون بيقولي سيبك منها هى شويه وهتهدى ما أنت عارف أمك يا إبني.

ودي كانت حكاية بنت خالتي.

سمعت صوت أمي من وراء باب غرفتي..

– الجو هيليل يا موكوس وأنت لسه ماروحتش جبت هدية لبنت خالتك.

– حاضر يا ماما هلبس ونازل..

"ماما مش ناويه تجيبها البر ولسه على أمل إن اخطبها"

هي لا تعلم بأن لكل جيلاً زمانه وجيلنا مختلف عن جيلها وأن الحب شئ خارج عن إرادة الإنسان فلا يستطيع أحد أن ينزع أحد من قلب أي انسان ويجلس مكانه ولن يستطيع أي شخص أن يأمرك وأن الحب ليس كن فيكون ولكن كل شئ بيد الله والله وحده هو الوحيد القادر على كل شئ وأن الله وحده هو الذي يقرب القلوب التي تسكن بين الضلوع ببعضها البعض..

ارتديت ملابس الخروج ونزلت أشتري هدية عيد ميلادها، وقفت أمام محل الهدايا لا أعرف أي الهدايا مناسبه لها؟

نظرت على الأرفُف فلفت انتباهي دبدوب فـ اشتريته واشتريت شكولاتة وصندوق وضعت فيه الهدايا و أتيت ببلالين حمراء..

– كده تمام أوي.

أتصلت بي أمي وقالت بصوت عالي وكأنها أمامي:

– تعالي يا واكسني عشان تلبس لبس حلو عشان تشرف بنت خالتك قدام أصحابها وقدام أختى.

رجعت البيت وأنا أعرف أن امي تحاول بقدر الامكان ان تقربني من جيهان أكثر ولكنها لا تعلم ان الامر أنتهى منذ فتره..

" دماغ الأمهات مش سهلة بس مفهومة"

نزلت مع بابا وماما وإحنا في الطريق ماما عماله تزن عليا:

– حاول تتكلم معاها وبلاش لعب العيال "قال بتحب واحدة تانية قال".

– أنا بسمع كلام ماما ولا أكني سمعته.

وصلت بيت خالتي – عيد ميلاد جيهان – وطلعنا البيت..

دخلت بيتها لقيتها واقفه لابسه فستان حلو أوي وشعرها نازل على كتفها زي الحرير وجميلة جداً..

أبتسمت لجيهان فقتربت وسلمت على فقدمت لها هديتها وقلت:

– كل سنة وأنتي طيبة والسنة دي تحققي كل أحلامك وغمزتلها..

ابتسمت جيهان وأدركت المعني الحقيقي لكلمة " تحققي كل أحلامك" ثم تركتها تذهب لأصدقائها تحتفل معهم أما انا وقفت وحيداً ولكن لاحظت بأن هناك فتاه تراقبني وتنظر لي وكأنها تقول لي "أنا معجبة بك" ولكن قلت بداخلي تهيئات ..

أتت جيهان وقالت لي : عاوزاك نتكلم لوحدنا شوية !

أبتسمت أمي لخالتي وللأسف هم لا يعلمون أي شئ يتخيلون اشياءً لن تحدث

اقتربنا و وقفنا بجانب شرفة المنزل وقالت جيهان:

– أنا اتفقت معاه على ميعاد وهو موافق.

– كويس، امتى كده عشان اظبط مواعيد شغلي بس واعرف اقابله؟!

– بعد بكره لو مفيش مانع عندك!

– تمام، نختار أي مطعم كويس نقعد فيه وأنا عازمه على الغداء.

– صحيح صاحبتي مُعجبه بيك أوي.

– أه، أخدت بالي قولي لصحبتك ده مرتبط وبيحب.

– طيب، براحتك عموماً أنت حر يعني.

ونحن في الطريق إلى منزلنا قالت أمي:

– هى كانت واخداك على جنب بتقولوا إيه كدا وقالتلك تعالي وبعدها فضلتلوا تتكلموا كتير، كنتوا بتقولوا إيه ؟

– مفيش يا ماما كانت بتقولي إن ذوقي حلو في إختيار الهدايا.

اضيقت عين أمي وقالت "امم، ماشي يا إبن بطني".

امسكت بالهاتف المحمول وكتبت رسالة لجيهان.

"قولي لحبيبك يقابلني في مطعم تيكنوفود الساعة 8 بالليل".

الشريط الثاني

الساعة 8 مساءً

هل أحُبك أم أنتي مجرد إمرأة عابره !

هل هذا أنا؟

إنتهيت من عملي وذهبت الي المطعم جلست على الطاوله منتظراً حبيبها، طال الانتظار ولم يأت بعد و الساعة الأن الـ 8 مساءً.

اتصلت بجيهان :

- زياد لسه مجاش وميعاده 8 هيجي ولا مش هيجي؟

- أنا اتصلت بيه وقالي في الطريق.

- طيب أنا مستني.

وعندما طال الإنتظار أكثر من اللازم طلبت شيئًا لأشربه إلى أن يأتي ونتحدث سوياً وعندما تأخر طلبي ذهبت أنا بنفسي لأحضره، وأنا راجع إلي طاولتي ظهرت أمامي فجأة امرأة مسنه وارتطمت بي ووقع العصير على ملابسي ولما رأيت ملابسي والعصير عليها غضبت كثيراً فإرتفع صوتي عليها بسبب ما حدث..

- إيه مش تخلي بالك، ينفع كدا؟!

لكن المرأة المسنه ارتفع أيضاً صوتها علي وقالت:

- إيه اللي حصل يعني؟ مش قصدي خلي عندك ذوق؟!

وقولت لها بصوت غاضب:

- تصدقي أنا غلطان إني إحترمتك وبعدين رد فعل مني طبيعي لما اشوف قميصي إتبهدل بالشكل ده وطبيعي أتضايق، فيها إيه لو قولتيلي بكل أحترام أنا أسفة ؟!

رأيت فتاة أخرى تدخلت وقالت..

- خلاص يا فندم هى أكيد مش قصدها إحنا أسفين لحضرتك.

وفجأة لم أشعر بنفسي وإنقطع صوت كل من حولي، حاسة السمع إنعدمت بداخلي واكتفيت بالنظر لها ولملامح وجهها، أركز في تكوينها كأنثي..

تتحدث ولكن لا أسمع أي صوت يخرج من بين شفتيها، كل الذي اسمعه حينها هى دقات قلبي وهى تتزايد وترتفع..

لأول مرة في حياتي يتنابني هذا الشعور الغريب، أرى فيلم صامت، الشفايف بتتحرك تتحرك بدون صوت...

أميل برأسي واركز بعيني في شكلها وتفاصيل خلقها..

وفى لحظه رجع الصوت.

– حضرتك هو في حاجة؟! بتبُصلي كدا ليه؟

واقف منتبه معها وفي حركات يديها ولم اتحدث بكلمة واحدة..

– لو سمحت بعد إذنك في حاجة؟ يا حضرت!! ماله دا؟

أمسكت يديها – رد فعل من شخص معتوه – أمسكت بيدها وكأنني طفل يمسك بيد أمه وهى تشد يدها فتركتها واعتذرت وأنا مغيب عن أي فعل أو تصرف مني، كأنني اختطفت وأنا أقف في مكاني..

كل شىء تغير في ثواني، وكأنني كنت أحلم ولكن كيف لي أن أحلم وأنا مستيقظ؟

رجعت إلى طاولتي وبعدها بثواني وصل زياد..

جلس زياد يتحدث معي وعيني عليها لم تفارقها لحظه واحدة..

تنظر لي نظرة استحقار على ما فعلته معها من فعل غبي ولكنني كنت مغيب !

شعور أن تختطفك أنثي بدون أن تشعر من أول مرة لا يستطيع أحداً أن يشعر به إلا من مر بنفس لحظه الإختطاف الغريبه لقد اغتالت قلبي بعينيها الحادتين..

قتلتني وأحيتني وكأنني دميه صغيرة بين يديها تلعب بها كما تشاء في ثوانٍ قليله وعيني لا تريد أن ترى غير تلك الأنثي كأنها أنا..

زياد قالي:

– شكلك مش مركز معايا؟

– لا لا أنا معاك اهو.. قولي بقى إنت ناوي على إيه يا زياد؟

– بصراحة يا ياسر أنا بحبها بس لسه بدرس وعاوز اخطبها.

– هتخطبها وأنت بتدرس؟

– أه، فيها مانع؟

- لأ بس خلينا نتخيل اللي جاي قدام، أنت روحت تخطبها أبوها قالك أنت بتشتغل إيه أو لما تخرج معاها الفلوس اللي هتصرفها على الخروجة هتجيبها منين أو لما تخلص هتكون نفسك في قد إيه؟

أنت أهلك مبسوطين؟ ولو مبسوطين هترضاها على نفسك كـ راجل؟

- أنا أهلي مبسوطين وهيساعدوني كتير يعني..

- هيساعدوك كتير! شكلك مفهمتنيش يا زياد، عموماً لو في نصيب ليكم هتكونوا مع بعض، ياريت لو بتتكلم معاها كتير ماتقولش أهلي هيساعدوني قدامها كتير عشان البنت بتحب الراجل اللي يصرف عليها من تعبه مش من تعب أهله فاهمني يا زياد؟

حرك رأسه كأنه يقول لي "نعم فهمتك" ثم ظهرت نظرات الجخل في عين زياد بسبب كلامي الذي لمسه ولكنه لم يظهر ذلك في كلامه، فظهر الخجل في عينيه.

وبعد ما أنتهينا من الكلام قام زياد وقالي تشرفت بمعرفتك قلت وأنا أيضاً..

نظرت إلى الفتاة لازالت جالسه ففكرت أكثر من مرة أن أذهب إلي طاولتها وأعتذر على ما حدث مني فإقتربت منها وقلت:

- لو سمحتي، أنا أسف على اللي حصل مني وأنا جاي أعتذر ليكي وأتمني تتقبلي إعتذاري دا لو أمكن يعني !

نظرت لي بكل برود وقالت:

- إعتذارك مقبول.

- لأ أنا مش حاسس إنك قبلاه، مُمكن أقعد معاكي بس أقولك بعتذر ليه بعد إذنك؟ مش هاخد ثواني من وقتك ؟!

أمسكت بالمقعد الذي أمامها وجلست عليه بدون أن استأذن منه، أنظر لها وأنا جالس أمامها على مقعد طاولتها وهى تلعب في هاتفها المحمول ثم تنظر لي بدهشه لثوانٍ وتكمل اللعب في هاتفها ثم قولت لها:

- أنا اسمي ياسر وأنتي ؟

- حضرتك جاى تعتذر ولا جاي تتعرف؟

- أنا مش عارف أنا جاي هنا ليه أصلاً !

- حضرتك مالك مبحلق فيا كده؟

"لوحت بيدها لي في إتجاه طاولتي"

- لو سمحت مُمكن ترجع لمكانك.

- أنتي بتدرسي ؟

- لأ وعشان ألخص الحوار اللي زهقت منه دا أنا صاحبة المطعم اللي حضرتك قاعد فيه.

-كويس، عموماً أنا أسف على الإزعاج، قومت ودفعت الفلوس لقيت المبلغ كبير فدفعت وخلاص شكله غالي أوي المطعم دا وأنا في الطريق كنت فرحان أوي عشان خلاص عرفت هلاقيها فين بعد كدا عشان لو حبيت أوصلها تاني.

رجعت المنزل مندهش لا أعرف ما حدث لي..

وضغت رأسي على الوساده وافكر في كل شيء، صوتها، ملامحها، كل شيء حدث معي اليوم أفكر فيه وأتذكره..

قفزت من على سريري وذهبت اللي مكتبي الصغير وأخرجت دفتري الصغير وكتبت ولكن ليس مثل كل مرة اكتب فيها ،أقترب قلمي من الورق وقال..

إن الحُب كـ الحرب في منتصف المعركه يأتيك سهم في قلبك، لا تعلم من أين أتى هذا السهم فـ يُنهي حياتك..

هكذا هي النظرة الأولي تنهي حياتك ليبدأ عِشقك.

عندما تجد من تُحب تُدرك إن الحياة بدأت من هنا ..

من منتصف الطريق، تُدرك أن هذا الشخص هو الذى تبحث عنه، تدرك أن الحياة ليس لها معني بدونه.

الحب كـ قابض الأرواح يأتى وأنت لا تعلم متى وأين ستموت..

يأتى ليأخذ روحك لتُفارق الحياة، تُفارق الحياة لتبدأ معه هو حياة جديدة هذا هو الحُب .

ليس لدي القدرة على التعبير فـ قلبي تعلو نبضاته..

قلبي يصرخ بداخلي، من أنا ؟ أين أنا؟...

قلبي لا يشعر إلا برعشةٍ شديدةٍ و عقلي لا يفكر إلا في من أحُب.

هل أحُبك أم أنتي مجرد إمرأة عابره !

هل هذا أنا؟؟

الشريط الثالث

"قلباً يبحث عن الحب بين ضلوع إمراة"

كم كان الإنتظار جميلاً.

أقفلت الدفتر ووضعته في مكانه واقتربت من سريري ونمت ولكنني أشعر بشيء متناقض أشعر بالبرد والحر وقلبي ينبض وكأنه أول مرة ينتعش بالدم، ضغطت بيدي على صدري، أشعر بضرباته، أفكر بها إلا أن اختطفني النوم وفي اليوم التالي ذهبت إلي عملي وبان علي عدم التركيز وانتظرت أن تدق الساعة ميعاد إنتهاء ساعات العمل حتى استطيع

أن أذهب إلى المطعم في نفس الميعاد وأراها فيه مرة أخرى وأتمنى أن تكون زبونه من زبائن المطعم لأراها كل يوم..

انتهت ساعات العمل وذهبت للمطعم، جالس على طاولتي أنتظرها، أنتظرها تأتي، أنظر إلي كل من حولي لا أراها فذهبت إلي أحد العاملين في المطعم وسألته عنها:

- لو سمحت هى صاحبة المطعم دا بتيجي أمتى ؟!

- مش عارف حضرتك..

"أخرجت من جيبي 20 جنية"

- بالظبط نص ساعة وجايه.

- هى المدام هتتأخر، صحيح هى مدام ولا أنسه !

- ضحك، لأ أنسه.

- شكراً جداً .

نظرت إلي الأسعار المطعم وجدتها خيالية جداً ..

فطلبت عصيراً مثل أمس، اشربه إلى أن تأتي وأراها مرة أخرى وبعد ما شربت العصير أصبحت لا أعرف ماذا أفعل الآن فطلبت طعام بسيط ورخيص وفي نفس الوقت أجلس لوقت أطول بدون أن أحرج فكنت أكل ببطىء شديد وقلت..

- أنا زهقت من أم اليوم اللي مش هيعدي وهتيجي ولا لأ.

ثم رأيت باب المطعم يفتح وهى من تفتحه وشعرها ينسدل على كتفها وخصل شعرها تنزل على وجهها وبيديها الصغيرتين تبعده عن عيناها الجميلتين وتدخل إلي المطعم..

قلبي يُحدثني بأن اليوم هو أول يوم لي

فاليوم أنا ولدتُ من جديد..

كنتُ لا أعلم هل إذا قلتُ لها أحُبك هل ستصدقني ؟

هل لو قلتُ لها أن قلبي يرتجف من الخوف فأرجوكي يا جميلتي ضعي يديك عليه لتطمأنيه ستفعل؟

أشعر بالخوف الشديد عند رؤيتها أمامي أخاف أن تراني فتفر مني وأخاف أن أترك الفرصة فتذهب لغيري رغم أنني لا أعلم هل هى عاشقة لغيري أم قلبها فارغاً من العشق؟!

أسئلة كثيرة وإجابتها عند المرأة التي حتى الآن لا أعلم إسمها..

دخلت المطعم وبكل هدوء شفتيها ترسم إبتسامه هادئه لكل العاملين.

جلست في نفس المكان، أدركت أن هذا المكان مخصص لها هى.

''ممنوع إقتراب أي شخص من هذا المكان''

بعدما كنت أكل ببطىء أصحبت أكل بشراهة وبسرعة حتى أنتهي من الأكل وأذهب لأتحدث معها وبعد ما إنتهيت وقفت من على مقعد طاولتي اقتربت منها وهى تشرب النسكافية وقفت أمامها وقلت لها بإبتسامه:

- أزيك؟

- أنت تاني؟

- أزيك طيب ؟!

- تمام وأنت ؟

- كويس إلى حد ما، مُمكن اقعد دا لو سمحتي ؟

- اتفضل..

- أنا عارف إن أنا كنت قليل الذوق ومش محترم في آخر مرة لما كنت بتكلم مع الست الكبيرة بس صدقيني أنا مش عارف اقولك إيه؟!

"أحاول جاهداً أن لا ينتهي الحديث وحرصت على أن اتكلم في أكثر من موضوع مختلف حتى لا ينتهي الحديث وأذهب بسرعة".

- عارفة أنا كنت فعلاً مش محترم في أسلوبي ومسكت إيدك وكل اللي حصل مني إعتبريه محصلش أصلاً..

- خلاص، أنا نسيت الموضوع..

- عندك إستعداد نكون أصحاب، أنا زبون هنا!

- أنا ما بصاحبش.

- لأ أصحاب يعني أصدقاء نسأل على بعض!

- لأ برده.

- طيب أنتي عندك إستعداد لإيه؟

- مش فاهمة؟

- طيب، عموماً أسف لتالت مرة.

ذهبت وأنا مُحرج منها، دفعت الحساب واختفيت..

أصبحت كل يوم أذهب إلي نفس المطعم لأكل فيه وأكاد أكون أفلست ودفعت كل مرتبي الشهري علي طعام هذا المطعم لأراها..

ظللت على هذا الحال لفترة طويلة إلا أن اختفت لـ 5 أيام فقلقت جداً وسألت عنها العاملين قالوا مرضت وهى في المستشفى الآن.

فسألت أحد العاملين عن عنوان المستشفى ولكنه رفض أن يقول لي فأخرجت 50 جنيهاً فقال لي:

- معاك ورقه وقلم؟

- اتفضل!

- كتبلي عنوان المستشفى وأسمها بالكامل.

- شكراً.

"ذهبت إلي اقرب بائع زهور لأشتري لها باقه ورد "

صاحب المحل قال لي:

- اكتب الكارد لمين؟

- اكتبه لـ ميادة.

- وأسم حضرتك؟

- اكتب الأسم "مجهول الهوية".

وعند وصولي إلي المستشفى وقفت على السلم وسألت نفسي أكثر من سؤال

أنا ذاهب بأي صفه؟

لو أن أحد سألني من أنت! ماذا سأقول؟ أقول أحبها؟ ماذا سأقول؟

لا لا لايهمني سأقول اي شئ..

لا يهم من انا ولا ماهي صفتي والأهم هو أن اراها بصحه جيده وأن أراها تقف على قدميها وألوح لها بيدي لتدرك بأنني موجود بجانبها..

لأول مرة في حياتي أحس بإن قلبي حزين على مرضك..

اشعر وكأن قلبي هو قلبك يمرض حين مرضك ويفرح أذا فرحتي..

دخلت المستشفى وسألت عنها في الإستعلامات وقالوا غرفة رقم (25) طلعت على السلالم أرتب قميصي والبنطلون وأنظر لشعري في مرآة المستشفى، وقفت أمام غرفة رقم (25) متردد أأطرق الباب أم أترك الورد وأذهب؟

متردد أأدخل ام أهرب؟ بعد ما وصلت ليكي.

وعند اقترابي من الباب وفي لحظه التي قررت أن أطرق فيها الباب، فُتح وشاهدت أناس كثيرون يخرجون من غرفتها ويقولون لها "سلام تقومي بالسلامه يا حبيبتي" رأيت فتاة

في سنها تجلس بجانبها وأنا واقف محرج – واقف مكسوف- شل لساني ولا أعلم بماذا ابدأ الحديث نظرت لي بغرابة شديدة وقرأت في عينيها كلام "أنت أزاي هنا؟" ومن إحراجي شعرت بحرارة الجو بالبرغم من أن الجو بارد..

– إحم، ح ح أ أ ألف بع بع بعد الشر عليكي.

– ابتسمت، اتفضل تعالى، إدخل وأقفل الباب وراك.

دخلت وقدمت الورد وقالت مُتشكره، ذوقك حلو.

وقفت من بجانبها وقالت : شويه وجايه.

قالت ميادة: ماشي يا يارا، ثم نظرت لي وقالت اقعد واقف ليه !

أخدت الكرسي واقتربت من سريرها وجلست جنبها وقلت:

– بقالي فترة مش بلاقيكي في المطعم فسألت عليكي بعد ما غيبتي 7 أيام ورا بعض فكان لازم أعرف يعني مالك على سبيل المعرفه مدام إنك رافضة نكون أصحاب..

سألتها عن مرضها قالت:

– دا مرض اسمه " أنيميا البحر الأبيض المتوسط " كل فترة بغير دمي وبيقولوا إن الشخص اللي بيقبى عنده المرض دا بيجي عند سن معين وبيموت فقالت بصوت فيه ضحك يعني مُمكن أموت وأنا بكلمك دلوقتي.

– أنتي بتهزري في الموت، بلاش تيجبي سيرته.

– كلنا هنموت.

– أه، صح كلنا هنموت.

وأنا جالس أمامها كنت اسمع صوتها واركز في ملامحها الزابله بسبب مرضها، كنت أتمني أن أشاركها المرض لكي أشعر بنصف تعبها وأزيل عنها الباقي منه..

بعدما فرغنا من الحديث إستأذنت..

– أستأذنك بقى عشان تنامي كويس وقبل ما أمشيأ هحاول أجيلك بكره لو مفيش مانع نتكلم شويه اهو أسلي وحدتك.

– إبتسمت وقالت: ماشي..

أغلقت الباب وأبتعدت عن غرفتها ونزلت من المستشفي وأنا فرحان جداً وكان سبب كل هذه الفرحه ضحكتها التي جعلت مني إنسان جديد بعد كل المحاولات اللي باءت بالفشل والآن أنا جسلت أمامها وتحدثت معها وهذا كل شيء، هى أصحبت سعادتي وحياتي ..

شعرت بإزدحام في مشاعري وأرتباك بأفكاري وعقلي تجمد تماماً كنت أحاول جاهداً أن أتنفس ببطيء حتى اسمع صوت ضربات قلبي، استمع له حتى أدرك ما يقوله لي، هل هو يحبها حقاً أم إنها مجرد أنثي؟ ولكن رده علي كان بأنها الدماء التي ترويني فلا تتخلى عنها..

وصلت إلي المنزل، فتحت الباب بالمُفتاح ودخلت، أمي :

– أنت ماروحتش شُغلك ليه النهاردة؟

– مفيش يا ماما ماكنش ليا نفس أروح.

– هو الشُغل فيه ماليش نفس؟ ولما تترفد يا روح ماما!

– ماما عشان خاطري أنا مبسوط ومش عاوز نكد ..

– أنا نكد؟ هى البطن اللي شالتك وخلفتك في الأخر تقولها نكد؟

''قلتلها بصوت هادئ''

– عاوزة إيه يا ماما؟

– وكمان بتقولي عاوزة إيه ؟

– أسف يا ماما حقك عليا أنتي مش عاوزة حاجة لإن أنا اللي عاوز أدخل الأوضة وأنام شويه عشان تعبان أوي.

– مش هتتغدى؟

- لأ كلت بره.

- ماشي يا بتاع البنات..

''نظرت إلي أمي وأنا أقول بداخلي أبي له الجنة''

هل كل النساء مثل أمي ؟

أمي أحبها كثيراً أكثر من نفسي أنا، أحبك بعد الله..

دخلت غرفتي وأمسكت القلم والدفتر مثل كل مرة..

كتبت:

كرهت كلمة أحبك..

لا أجد كلمة تصف ما بداخلي لكي، أحاول أن أبحث عن كلمة أخرى في معاجم الحياه لكي تصف ما أشعر به.

لا أعرف ماذا حدث لي في اللحظه التي رأيتك فيها كل شئ في حياتي تغير لم

أعد أقدر أن أصفك على ورق دفتري !

ماذا اقول؟ كيف اصفك يا جميلتي، عند رؤيتي لكي اكتفيت بالصمت وقلبي هو من يتحدث، أتحدث وشفتاي مغلقتان

صوتي لا أعلم الي أين ذهب وعقلي تبخر وقلبي يتكلم ،دمائي في عروقي تغلي كالبركان.

عيني تدمع بدون بكاء، لا أنا حزين ولا أنا فرحان..

قفلت الدفتر ومكثت على ظهري ويدي وراء رأسي أنظر لسقف الغرفة أتكلم مع نفسي بصوت أنا فقط من يستطيع القدره على سماعه ومن ضمن الكلام الذي دار بيني وبين نفسي:

لو في يوم قولتلها إن أنا بحبها مُمكن تصدق ؟

لا، مش هتصدق أصل أكيد في كتير قالولها نفس الكلمة..

طيب، بس أكيد هتقدر كل مواقفي معاها !

طب ما هو مُمكن يكون في غيرك عملوا أكتر من اللي بتعملوا !

تعرف أنا هعمل اللي عليا واللي قلبي يدلني عليه ولا إيه؟

مش عارف ليه حاسك بتعمل المستحيل مع إن في غيرها !

فعلاً في غيرها من جنسها كـ أنثي ..

لكن.. مفيش زيها في صفاتها ولا ملامح شكلها.

طب ما في زيها كتير ملامحهم أحلى منها !

أيوة عندك حق، بس أنا شايفها أحلى من كل اللي شوفتهم..

شايفها ملاك على شكل أنثي صوتها، صوتها بيخليني مبسوط لما اسمعه، ده كفاية لما قالتلي شكراً طب، شوفت تناسق جسمها!

آه، زي أي بنت ولا قصدك تناسق الإمكانيات صدرها وفخدها والباقي ؟

على فكرة أنت زبالة..

طب ما أنا أنت!!

مُمكن اقولك حاجة؟

اتفضل!

أنا غلطان إن أنا اتكلمت مع واحد زيك..

أنا هنام.

"أغلقت عيني وأخذت نفساً بداخلي وأخرجت ثاني أكسيد الكربون وهو يحمل معه الحيرة والعجز والتفكير المتناقض بيني وبين نفسي".

الشريط الرابع

"الحُب كا سم الأفاعي

عندما يغزو الدماء إلي الإنسان لا يراعي

فالمُحب إلى السُم ساعي".

غرفه رقم (26)

أستيقظت من نومي مبكراً وأرتديت ملابسي وقبل أن أقترب من باب المنزل وجدت أمي أمامي.

- رايح الشغل يا إبني؟

- ها، أه يا ماما رايح.

- طيب يا حبيبي ترجع بالسلامة.

خرجت من بيتي على المستشفى وكذبت على أمي ..

وصلت إلى المستشفى وسألت الدكتور المتابع لحالتها ودخلت جلست معه في مكتبه وقال لي:

هى حالتها كويسة إلى حد ما بس إحنا محتاجين نقل دم ليها وبسرعة جداً لإن ماينفعش نتطلع دم من فاصيلتها إلا لما يكون في بنك الدم بديل للدم اللي هيخرج ده..

- هتبرع أنا.

- بس أنت هتتبرع بكيس واحد!... إحنا محتاجين 4 على الأقل لإن كل عيلتها إتبرعوا وماينفعش يتبرعوا تاني..

- خد منى 3 أكياس دم.

- ماينفعش ودا فيه خطر على حياتك..

- هينفع خد اللي أنت عاوزة.

"حان الوقت لاثبت لكي حبي لعل وعسى ينشغل بالك بي لدقائق".

- الدكتور بس أنا أسف مش هقدر لإن دا مُمكن يسبب لك هبوط حاد وتموت!

- أنا مُمكن اكتب إقرار لو حبيت.

- زي ما أنت عاوز..

"كتبتُ إقرار يحملني المسؤليه كاملة وأن المستشفي ليس لها دخل بتبرعي."

نمت على السرير وبدأوا بسحب دمائي من عروقي..

بعدما أنتهوا من سحب المطلوب من الدم حاولت أن أقف على قدمي قال الدكتور لي: استرح قليلاً، هل تشعر بالخمول ؟

- أه يعني، بس أنا كويس..

حاولت كثيراً أن أقف على الأرض وفي اللحظة التي وقفت فيها وقعت على الأرض فاقد للوعي..

فتحت عيني أنظر حولي، بعد ما فقدت وعي أرسلوني إلى غرفه ليعتنوا بي

وجدت المُمرضه تجلس بجانبي فقلت بصوتاً متعب..

- أنا فين؟

– أنت في أوضة خاصة لإنك مستحملتش ومستغربين إزاي مسحوب منك 3 أكياس دم ولسه بتفتح عيونكأأنت في أوضة رقم (26).

– أوضة 26؟ يعني أنا جنب 25؟

– أه، جنب المريضه اللي اتبرعتلها بدمك.

أغلقت عيني لكنني مستيقظ لأستريح قليلاً ولأريح جسدي ثم ذهبت في النوم وعندما استيقظت شعرت بأنني أصبحت جيداً وأستطيع الوقوف، وجدت الدكتور وسألته:

– أعتقد إن كدا المستشفى تقدر تطلع الدم ليها!

– أه في واحدة كمان اتبرعت للمريضة وحالياً هى بتغير الدم.

– هياخد كتير الكلام ده؟

– لأ يعني مش كتير.

– طب ينفع أدخل أطمن عليها.

– ينفع بس خليك دلوقتي لحد ما إحنا نطمن عليك، أنت تقربلها ؟

– أه بس من بعيد أوي يا دكتور.

– عموماً إن شاء الله هتبقى كويسة أصلها مش أول مرة هى بتيجي هنا المستشفى من قبل ما أنا أتعين فيها..

"ابتسمت للدكتور واغمضت عيني"..

وأنا جالس على سريري شاهدتها تسير من زجاج الغرفه وهى تسند يدها على الممرضة واليد الأ0خرى على جدران المستشفى غير مهتمة بتعبها بقدر ما هى مهتمة جداً بأن تعرف من هذا الشخص الذي تبرع لها بـ 3 أكياس دم، سمعت المُمرضة التي تصاحبها قالت لها:

– ارجوكي ارجعي غرفتك إنتي تعبانه!

– بعد إذنك لأ أنا كويسة ..

فتحت باب غرفتي..

وعند رؤيتها لي وأنا جالس على السرير تفاجأت بوجودي..

منذ وأن رأتني وهى تندهش من تصرفاتي وأفعالي تجاهها بدون أي مقابل أو كلمة جميلة منها..

شاهدت عيونها بدأت تمتلئ بالدموع كنت أتمنى لو أستطيع أن أمسح دموعها بيدي، كنت أتمني لو أستطيع أن أقبل يديها الصغيرة وأمسكها بيدي..

أمسكتها المُمرضة وأجلستها على الكرسي وخرجت المُمرضة وتركتنا سوياً وظلت تنظر لي وصامته وأنا أنظر لعينيها وكلي خجل، كسوف، أشياء كثيرة مُمكن أن نطلق عليها اسم "أنا مُمكن أ٥عمل عشانك كتير" قلت لها:

- أنتي كويسة دلوقتي؟!

- أه كويسة.. مُمكن اعرف أنت بتعمل معايا كل دا ليه؟ مُمكن أعرف ليه كل ما أسأل نفسي سؤال ألاقيك أنت الإجابة؟ ليه؟ أنا محتاره، من وقت ما حصل الموقف بتاع الست الكبيرة وأنت في كل مكان حواليا لدرجة إن حلمت بيك! تعرف أنا مش فاهمة أنت بتعمل كل دا ليه ونفسي أ٥لاقي إجابة منك! طب أنت لما جازفت بنفسك عشان توفر الدم ليا ماكنتش خايف على روحك لتموت؟ طب أهلك؟ طب حياتك؟ كل دول مش فارقين معاك! مُمكن ترد عليا؟

رجعت بظهري على السرير وابتسمت وبدأت أجاوب لها عن كل أسئلتها وقولت:

- أنا كنت بساعدك، مش أنتي كويسة؟

- أه كويسة.

- خلاص أنتي كدا رديتي على كل أسئلتك بنفسك، عاوزك كويسة.

أتي الدكتور ومعه ممرضتها لغرفتي وقال:

- لو سمحتي يا أنسة ميادة لازم ترجعي أوضتك عشان هتاخدي حُقن وأدوية ولازم ترتاحي شويه بعد إذنك لو سمحتي!

- حاضر.

وقفت وسندت على الممرضة وقبل أن تخرج من غرفتي وهى واقفه على باب الغرفه بإبتسامه قالت:

- أنا هجيلك تاني، عاوزه أتكلم معاك.

- إبتسمت لها وأنا مستنيكي بس المهم تبقي كويسة وأحسن من الأول.

جلست قليلاً بمفردي ثم أتي الدكتور لي وقال:

- أنت خلاص بقيت كويس وتقدر تروح بيتك أو تقعد في الإستراحة عشان الأنسة ميادة نايمه جوه وحضرتك مش من أهلها زي ما أنت قولتلي بس عموماً هنتجاوز الكدبة دي لإنك حاولت تنقذ إنسانة بس المهم لما ترجع بيتك حاول تكتر من شرب السوائل يعني عصاير ومايه عشان تعوض كمية الدم دا اللي إتاخد منك..

- شكراً لذوقك ولتفهمك الموضوع.

رتبت ملابسي وأرتديت حذائي وخرجت من الغرفة ولكنني كنت أتمنى أن أبقى بجانبها أطول وقتاً ممكن..

ذهبت لكي ألقي أخر نظره عليها قبل رحيلي وقبل أن أمسك بمقبض الباب سمعت صوتاً فلتفت وجدتها المُمرضة تقول لي:

- لو سمحت مش هينفع لإنها نايمة دلوقتي وياريت بلاش تقلقها عشان الراحة مهمة جداً ليها عشان واخده أدوية كتير..

أبعدت يدي عن مقبض الباب وقولت:

- يعني هتبقى كويسة ؟

- أيوة، هتبقى كويسة.

– طيب، خلاص المهم إنها تبقى كويسة.

غيرت طريقي لباب الخروج فنظرت إلى ساعتي وجدتها 9 مساءً.

نظرت إلى هاتفي المحمول مكالمات كثيرة من أمي فإتصلت بها وقبل أن أقول كلمة واحدة بدأت أمي تهاجمني بصوتاً عالي:

– أنت فين يا جزمة يا زبالة يا حيوان بقالي 4 ساعات بتصل بيك يا عديم الإحساس، أبوك كان هينزل يدور عليك في المستشيفات والأقسام أنت فين؟

– مُمكن تهدي أنا جاي في الطريق.

وعند رجوعي إلي المنزل وجدتها جالسه مع أبي فقال لي أبي:

– إيه يا ياسر كنت فين يا إبني أمك قلبهنا مناحة عليك!

– معلش يا بابا خلصت شغل وطلعت بره شويه، كنت حابب أتمشى مع نفسي ونسيت إني عامل الموبيل صامت..

– أمي: هتطفح ولا لأ !

– طفحت برا يا ماما متقلقيش عليا إبنك مش بينام جعان.

دخلت غرفتي وخلعت ملابسي وقبل أن أخلد للنوم قولت لأمي لا تيقظيني مبكراً واتركيني نائم ثم اجريت مكالمه مع حسن صديقي في مكان العمل.

– معلش يا حسن أنا تعبان بقالي فترة ومش قادر أعملي أجازة بدون مرتب وتكون مفتوحة.

– يا إبني المدير عمال يسأل عليك لدرجة إن كان هيتصل بالبيت بس مرضيش لحد ما حد مننا يجليك يشوف مالك!

– أنا كويس يا حسن بس تعبان وحالتي النفسية مش كويسة .

– طيب مش مهم الشغل دلوقتي على قد ما المهم تبقى كويس ومتشيلش هم أنا هعملك بكره أول ما أوصل الشغل أجازة مرضية مفتوحة ومتخافش هظبطلك أنا الدنيا هنا.

– ربنا يخليك يا حسن، عاوز حاجة !

– لأ شكراً وابقي طمنا عليك وأنا بكره هتصل بيك أعرفك اللي عملته.

"اغلقت معه المكالمة وألقيت نفسي على سريري وأغمضت عيني ونمت، لم اشعر بنفسي إلا وانا مستقيظ صباح اليوم التالي".

وقفت على باب غرفتي وقلت لأمي :

– ماما كتريلي من العصاير وعلى الغدا شربة وكدا ها؟

– أنت وشك ماله كدا أصفر أنت كنت فين يا ياسر إمبارح ؟

– ما أنا قولتلك يا ماما كنت فين !

– أنت بتزعق ليا ؟!

– أنا زعقت؟ بذمتك يا بابا أنا زعقتلها؟!

قام ابي وهو يغمز لي بعينه وقال :

– كلم أمك يا ياسر بطريقة أحسن من كدا عيب دي أمك.

– حاضر يا بابا وعموماً أنا أسف يا ماما ورايح أبوسها على رأسها قالتلي أوعى كدا مش عاوزه حد يبوسني أوعي يا واااد.

– بابا، متسبهاش يا ياسر أمسك رأسها وإيديها يا إبني بوسها.

– ماما، أمشي روح أستر نفسك بدل ما تاخد برد، أنا مش عارفه أنت صيف وشتا بتنام بالبوكسر مبتبردش يا إبني!

– أبرد إزاي يا أم ياسر يا حنينة دا أنا ببقى نايم في الأوضة وأنتي من أوضتك حنانك بيدفيني .

– إبتسمت، عامل زي أبوك بياع كلام.

دخلت الحمام لأستحم ثم قبلت أمي وأخذت كوب العصير وإتجهت إلى غرفتي وجلست على المكتب وفتحت الدفتر، أمسكت بالقلم وكتبت كل ما حدث بالحرف في المستشفي وعن نظارتها لي عندما رأتني وأدركت أن الشخص الذي تبرع لها بالدم هو أنا..

سمعت صوت هاتفي، فأتيت به من على السرير فوجدت الرقم بنت خالتي جيهان

- ألـــو

- أنت فين يا إبني بقالك أسبوعين مُختفي بحاول أكلمك ومش بترد عليا دا أنا اتصلت بيك حوالي 100 مرة أنت مش بتبُص على الموبيل ولا إيه!

- معلش يا جيهان كُنت تعبان شويه وكان عندي شويه مشاكل كدا.

- دا أنا قولت لخالتي تقولك أتصل بيا لما تشوفك هى ماقالتش ليك ولا إيه!

- معلش يا جي جي شكلها نسيت بس.

- طب إيه بقى! إيه الكلام اللي دار بينكم!

- بُصي يا جيهان هو ولد كويس كـ شكل ووسيم وشيك وتحسيه إبن ناس أوي يعني، بس ...

- بس إيه يا ياسر ؟

- مش عارف اقولك يا جي جي بس بصراحة أنا مش عارف حاسه كدا مالوش طموح عكس ما بتقولي يا جيهان !

- دا بيحبني وهيعمل كتير عشاني هو قال كدا.

- هو قال بس لما يعمل هيعمل من فلوس أبوه مش من فلوسه اللي تعب فيها وعرق عشان يجيبها، عموماً يا جيهان أنا مش بقلل منه بس هو أكيد لو بيحبك هيعمل وخليكي معاه بس في نفس الوقت خلي بالك من نفسك أوي عشان دا لسه في الجامعة ومُمكن الأيام تغير الناس أوي وعموماً الحياة قسمة ونصيب.

- أنت خوفتني بكلامك دا أوي يا ياسر!

- مفيش خوف ولا حاجة يا بنتي بس أنتي خلي بالك من نفسك وخلاص وركزي الأول في مستقبلك يعني إدي لمستقبلك الدرجة الأولى من الإهتمام ثم هو عشان دراستك متتأثرش وتأهملي بنفسك بعدين..

- صحيح البنت اللي شافتك في عيد الميلاد مصدعاني وبتقولي ما تجيبيه الجامعة معاكي في يوم وتعرفيني عليه .

- ضحكت وقولتلها، أه أخد بالي منها بس أنتي فاهمة أنا ماليش في لعب العيال وأنتي عارفه البنات اللي زي دي عايشه على الإعجاب، يعني تعجب كل شويه بواحد.

- بقولك ما تبقى تيجي تأخدني مرة من الجامعة !

- بس كدا! أنتي تُأمري يا جي جي .

- ابقى سلملي على خالتي بقى ماشي .

- يوصل يا معلم أنت تُأمر.

- يلا عاوز حاجة ؟

- لأ تسلميلي، سلام.

قفلت مع جيهان..

وضعت القلم في منتصف الدفتر ووضعته في الدرج وامسكت بميدالية مفاتيحي ألعب بها وهى في يدي وأفكر في حالها الآن، بدأت أتحدث مع نفسي قليلاً عنها..

ألبس وأروح المطعم أطمن عليها !

لا لا إتقل شويه ..

بس هى زمانها مستنياني عشان تتكلم معايا ؟

ياعم متبقاش مدلوق كدا اصبر شويه..

يعني استنى شويه بس قد إيه؟

خليهم يومين مثلاً ..

أنا مش قادر استحمل أكتر من كدا أنا عايز اغمض عيني أفتحها الاقيني في المطعم قاعد بكلمها.

بُص أنت كدا هتبوظ كل اللي بتعمله.

تعرف أكتر حاجة بندم عليها هو إن أنا بتكلم معاك عشان فعلاً أنت عمرك ما ريحتني وأنا باخد رأيك في حاجة.

ياعم متتكلمش معايا تاني لو مش عاجبك كلامي..

أيوة مش هتكلم معاك لإنك حاجة خرا، كل ما اتكلم تنرفزني يا حيوان، اشتم، اشتم يعني أنت بتشتم حد تاني ما أنت بتشتم نفسك.

فعلاً أنا بتشم بنفسي عشان مش عارف أعمل أي حاجة وخايف أروح أكلمها بس أكيد هى مبسوطة من اللي أنا عملته عشانها، عموماً أنا هصبر شويه، يومين وأروح المطعم أكلمها.

اليوم يمر علي وهو يمزق في جسدي والساعة كأنها سنه، اتمنى ان يمر الوقت سريعاً، لقد كبرت الأيام في السن واصحبت غير قادره على السير وتقف ثابته لا تتحرك إلا ببطء شديد..

أحاول أن أنام فأفكر بها فيهرب النوم من عيني واظل ساهراً الي الصباح فيدخل شعاع الشمس من شرفة غرفتي، هل هذا هو الحُب ؟ أم هي مجرد فتره في حياتي، كل ما يحدث لي لا أستطيع أن أفهمه، لقد فقد عقلي السيطره وأصبح مشتتاً واصبحت أنا كاللعبه تحركني مشاعري كما تشاء في أي مكان وأنا علي الطاعة..

مر اليوم الأول بكل صعوبه، اقتربت من رؤيتها تبقي لي يوماً واحداً، جلست على سريري افكر ماذا أرتدي غداً؟

فتحت الدولاب ونظرت فيه، مكثت واقفاً نص ساعة أنظر لملابسي لكني في حيرة، أخرجت أكثر من بنطلون مختلف في الشكل واللون وأخرجت قُمصان وتشيرتات كثيرة لكني لا أدري أختار أيهما معاً؟

اتصلت بجيهان :

– ألو إزيك يا جوجو !

– تمام يا ياسر، أنت إزيك؟

– أنا كويس أنتي عامله إيه مع زياد؟!

– أنا كويسه لسه كنا بنتخانق من شويه.

– يا بنتي عادي ياما بتحصل خناقات.

– أه، شويه كدا وهنتكلم أنا وهو.

– بقولك هو البنت بتحب الولد يلبس إيه يعني لو رايح يقابلها!

– ضحكت و قالتلي: أوبا أنت وقعت ولا إيه!

– لأ بجد هحكيلك بعدين بس قوليلي !

– جزمة وبنطلون وقميص و عليه بلوفر كدا شيك.

– تمام يا جوجو يلا بقى أنا هقفل أكلمك بعدين.

– أنت بتتصل بيا عشان مصلحتك ماشي يا سيدي خد راحتك، سلام.

أخرجت بنطلون أسود وقميص أبيض وبلوفر رمادي وأمسكت الجزمة السوداء امسحها وبعدما أنتهيت من تحضيرهم أرسلت البنطلون و البلوفر و القميص للمغسلة للتنظيف و الكي الجيد..

اليوم الثاني ليلاً..

جالس ولا أستطيع الإنتظار وأريد خرق كل السدود والحوائط بقلبي لأراها، أنتظر طلوع القمر بفارغ الصبر ليغيب وتشرق الشمس بيومٍ جديد حتى استطيع الذهاب اللي مطعمها وأراها، أفكر كيف سأتحدث معها وكيف سأظهر لها حبي !

حتي اختطفني النوم وغرقت في أحلامي..

أستيقظت على صوت أمي كالعادة:

– أنت مش بتروح ليه الشغل؟ هما رفدوك ولا إيه !

– لأ يا ماما أنا واخد أجازة بس شويه وراجع .

– وليه واخد أجازة !

– مافيش تعبان شويه وقولت اريح جسمي يومين كده .

– طيب قوم افطر والمغسلة بعتت ليك الهدوم دي، أنت رايح فين !

– مفيش رايح مشوار كدا مع صحابي..

بعد مناقشات أمي الطويلة فطرت وإتجهت لغرفتي..

جالس أنتظر صوت ساعة الحائط وهى تدق للساعة الثالثة عصراً..

وقفت أمام مرآتي أجرب في ضحكاتي وأحرك يدي وأنا أتحدث، بروفا ما قبل اللقاء حتى لا أقع في خطأ يرجعني خطوات إلى الوراء..

عندما أصبح العقرب عند الساعة الثالثة إرتديت ملابسي وقفت أمام مرآتي أنظر لنفسي النظرة الأخيرة قبل الخروج ثم قلت لنفسي :

دا شكل واحد يروح يقابل واحدة بيحبها؟ اتفوا عليك يا أخي.

نزلت على سلالم المنزل وقلبي يترجف كثيراً وخائف أن تتسخ ملابسي بأتربة الشوارع وعند ركوبي للمواصلات حاولت أن أكون حذر جداً حتى لا تتسخ ملابسي حتي تصل إلي المطعم..

الشريط الخامس

ولنا في الوداع لقاء

بعد الإنتظار

وقفت أمام المطعم، أشعور بربكه وخوف يسيطر على كل أجزاء جسدي وشعرت بأن قدمي لا تستطيع الوقوف وأن ستكون راحتها إذا غيرت مساري ورجعت لبيتي لكن خوفي من أن الفرصة لا تأتي إلا مرة واحدة في العمر جعلني أقوي نفسي، أخاف أن أخسرها للأبد، قابلتها منذ فترة قصيرة جداً ولكنني تعلقت بها كالطفل الذي تعلق بأمه، اقتربت بخطوات للمطعم ثم فتحت باب المطعم ودخلت وجدتها جالسة على طاولتها المخصصة تحتسي فنجان القهوة ولا تشعر بوجودي وأنا أنظر لها بكل هدوء..

وعند رؤيتها لي وقفت وقالت:

– اتفضل تعالي اقعد تحب تشرب إيه؟

– أنا مش عارف بس أنا اللي هحاسب دا بعد إذنك ؟

– إبتسمت، مش هغصب عليك اللي تشوفه يا ياسر.

– شكراً لذوقك.

– أنا فضلت كتير مستنياك لدرجة إن قولت يعني جرالك حاجة!

– مستنياني، أنا ؟!

– أيوة مستنياك أنت عشان اللي عملته معايا مش حاجة سهلة مُمكن ننساها بسرعة وبعدين أنت مشيت ليه من المستشفى لما قومت سألت عليك قالولي دا مشي بقاله 3 ساعات كدا!

– أه أصل ماكنش ينفع أفضل كتير في المستشفى وبعدين كفاية إن أطمنت عليكي وبقيتي كويسة.

– أنت عملت معايا كل اللي اتعمل دا ليه؟! ليه بتفضل مراقبني وبتجيلي المطعم وتفضل مركز معايا؟ وليه اتبرعت بـ3 أكياس دم مرة واحدة كدا؟! مش هترد عليا وهتقولي برده عشان أشوفك كويسة ؟!

ظللت منتبهاً لحركات عينيها وهى تتحدث وفي طريقة حركات شفاتيها الصغيرة وهى تخرج الكلام ثم إبتسمت وقلت:

- أنا مش عارف أقول إيه! مش عارف أوصف اللي جوايا دا ليكى بإيه! حاسس إن أنا أعرفك، حاسس إن أنتى مني أناأ أنا مهما قولت هفضل أقولك مش عارف أوصفلك إحساسي لو قولتلك إن أنا بحبك أبقى أكبر كداب ومتصدقيش كلامي أنا اللي جوايا ليكي أكبر من الكلمة دى..

إزاي كلمة من أربع حروف توصف كل اللي جوايا ليكي ؟!

إزاي كلمة تقدر توصف مشاعرنا وإحساسنا !

كلمة "بحبك" يعني إيه بحبك !

هو أنا بحبك! أنا مش عارف، أنا حاسس إن في حاجات كتير أوي فيا عاوزاكي..

كل ما بقعد مع نفسي بشتمني، أيوة متستغربيش بشتمني، بشتم نفسي عشان مش لاقي حل، مش لاقي كلمة توصفني بُصي عشان نكون متفقين أنا مش بحبك لإن مش مُعترف بالكلمة دي مش مُعترف بأربع حروف لازقين في بعض بيكونوا كلمة مُمكن توصف إحساسنا، لأ أنا مش مقتنع أن أنا بحبك لإن أنا مش عارف أقولك إيه !

أنا أمى ولدتني يوم ما شوفتك، كل اللي عدى من عمري قبل ما أشوفك ماكنتش عايش.

أنا مُستعد أديكى كل الدم اللي جوايا، مستعد أعمل كل حاجة عشانك، أنا مسحور بيكى لما شوفتك ماكنتش سامع أي صوت حواليا، مش عارف ليه أنا بعمل معاكي كدا؟ ومش هقولك بحبك، فهماني !

بتبُص لكلامي وساكته مش عارفه تقول إيه ؟!

الكلمة دى ضايقتنى أوي بس مش لاقي غيرها عشان أقولها..

هاتى إيدك وحطيها علي قلبي يمكن تحسى باللي جوايا أنتى إزاي مكانك على الأرض!

أنتى المفروض تكوني عايشة في الجنة مع الحوريات اللي زيك.

ربنا إدالك جمال الدنيا في عنيكى وفي حركتك وفي طريقة كلامك حتى في نفسك الهادي لما بتكونى نايمة.

"أول مرة أشوف حد كامل من كل حاجة".

كل حاجة ناقصة حاجة إلا أنتي..

إلا أنتي مفيش فيكي عيوب كلك على بعضك حلوة طب عارفة أنا حاسس فعلاً إن أنا جوا حلم !

لو بحلم ياريت ماقومش من نومي وأفضل عايش على الحلم خليني نايم بحلم بيكي..

وبعد سكوتها الذي طال كثيراً قالت لي ثلاث كلمات :

- أنت كتير عليا.

- كتير؟

أنا .. أنا ولا حاجة من غيرك، مش عاوز حاجة غير إنك تخليني أحبك حتى لو مش بتحبيني أنا ربنا قالي أحبك وأنا بنفذ اللي ربنا طلبه مني أنتي لازم تتحبي، حبي دا واللي حاسه دا مش بإيدى كل حاجة بقولها دلوقتي مش أنا اللي بقولها دا قلبي اللي بين ضلوعي، صدقينى.

- أنا مش عارفة أقولك إيه !

- أنتي بتحبي حد تاني !

- لأ بس أنا خايفة أوي.

- مني ؟!

- لأ أنت مش هتفهمني .

- طب حاولي يمكن أفهمك !

- سيب كل حاجة للأيام والأيام هتوضح كل حاجة.

- حاضر، اللي تشوفيه .

- أنا مضطره أسيبك وأطلع المكتب فوق ورايا حاجات أعملها..

- إتفضلي.

صعدت على السلم المؤدي لمكتبها في الدور العلوي أما أنا فدفعت الحساب وذهبت..

خرجت من باب المطعم والحيرة مسيطرة على عقلي وأسترجع كل حديثي معاها هل أخطأت لذلك ذهبت وتركتي؟ أم بسبب ما قلته لها وبسبب مواجهتي لها بمشاعري الدفينه التي إستيقظت لتحيني أم كنت جريئاً للغاية؟ أم هى حقاً ورأها أشياء كما قالت لي؟ أو هذا مظهر من مظاهر خجل كل أنثى؟

موبيلي بيرن...

- ألو، مين معايا !

- إيه يا إبني أنت مش مسجل رقمي ؟

- أحمد فراج !

- أيوة، أحمد يا حيوان .

- إزيك يا أحمد أنت فين !

- أنا نزلت رجعت من إنجلترا بقالي يومين .

- وجبت رقمي منين؟

- إتصلت بالرجالة القديمة وأخدته منهم .

- طب عاوزين نقعد مع بعض نفتكر أيامنا الوسخة.

- لو فاضي بكره هعدي عليك نخرج شويه، صحيح أنتوا لسه في بيتكم ولا مشيتوا منه ؟

- لأ لسه في بيتنا زي ما إحنا .

- طيب تمام بكره هعدي عليك بالليل كدا ماشي !

- ماشي إتفقنا يا وسخ و الله واحشني.

"بعد كمية شتايم مني ومنه قفلنا مع بعض وكملت طريقي للبيت".

في اليوم ثاني ذهبت إلى مطعمها ليس من أجل الحديث معاها ولكن من أجل أن أراها من على بعد وهذا شيء يكفيني ليسعدني أن أراها بصحة جيدة حتى لو كانت لا تريد أن تراني ثانيةً..

دخلت المطعم وجلست على طاوله من طاولات الزبائن وطلبت الغداء وبعد ما إنتهيت من الغداء طلبت قهوة اشربها ثم قمت ودفعت الحساب ومتهجه لباب الخروج..

سمعت صوت يتردد صداه بداخلي، سمعت صوتها يحمل اسمي:

- ياسر!

شعرت وأن عقارب الساعة قد توقفت وكل من حولي أصابه التجمد ..

نظرت لها وتعبيرات وجهي غير طبيعية لا أنا حزين ولا أنا سعيد، نصف وجهي يبتسم والنصف الأخر حزين وقلبي يرتجف ولا أعرف ماذا على أن أفعل !

- أفندم أنا !

- أيوة مش أنت ياسر!

'' قلت لها بطريقه مرحة تصاحبها ابتسامه''

- أيوة، أيوة أنا ياسر!

وقبل أن اتحدث معاها أتتها مكالمة :

- مُمكن تنستنى شويه، خليك معايا أرد بس.

- ماشي.

وقفت خجلان من نفسي لا أعرف لماذا أشعر بهذا الإحساس الآن!

وقفت أنظر بطرف عيني عليها وهى تتكلم في هاتفها وأنا منتبه لنبرات صوتها جيداً ومنتبه فقط لما تقوله هى ولا أهتم لصوت من حوالي، فقط جعلت كل حواسي تنتبه لها ومنتبه لحركات يدها وتعبيرات وجهها وهى تتحدث..

وعند إنتهائها قالت :

– أسفة جداً يا ياسر أصل دا كان تليفون مهم مع تاجر بنجيب منه طلبات المطعم وهو يعني بيسهلنا الدنيا كتير، أكتر من التجار اللي مش بتعمل حساب للناس وكل همها تكسب وتزايد علينا، تحب نطلع فوق نتكلم في المكتب احسن من دوشة صالة الأكل ؟!

– ماشي، مفيش مشكلة عندي.

اسير خلفها وانظر للحوائط شاهدت صور معلقه لأشخاص كثيرين وتحت كل صوره اسم الشخص وسنة ميلاده ووفاته حتى وصلت للمكتب ودخلت جسلت..

– تحب تشرب إيه؟

– لأ، أنا لسه شارب قهوة.

– ياسر، أنا مضايقة جداً من حاجة جوايا مش عارفة إيه اللي بيحصل، أنا عاوزه اقولك على حاجة..

كل بنت بتتمنى تلاقى الشخص اللي بيحبها ويحسسها بكل حاجة فيها ودايماً يخليها متأكده إن قلبه معاها مش مع غيرها ومفيش بنت تقدر تقول غير كدا، بس أنت حبك ليا عدى كل دا ..

أنا مش متأكدة أصلاً لحد دلوقتى إنك بتحبنى ويمكن بتضحك عليا بشويه مواقف عملتها، لما بفكر بستغرب ساعات بقول بيحبني وساعات بقول لأ في ناس مُمكن تعمل زيه عشان توصل للحاجة دي وبعدها يرموها زي ما عملوا مع غيرها، أنا حاسة بتناقض فظيع في إحساسي تجاهك مش عارفة أنت بتحبني بجد ولا لأ !

طب، بُص هقولك امم، قامت من على كرسي المكتب و قعدت قدام الكرسي اللي قدامي :

– أنت متأكد إنك بتحبني! أصل كل اللي بشوفه دلوقتى أي شاب بيحب يتسلى وخلاص وأي بنت تقعد معاه فترة ويشوف غيرها ويقضيها لحد ما يزهق وبعدين يقرر يستقر، يتجوز يعني ..

عارف إيه اللي مضايقني ؟!

– إيه؟"بصوت فيه خوف"

– اللي مضايقني إني مش عارفة أحبك زى ما أنت بتحبني لو أنت فعلاً صادق في كل حاجة جواك ليا فـ أنت كتير عليا أنا هتجنن كل ما بحطك في مقارنة بين أي حد بتطلع أنت الكسبان دايماً طيب اقنعني إنك بتحبني؟

– مش عارف أقنعك إزاي !

بس اللي أعرفه إن كل يوم بفكر فيكي صحيح فلوسي خلصت بسبب أكلكم الغالى في المطعم وخلاص شويه وهشحت بس مش فارق معايا كل دا خالص في سبيل إن أنا أشوفك قدام عيوني صحيح عمال أخد في أدوية من ساعة ما إتبرعت ليكى بالدم وأشرب عصاير وأخد مقويات وفيتامينات بس برده بالنسبالى دا شيء عادي.

كل اللي عملته عشانك وأنتى شايفه من جواكى إنه كتير فهو مش حاجة دي أقل حاجة مُمكن أقدمها ليكى أقل حاجة مُمكن اعبرلك بيها عن نفسى وأقولك بيها أنا موجود جنبك.

نظرت لي وقالت بإبتسامة:

– أنا فعلاً نفسي كل ده يبقى شيء حقيقي ونفسي أكتر إن أحس معاك بالأمان وعاوزة أعيش كل لحظة حلوة مع الشخص اللي قدامي أو اللي بيحبني، بقولك إيه رأيك نخرج نتمشى شويه أنا وأنت !

– طبعاً دي حاجة تفرحني أوي لما أتمشى معاكي أنتي.

– إبتسمت، طيب يلا بقي تعالى.

نزلنا من المكتب وقبل أن نخرج من المطعم إتجهت لأحد العمال في المطعم تقول له أن يدير المطعم في غيابها ولو حدث شيء يتصل بها فوراً..

وأنا أسير بجانبها على البحر أترك بيننا مسافة ومنتبه جداً لحركات يدي حتى لا تلمسها بدون قصد وتقول في بالها أنني أريد لمسها بطريقة أو بأخرى، جلسنا على صخرة صغيرة أمام البحر ..

وفجأة ونحن نداعب البحر بالحجارة قالت:

- شايف البحر هادي أوي النهاردة، تعرف البحر دا عشق بالنسبالي ساعات بعتبره صديق نتكلم أنا وهو، بحس وأنا بتكلم معاه إنه بيحتويني بنسمة هواه الباردة وبيأخد كلامي يدفنه في أعماق أعماقه ويقفل عليه وأفضل أجيله اتكلم معاه لحد ما أزهق وأمشي، عارف! عمره ما قالي كفاية أنا صدعت منك ولا حتى قالي أنا مضطر أسيبك عشان مشغول، دايماً موجود للي يحتاج يتكلم معاه ودايماً سامعني وأنا بشكيله وكتير أوي بحس إن موجه العالي بيرفع دعواتي للسما بيرفعها لربنا وبتخيل الكلام وهو متشال على نسمته الباردة وهو طاير فوق أوي بيرفع كلامي لربنا يسمعه ويلبيلي دعواتي..

كل حاجة حواليا بلاقيها بتحتويني إلا الأشخاص زي ما يكون ربنا بيقولي أنا جنبك متخافيش، كتير بلاقي الشجر بيضلل عليا في وقت مفيش فيه حد بيضلل فيه على حد وكتير بلاقي السحاب ماشي معايا نفس إتجاه طريقي بيوصلني لبيتي زي الحارس وطول ما أنا ماشيه ببُصله وببتسم ومن جماله مابعرفش أنزل عيوني من عليه..

ربنا خالق حاجات جميلة بطريقة غريبة تخليك واقف موهوم من جمالها مع إنك بتشوفها كل يوم لكن بتختلف نظرتك من نظرة عادية لنظرة فيها تركيز لتكوين الدنيا حواليك.

- عارفة أنا زيك بس في حاجات زي مثلاً أنتي بتحبي تتكلمي مع البحر لكن أنا بكتب كل إحساسي في دفتر صغير كدا وياما اتكلمت عنك وحكيتله عن اللي جوايا ليكي ولسه

بحكيله وهو دائماً كان بيسجل كل إحساسي عن طريق الحبر اللي خارج من قلمي اللي متوصل بنضبات قلبي.

"ابتسمت لي واقتربت مني وأمسكت بيدي فأمسكت بيديها أنا أيضاً، صاحبني شعوراً لأول مرة سكنني فرحة لا تسع حجم الكرة الأرضية، فحاولت أن أسيطر على نفسي حتى لا يظهر غبائي لها"...

قالت لي:

- مالك؟

- مش عارف !

- "قالت بصوت مليان ضعف" هتفضل تحبني؟

- مين دا اللي هتفضل ؟! أنا؟ دا أنا ماكنتش مصدق أصلاً إن هيجي يوم زي دا ألمس فيه إيدك زي ما بيحصل دلوقتي .

- طب احكيلي عن نفسك أكتر؟

- أنا مواليد الشهرين اللي فاتوا، يوم ماشوفتك حياتي من هنا إبتدت أي حاجة فاتت زمان معرفش عنها حاجة.

"دخلت إيدها من بين ذراعي وجسمي وحطت رأسها على كتفي وإحنا ماشيين، قربت رأسي من رأسها عشان أشم ريحة شعرها الطويل، شميت ريحة شعرها لما شعرها طار مع الهوا وغطا وشي من غير ما تاخد بالها ورفعت رأسى للسما وإتمنيت حاجات كتير جوايا وكل الحاجات دى كانت "هى" كل حاجة بتمناها"

قمنا من على الصخره و سيرنا معاً على رمال الشاطئ حتى جلسنا بجانب بعض كتفي يلمس كتفها وقالت بصوتاً يمتلئ بالخوف والحيرة:

- مش هكدب عليك حواليا كتير، تقدر تقول صحابي وجيراني وناس كتير بس من جوايا أنا لوحدي، لوحدي في كل حاجة حتى إحساسي مش بظهره لحد وبظهر العكس..

مُمكن تقول ليا كلمة تزعلني وأنت مش واخد بالك فأخبي إحساس الزعل بين ضلوعي وأضحك في وشك وإحساسك إنه عادي بس أنا مضايقة وهظهرلك عكس إحساس الكلام..

كلامك حلو أو وحش مش بنساه وبفضل محتفظه بيه ومش معنى كدا إن قلبي أسود لكن مش متعوده أعدي أي كلمة كدا عادي عشان الكلام بيأثر فيا جداً بطريقة صعبة..

عارف!، لما حد يضربك على وشك وصوابعه بتعلم بس بعدها بشويه إحساس الوجع بيروح إنما لو لحد قالك كلمة تضايقك إحساسها بيسكن جواك وكل ما تفتكرها تحسها أكنها لسه متقاله ليك دلوقتي.

ناس كتير في حياتنا بتقول كلام يزعل بس بنتظاهر إن مفيش حاجة وإن معندناش دم لسبب بسيط جداً، هما مش قادرين يفهموه إن إحنا مش عاوزين نخسرهم أصل مافيش غيرهم عشان نخسرهم، مفيش بديل.

وبالرغم من إن أنا باجي على نفسي كتير عشانهم خسرتهم برده وأكتشفت إن الخسارة جايه جايه مدام اللي قدامي مش فاهمني يعني من الأخر قولت أصون كرامتي ونفسي وكفايه إهانه لحد كدا..

بس المشكلة قبل ما يمشوا من حياتنا بيغيرونا لأشخاص ثانية، أشخاص مختلفة في كل حاجة حتى إحساسنا بالشيء اتغير لدرجة إن لو حبينا حد مش هنحبه بنفس الدرجة خوفاً من تكرار المأساه وعايشين بنقابل في ناس وفي اللي بيجي في الوقت الغلط اللي مستعدين نخسر فيه كل حاجة وفي اللي بيجي في الوقت اللي إحنا خسرنا فيه كل حاجة..

مشكلتنا كبرت وتعبنا زاد لدرجة إن كتير بنهرب من الحياة وبنعمل حاجات غلط، حاجات لو رجع بينا الزمان مكناش عملناها بس بنعملها دلوقتي وعارفين إنها غلط بس بنعملها عشان نضيع الروتين.

بنوهم نفسنا إن الحياة حلوة عشان نعيشها أصلها فترة يعني زي ما في ناس سابونا ومشيوا هيجي علينا وقت ونمشي إحنا كمان من الدنيا خالص، نرجع تراب..، نرجع لأصلنا، نرجع تراب بيداس عليه..

هكدب عليك لو قولت أنا شخصية كويسة لإن مفيش شخص كويس عشان كلنا بنغلط ومفيش حد مكدبش حتى لو بهزار ومفيش حد جرح حتى لو بدون قصد

ومفيش حد مثالي، يعني من الأخر فينا عيوب من رأسنا لرجلينا، ساعات في ناس بتنصحنا زي أهلنا لما يشوفنا بنعمل حاجة غلط وهما بينصحونا بنشوف في عيونهم جملة أنا بنصحك عشان أنا جربت وملقتش اللي ينصحني زمان، عارف النظرة اللي بتكون في عيونهم وقت النصيحة نظرة مالهاش غير معني واحد وهو:

" أنا لو كان في حد بينصحني زي ما أنا بنصحك ماكنش دا بقى حالي"

لما حد بيحاول يطلعني من حالة أنا دخلت فيها ويقولي بُصي لنص الكوباية المليان بمسكها وبشربها وأقوله اهو الكوباية فضيت، مع إنه مش واخد باله إن في نص فاضي فوق النص المليان.

بُص يا ياسر:

تفسير حالتي اللي عيشاها إن العيب مني أنا ومع إن أنا أتغيرت إلا إن أنا لسه محتاجة أتغير أكتر عشان أعرف أكمل لفترة أطول، أصل الحياة مستويات وأنا لسه قدامي كتير أوي، يمكن أموت وأنا لسه في المستوي الأول من تجارب الحياة اللي من كتر مرارتها مش عارفين نبلع ريقنا أنا مش كئيبة ولا عايشه في الظلمه لكن بخبي جوايا كتير فبيجي عليا وقت لازم أتكلم عشان أقلل من الكلام اللي أخد مكان كبير عشان أفضي مكان للكلام

اللي جاي عشان لما يجي يلاقي مكان فاضي أحسن ما يطفح زي كوباية المايه لما تكتفي ولما متلاقيش

مكان بتغرق اللي حواليها..

أنا عايشه ومكمله لبكره رغم إن أنا مش عارفة بكره فيه إيه وإيه اللي مُمكن يتغير فيا أو فيك ومكمله يمكن الأقي نص الكوباية الفاضي بقى مليان..

أخذت نفساً طويلا بداخلها ثم قالت:

– أنا عارفة إن أنا اتكلمت كتير أوي بس كنت محتاجة اتكلم ماصدقت لقيتك عشان اتكلم معاك لإن أكيد هتكون أكتر حد فاهمني مش كدا ولا أنا غلطانة!

– لاء طبعاً أنتي صح وإخترتي الإنسان الصح اللي مُمكن يسمعلك بس عارفة أنا كمان محتاج حد يسمعلي بس مش أنتي لإن أنتي عندك وجواكي كتير أوي

ومكفيكي نخليها يوم تاني أحسن، يلا نقوم عشان الجو بدأ يليل وهيبرد وأنتي لابسه خفيف .

وقفنا ثم نظفنا ملابسنا من الرمل وتصاحبنا هستيريا الضحك وهي تلوح لي بيدها على الأماكن التي على ملابسي متسخه ببعض الرمال ثم أمسكت بيدها وأتجهنا الي رصيف الشارع ثم قلت لها:

– تحبي نأخد تاكسي عشان متبرديش وتوصلي للمطعم بسرعة !

– لأ مدام إحنا جينها مشي نرجعها مشي ولا أنت مش رياضي !

– لأ طبعاً دا أنا أشيلك واجري بيكي للمطعم بس قولي أنتي بس .

ونحن نسير على الطريق وجدتها ترتجف من البرد وفي اللحظه التي كنت اخلع فيها الجاكت حتى ترتديه قالت لي :

– لا لا لا أوعى هتعمل زي الأفلام و تقولي خدي الجاكت و كده عشان كده هيبقي أوفر يعني منك وبعدين أنت يادوب لابس تيشرت خفيف يعني هتموت قبل ما توصل للمطعم .

– يعني يرضيكي أمشي أنا دفيان جنبك وأنتي بردانة طبعا لأ لو أنتي وافقتي أنا مش هوافق خدي الجاكت إلبسيه وبطلي عناد عشان واضح إن دماغك هتبقى ناشفة أوي وبعدين هيبقي شكله حلو عليكي أوي على فكرة جربي طيب كدا !

– هجرب بس مش هفضل لابساه ،إتفقنا !

– ماشي.

’’كان الجاكت جميل جداً عليها وفي هذه اللحظه تخيلتها في بيتي وهى ترتدي ملابسي وقميصي بشعرها الطويل على كتفيها مثل الوردة‘‘

قالت:

– يلا هقلعه .

– لأ مش هتقلعيه ومش هاخده بجد.

– بس إحنا إتفقنا !

– أنا قولت ماشي بس ماقولتش ماشي إتفقنا .

إبتسمت لي إبتسامه جلعتني أريد أن أمسك شعرها بيدي والأخرى على خصرها وشفتاي تقبلها ثم أكملنا السير حتى وصلنا للمطعم :

–هشوفك بكره يا ياسر ؟!

– لو معندكيش مانع !

وهي تودعني كنت اريد أن اقل لها الجاكت الجو بارد !

كيف سأذهب الي بيتي الان في هذا الجو، اعتقد بأنها نسيت، رجعت الي المنزل جسدي يرتعش من البرد، فتحت الباب وجدت ابي وامي امامي جالسين وامي تنظر لي بإستغراب ثم قالت:

– إيه يا إبني فين الجاكت بتاعك !

– الجاكت أه الجاكت، أنا .. أنا نسيته مع صحبي هجيبه بكره بقى عشان مش هينفع ارجع تاني وأنا كلمته وقالي إنه معاه.

"قبل أن أذهب وأتركها كنت متردد من طلب رقم الهاتف منها واكتفيت إن كل يوم أراها أمامي وذلك أفضل بكثير من أن أحدثها لمجرد دقائق وهى ليست أمامي".

اتجهت لغرفتي واقفلت على نفسي الباب وإذ فجأةً وجدت أمي تقول لي:

– كلم جيهان خطيبتك عاوزك بقالها كتير بتسأل، إرحم البنت وكلمها، أنت قلبك إيه يا أخي البنت بتحبك يا حيوان خلى عند أبوك دم وكلمها !

– بابا قالها ومال أبوه دلوقتي بتجيبي سيرتي ليه !

– مُمكن تسكت أنت إما اشوف إبنك دا اللي مش هيجيبها البر .

– أنتي عاوزة إيه من الواد هو مش بيحبها سيبيه هو الجواز بالعافيه ؟

– بس بنت خالته بتحبه طول النهار بتتصل بيه والأستاذ مش عاوز يحن عليها و يرد، مش عارفة طالع لمين "بتبص لبابا بنظره فيها تلقيح كلام"

تركت أمي تتشاجر مع أبي كالعادة وامسكت بهاتفي واتصلت بجيهان:

– ألو، أسف يا جي جي كنت عامل الموبيل صامت ومش سامعه خالص،

خير في حاجة ولا إيه ؟

– أه فيه وبعدين إيه الصامت اللي عايشلنا فيه دا، المهم دا مش موضوعنا، دلوقتي أنا بكره عندي حفلة وعاوزاك تيجي تحضر الحفلة معايا ماشي؟

– مش زياد موجود يا بنتي ؟

– زياد أه موجود بس تعالى عشان عاوزاك برده في موضوع كدا.

– أوعي تكوني عاوزه تعرفيني على البنت صحبتك بتاعت العيد الميلاد!

– لا لا دي إرتبطت بأربعة بعدك وسابتهم، معندهاش وقت تقضيه لوحدها بنت الصايعة دي.

– طيب، أنا هاجي بكره بس على كام ؟

– يعني تبقى هنا على 10:30 كدا ماشي !

– حاضر يا جيهان إتفقنا يلا عشان لسه هقوم اعملي أكل عشان جعان وخالتك لو قولتلها جعان هترزعني كلمتين تعشيني بيهم، يابت تحسي عيلتنا نسخة واحدة حتى جدتك، بقولك يلا سلام.

– سلام يا ياسر.

بعد إنتهائي من المكالمة إتجهت لشفرة الغرفة، أمسك سيجارتي بيدي، وقفت قليلاً ثم سمعت الهاتف وجدته "أحمد فراج" تضايقت لأنني نسيت موعدي معه ثم تحدثت معه:

–أنا عارف أنا زباله والله عشان نسيت الميعاد وكمان أنت ماجتش البيت يعني زي ما قولت !

– لأ أنا جيت وقعدت أنادي عليك ومفيش حد طلعلي وفضلت أرن عليك وقتها وأنت معبرتش أمي حتى كنت أقفل عليا أو كنسل عشان أعرف .

– معلش يا أحمد شكلي كنت عامله صامت وتلاقي بس أمي أو بابا مسمعوش صوتك وأنت بتنادي من تحت عشان أنت عارف في ياسر كتير في المنطقة .

– طيب إيه الساعة لسه 9 أجيلك ولا إيه رأيك !

– طيب خلاص أنا هلبس ومستنيك اهو يلا انجز أنت بس.

قفلت مع أحمد وإرتديت ملابسي مرة أخرى كنت مضطر لمقابلته لأنني نسيت الموعد الأول لنا، سمعت صوته وهو ينادي مثل ما كان ينادي علي ونحن صغار..

- أنا نازل حالاً اهو ثواني..

وأنا مستعد للخروج إذا بأمي في وجهي:

- أنت نازل ولا إيه ؟!

- أيوة يا ماما أحمد فراج صحبي لسه جاي من السفر وكنت قايله إن هقابله من يومين ونفضتله فشكلها وحش يعني متخافيش مش هتأخر أوي يعني وبعدين أنا المُفتاح معايا.

- طيب خد هاتلي معاك وأنت جاي حقنة السكر بتاعتي.

- لأ أنا معايا فلوس يلا سلام

أبي خرج من الغرفة :

- أنت رايح فين يا إبني دلوقتي !

- قوليله أنتي يا ماما لسه هعيد وضحكت في وشه.

''خرجت من البيت وعانقت أحمد ثم أخذنا السيارة وتجولنا في الشوارع''

- أيوه ياعم الفلوس ظهرت أهى عربية جديدة والحياة حلوة معاك.

- يا إبني بطل قر اهو أنتوا كدا لما تشوفوا الواحد ربنا فتحها عليه تفضلوا تقروا عليه لحد ما يفتقر تاني، واحد جارنا شاف العربية وأنا لسه جايبها جديدة بص ليا وقالي إيه الحلاوة دي اللي إداك يدينا يا سيدي والله يا ياسر كنت حاسس إن الأربع كوتشات بتوع العربية هيناموا دلوقي، راجل عينه صعبة، المهم أنت احكيلي إيه أخبار شُغلك !

- اهو تمام، واخد أجازة بقالي 6 أيام دلوقتي عشان حوار كدا ماشي فيه يا رب يكمل بس.

- حوار إيه دا؟ جواز ؟

- بُص هو لسه مش جواز بس نفسي يبقى جواز أوي، البنت كويسة ومحترمة وحاسسها شبهي أوي في كل حاجة يعني تقدر تقول هتعرف تعيش معايا وهنقدر نساعد بعض في

حياتنا وأمي مش سيباني في حالي مصممة على جواز بنت خالتي وخايف أنا أفاتحها في موضوع البنت دي .

– صحيح هى اسمها إيه البنت دي !

– ميادة.

– اسم حلو، طب والإمكانيات !

– ما تهدى يا إبني شويه أنت لسه راجع من إنجلترا يعني مش محتاج، تبُص لحد هنا يعني !

– تصدق رغم إن أنا عايش هناك والناس هناك متفتحه جداً إلا إن مش هتعرف تعيش مع واحدة غريبة يعني مُمكن لو حصلت بتنجح علاقة الزواج بس بنسب قليلة إنما لما تتجوز بنت بلدك بتحس إن لو حصلت حاجة هتعرف تلاقي حد تكلمة ومن بلدك وهتصونك وعارفة عاداتك وتقاليدك وهتعرف حتى تتفاهم معاك، يا أخي يكفيك إنها عاشت نفس طفولتك ولو جيت تهزر هتفهم هزارك إنما هناك أنت مضطر تفهم حياتهم وتتعايش مع الجو فاهمني !

– طب وأنت هناك مانمتش مع واحدة ولا حاجة !

– بُص هناك البنات كتير وبيموتوا في الولد العربي عكس إبن بلدهم يعني بيحسوا إن فيك دم حامي وبتغير وبتديها حق عليك وبتحسسها بأنوثتها كـ راجل بيغير وحمش على حبيبته وكمان حتى في النوم أنا مكدبش عليك نمت مع حوالي 9 ولا حاجة وتعرف لو عجبت البنت هتاخدك تنام معاها بدون أي عوائق إنما هنا في بلدنا مفيش الكلام دا خالص، البنت كبيرها يوم ما تعجب بيك تفضل مبلمه في وشك ولو تخيلت إنك معاها أقصى طموحها إنها تحضنك.

لكن مشكلتي إن أنا إتعودت على الخمرة والشرب فاهم يعني الجو البارد هناك لازم تديله خمرة عشان يحمي جسمك وغصب عني اتعودت بسبب السهر والخروجات والواحد

بيتكسف يرفض عشان شكلك فبتمد إيدك وتشرب زيك زيهم عشان ميحسوش إن في فرق بينك وبينهم وبعيداً عن إن مجتمعنا فيه المسلمين والمسحيين إلا إن عاداتنا واحدة مفيش أي إختلاف مُمكن في الديانة

لكن الإحترام هو الإحترام والتربية نفس التربية وفهمت أوي إن كل بلد أو مكان له عادات وتقاليد لازم تمشي عليها حتى لو أنت غريب عنها لإنك وقتها بتبقي الحاله الشاذه ومُمكن يبعدوا عنك بمجرد ما عملت عكس ما هما بيعملوا، بقولك مد إيدك تحت الكرسي هتلاقي إزازه هاتها .

ممدتُ يدي تحت الكرسي وجدت زجاجة خمر:

– إيه يا إبني أنت هتشرب كدا في الشارع أنت سايق هتودينا في داهيه يخربيت عقلك لا روحني أنا مش عاوز أموت.

– ضحك، أنا من كتر ما أدمنتها لو شربت أربعة زيها مش هحس بالفرق يعني مش هتسطل تقدر تقول لساني هيتقل شويه هتجنن مثلاً لكن مش هسكر السكر الطينة دا وبعدين دي نسبتها في الكحول قليلة، الخمرة هنا كلها مضروبة، صناعة بير السلم.

وقفنا في مكان لا يوجد فيه أحد وأخذ الزجاجة وفتحها:

– خد إشرب.

– لأ مش متعود ومش بشربها كمان أنا لو شميتها مُمكن أسكر ويحصلي حاجة بعدها أنا مش ضامنها، أصحى الصبح الأقيني متجوز واحدة معرفهاش ومخلف منها مش ناقصة هى.

مسك أحمد الزجاجة ورفعها على فمه وبعدما شرب :

– احكيلي بقى عن البنت اللي بتحبها دي يا عم العاشق.

"بدأت بالحديث من أول يوم قابلتها وانتهى حديثي عنها عند تركي امام المطعم".

- طب وأنت إيه عرفك إنها كويسة! ما في بنات ياما بيعيشوا الشرف وبيبقوا مُمثلين ويستحقوا يأخدوا أوسكار على دورهم دا!

أنت نسيت حواري ولا إيه؟ نسيت البنت اللي كنت بحبها؟ نسيت لما فضلت أحب فيها سنة ونص أكتشف في الأخر إن الأستاذة بتحب عليا أتنين وبالصدفة من صحبتها لما اتخانقوا مع بعض طلعوا بلاوي بعض !

لقيت صحبتها بتكلمني على الموبيل وبتقولي دي حطاك ع الرف زيك زي أي كتاب قديم وقت ما تحتاجه بتمد إيدها تاخده واللي ضايقني أكتر لما قالتلي إن إنها ماشية معايا وأتنين تانيين واللي يصدُق في كلامه هتتجوزه يعني بتمشي أمورها اللي يجي اهو أنا بحبه واللي مجاش أدينا بنتسلى ولما عرفت إنها اتخطبت لمهندس بترول لعبت عليه لحد ما جابته يا إبني البنات أنواع وأشكال فيهم الحلو والوحش والنوع الخطير اللي هو يوهمك إنه بيموت في أمك وفي الأخر تلاقيها بتموت في ميدالية مفاتيحك أكتر ما بتحبك أنت، يا ياسر أنت لسه مشوفتش ولا جربت زي ما جربنا، صحيح أنت عملت كتير في حياتك بس صدقني مهما إتعلمت في حياتك هتفضل تتعلم ولو فاكر إن صعب واحدة تضحك عليك هتلاقي كتير أوي بيضحكوا عليك وأنت فاهم إنك أصيع منهم.

هما صحيح جنس ناعم منقدرش نعيش من غيرهم ولما تبُص لشكلهم تحبهم من نعومة صوتهم وجسهم وحلاوتهم بس لما بيقلبوا بيتحولوا لناس لجنس ثالث تخاف منه ومن النكد متلاقيش أكتر منهم واخدين دكتوراه وفي الدلع متلاقيش أحسن منهم يا إبني مفيش حد قدر يفهمهم لإن كل واحدة وليها دماغ مختلفة عن التانية أوي يعني مفيش واحدة ثابتة على مبدأ إنما احنا مُمكن تقول بنفكر مثلاً في الشهوة بنفكر في الخروج في الصياعة في الفلوس إنما البنات متعرفش هما أصلاً بيفكروا في ايه !

- تعرف هى مش زيهم بس أنت عندك حق أنا مش عارف أفهمها أو يمكن بحاول أفهمها بس تحس إن في حاجة لسه مش مفهومة بس هعمل إيه حبيتها وفي حاجة غريبة

جوايا رافضة البُعد بطريقة أغرب وكلامها كله خوف، خايفة على نفسها ومشاعرها يعني تحس إنها إتهأنت أوي في حياتها فبتلملم الباقي

من مشاعرها تحافظ عليهم، مش عارف مفكرتش في لحظه وأنا معاها في أي حاجة مفكرتش في جسمها ولا شهوتي ولا أي حاجة فكرت إن إزاي اكسب قلبها.

– ماهى بتجي كدا واحدة واحدة، تكسب قلبها وبعدها تاخد جسمها تعرف أنا مؤمن أوي إن البنت لو حبيت ولد ممكن تعمل أي حاجة في سبيل إنه ميبعدش عنها.

– أنت شكلك خرفت والساعة بقيت 12:30 والمفروض نروح بقى عشان ورايا بكره مشوار يلا تعالى نمشي وأنا اللي هسوق لحد ما أوصل بيتي عشان مش ضامن سواقتك بعد الشرب والحكم اللي قولتهالي دي .

صعدنا إلى السيارة وقودت أنا السيارة حتى أن وصلت إلى منزلي:

– هبقى أكلمك كمان يومين عشان نخرج نفس الخروجة دي بس من غير خمرة فاهم يا خمورجي !

– وماله مستنيك على نار يا حبيبي.

عندما وصلت تحت منزلي بسيارته ونزلت من السيارة وقولت له سلام، أسرع بسيارته بسرعه شديدة قولت في نفسي لن يصل إلي منزله حياً..

صعدت إلى شقتي وفتحت باب المنزل ودخلت، بابا سمع رزعة الباب وقال :

– أنت جيت يا إبني ؟

– لأ يا بابا أنا لسه برا .

– طيب يا ظريف، أمك ماهنش عليها تسيبك من غير أكل وحضرتلك الأكل في المطبخ على الرخامة ومتغطي كُل ولما تخلص اغسل الأطباق.

– أنت إزاي بتشخر وأنت صاحي !

– دي أمك يا إبني مش أنا والله.

– طيب يا حج تصبح على خير.

وبعد ما انتهيت من الطعام وغسيل يدي والأطباق شربت كوباً من الشاي بالنعناع وجلست على سريري قليلاً ثم ذهبت في النوم..

استيقظت صباحاً مفزوع وأمي واقفة أمامي :

– أنا دايماً خايبه في خلفي يا رب خدني وريحني، يا إبني قوم بنت خالتك عماله تتصل على التيلفون الأرضي وتقولي صحيه عشان هيجيلي الكلية بصيتلها وغمضت عيني تاني ..

– مش عاوز تقوم يعني؟ الساعة 8 الصبح وشالت البطانية من عليا وقالت يخربيتك أنت لسه بتنام بالبوكسر وعريان، ندهت على بابا قبل ما ينزل الشغل وقالتله إبنك مش عاوز يقوم اتصرف؟

– اعملي زي ما كنتي بتعملي معايا زمان لما كنت ببقى مش عاوز اقوم.

أمي مسكت شعر صدري شدتني منه، قومت مفزوع وأتوجع.

– إيه يا ماما في إيه.. إيه الحركة الغبية دي!

قالتلي: أنا غبية ؟

– لأ مش أنتي دي الحركة والله.

– طب يلا قوم.

نهضت من على سريري وأرتديت ملابسي واتصلت بجيهان وقلت لها قابليني عند بوابة الجامعة وسأتصل بكي عند فور وصولي للبوابة لأنني قد نسيت ملامح الجامعة من بعد التخرج

الشريط السادس

أشلاء الماضي وذكريات

الجامعة.

وصلت الجامعة قبل ميعادي ،أقف انظر للجامعة وللمباني الجديدة التي شيدت فيها، كل شيء تغير، الأشجار والطرق، كل شيء أصبح مختلف وجميلاً إلى حداً ما، إتصلت بجيهان أخبرها بأني قد أتيت إلى الجامعة وأقف أمام بوابتها منتظرها وعندما أتت لتأخذني قالت جيهان:

إيه يا إبني أنا مش قولتلك لما تيجي على البوابة تتصل بيا عشان أجيلك، وبعدين أنت جاي بدري عن الميعاد ودي حاجة حلوة أنت كُنت واقف هنا بتعمل إيه ؟

– مفيش أصل الجامعة اتغيرت أوي عن زمان كل حاجة حتى البنات بقوا حلوين، يلا نمشي من هنا، هى الحفلة مكانها فين ؟!

– دي في مدرج 3 ... يعني حفلة كدا عاملينها تكريم لدكتور بتاعنا عشان هيعتزل التدريس .

– إيه دا هو في دكاتره بتعتزل؟

أنا اعرف إن الدكتور عمره ما بيعتزل التدريس دا أنا مُمكن أتجوز وأخلف وأموت وهو هو نفس الدكتور بيدرس لأحفاد أحفادي، دي ناس يا بنتي مش زينا أعمارهم تفوق ألاف السنين.

لما وصلنا للمُدرج وقابلت زياد ..

- إزيك يا ياسر.

- تمام، إزيك أنت وعامل إيه مع جيهان !

- كويسين، إسألها حتى أهي جنبك أهي.

- أنا عارف جيهان مبترضاش تزعل من الناس اللي بتحبهم حتى لو زعلوها.

دخلنا المدرج وجلسنا، جيهان مالت برأسها وتقول لي بصوت منخفض:

- البنت أهي اللي كانت في عيد ميلادي شكلها جايه علينا.

- بُصي لو لزقت حاولي تخلعيني منها يا جيهان ماشي !

- عيب أنا هتصرف .

لما وصلت فريدة للمكان الذي نجلس فيه قالت :

- هاي، إزيكم عاملين إيه؟ إزيك يا زياد أنت وجيهان !

"تجاهلتني تماماً وكأنني غير موجود أو نسيت شكلي وفي الحالتين لا يهم"

جلست فريدة بجانب جيهان فـقالت جيهان: عارفه مين دا يا فريدة ؟!

فريدة: مش واخده بالي الصراحة، مين!

تنظر لي فريدة وتحاول ان تتذكرني..

جيهان: دا ياسر إبن خالتي كان معانا في عيد الميلاد .

فريدة: أهأأه معلش مش واخده بالي منك نورت الجامعة.

"وضعت يدي على وجهي وضحكت لسبب خبثها بإنها لا تعرفني مع أن عينها لم تتركني أبداً في عيد ميلاد جيهان".

وقت دخول الدكتور، دخل معه المُعيدين لكن وقتها لمحت معيده معهم، إستغربت من وجودها فسألت جيهان: مين اللي قاعدة على يمين الدكتور دي!

- دي الدكتورة غدير..

- دكتورة بجد ؟!

- لأ يا إبني دي مُعيدة بس هنا المُعيدين بنلقبهم بالدكاترة أنت فاهم بقى في مُعيدين بيزعلوا لو ماقولتش ليهم يا دكتور ومُمكن كمان يشيلوك المادة لو دخلت دماغهم.

- أه ، فهمت .. بس غدير دي مُعيدة هنا أكيد؟

- أه يا إبني والله، أنا هكدب عليك ليه .. دي كمان مُعيدة زي العسل بتحب تضحك وتهزر معانا ومش بتحب تسقط حد واحدة طيبة كدا.

- أه، طيبة فعلاً عندك حق .

قربت جيهان مني وقالت بصوت واطي:

- عارف فريدة دي كل سنة جيد جداً أو جيد عمرها ما شالت مادة والسبب إنها بتحكها مع كل المُعيدين الشباب وأنت فاهم بقى الدلع بيخلي الحديد يلين في إيدك..

- أه وهى مش محتاجة الصراحة دي لو هزت صدرها بس تجيب جيد جداً

ولو هزت حاجة تانية هتجيب إمتياز مع مرتبة الشرف.

ضحكت جيهان وضربتني علي كتفي، نظر إليها زياد والغضب مرسوم على ملامحه، كان منتبه لي أنا وجيهان يركز معنا دائماً وينظر لي وكأنه خائف أن اخطفها منه..

دخل الدكتور يتحدث عن إنجازته وعن حياته في التدريس وكيف وصل للمكانة التي قد حصدها وأنا انظر لغدير وقولت بيني وبين نفسي:

مازلتي صغيرة مثلما أنتي، مازل كل شيء فيكي جميل لا يوجد شيء تغير، اممممممم من الممكن قد تكون أهتمت بنفسها لذلك زادت جمال أكثر ما كانت عليه..

عند إلقاء الدكتور لكلمته الأخيرة قال جملة:

" عشان توصل لازم تصبر ولازم تفشل لكن لو مفشلتش في الأول مش هتنجح في الآخر، أهم حاجة الصبر"..

وأنا في المحاضرة رجعت بذاكرتي إلى الوراء لأول حب لي في الجامعة، غدير..

غدير هي من أحببتها، جالس افكر في كل شيء دار بيننا قديماً وكأنه أمامي الآن أراه بالصوت والصورة..

فكرتني كلمة الصبر بحديثاً قديم دار بيننا وأنا اقول لغدير:

يا غدير مش أنتي معايا؟ متخافيش، خلينا نصبر ونطول بالنا على المشاكل اللي بتحصل ونحاول نحلها بتفاهم أكتر من كدا ولو على أهلك أنا هقدر اقنعهم مع الوقت بس امسكي بيا أكتر قدامهم، مفيش حد بيأخد حاجة نفسه فيها إلا لما يتعب ويدوق التعب عشان نحس بفرحة إمتلاك الشيء بعد ما نوصله، بعد طريق طويل من الفشل.

- ياسر أنت بتحبني !

- يا غدير بطلي الأسئلة الغريبة دي، يعني أنا ماسك إيديك وماشي جنبك على أساس إيه إبن عمك وبيلعب معاكي! ما أكيد بموت فيكي.

- أصل أنا حاسة إنك مُمكن في يوم تسبيني كدا زي أصحابي ما اتعمل معاهم!

- يا بنتي أنا لو بتسلى بيكي كنت شوفت غيرك إحنا بقالنا حالياً 9 شهور مُرتبطين ببعض شوفتيني قبل كدا مسكت إيد غيرك أو قرصت واحدة في خدها غيرك أو خطفت بوسة من على خدها وهى مش واخده بالها! "ضربتني على كتفي وهى خجوله لما قولته وأكملنا طريقنا في السير"

ونحن جالسين تحت الشجرة سوياً، في المكان المفضل لنا أنا وأصدقائي وأصدقائها بنعلب سوياً لعبة الصراحه..

لفت الزجاجة وبات دوري أنا في توجيه السؤال إلي، وجه أحد الأصدقاء سؤالاً واحد لي:

- تفتكر هتكمل مع غدير للأخر وتتجوزوا ولا...!

- أولاً بُص مش هقدر اقولك هنكمل ولا لأ بس طول ما إحنا مع بعض مفيش حاجة هتقدر تبعدنا وطول ما إحنا قريبين من بعض في التفاهم دايماً هنلاقي المسافات قصرت أوي لكن لو كان اتعكس كلامي أكيد مش هنعرف نكمل مع بعض مهما كان وفي الأخر المكتوب هنشوفه.

- يا ياسر ؟ ياسر ! .. أنت يا إبني ! ، مالك سرحان في إيه كدا ؟

- إيه يا جيهان في إيه بس !

جيهان: يا إبني أنا عماله أنادي عليك الدكتور خلص كلام، أنت كنت سرحان في إيه !

- مفيش بس كنت بتخيل شويه حاجات كدا، متشغليش بالك إنتي بيا.

- طب يلا نمشي نروح نتغدى.

- فين الإحتفال دا وفين التورتة ولزوم الإحتفال !

- يا إبني أنا مش جيباك أساساً عشان الإحتفال، أنا جيباك عشان عاوزه اقولك إن زياد اتغير معايا أوي يا ياسر، مبقاش الشخص اللي كنت اعرفه، دا لما عرف إنك جاي قال يحضر معانا عشان شكله قدامك إنما لو مكنتش أنت موجود ماكنش عبرني فاهم!

- طيب أنا هتكلم معاه.

- طيب يلا بقى عشان أنا عزماك.

- طب وزياد ؟

- متقلقش هو هيجيلنا على هناك عشان صحبه اتصل بيه رايحله عند مدرج 5 وجاي .

رأينا فريدة تسير نحونا وكأنها تقول لن أترككم اليوم..

إبتسمت لجيهان وقلت بيني وبين نفسي:

هذه التي كانت تقول لم اتذكرك ولكن من الممكن أن تكون آتيه لجيهان!

ذهبنا نحضر بعض الوجبات السريعة، فوجئت بغدير أمامي واقفة تنظر لي ومبتسمة، ابتسمت لها وأجبتها بهز رأسي على سؤالها الذي يدور في خاطرها "أنت ياسر ولا حد شبه؟" اقتربت جيهان من غدير، خطر في بال جيهان بأنها آتيه لها هى وفريدة..

قالت جيهان: إزيك يا دكتور؟

غدير: إزيك يا جيهان عامله إيه؟ وأخبار الدراسة معاكي؟ !

جيهان: تمام.

"اقف بجانبهم وغدير ترد على جيهان وتريد أن تنهي حديثها معهم وتتكلم معي وعند كل إجابه منها تجد سؤال منهم"..

غدير: إزيك يا ياسر !

"جيهان و فريدة وقفوا مستغربين إنها تعرفني ؟!"

فريدة : أنتوا تعرفوا ولا إيه !

قولنا بصوت واحد أنا وغدير: أيوة.

ضحكنا كلنا فقالت جيهان: إيه دا يعني أنا بقى ليا ضهر ولا إيه !

- مش أوي يعني يا جيهان ..

غدير: فينك يا ياسر إختفيت من بعد ما خلصنا دراسة ومفيش حد عرف عنك حاجة ؟!

- أه يعني، الدنيا بقى ياما بتشغلنا عن حاجات كتير في حياتنا، بس تعرفي مبروك أنا فرحتلك لما عرفت إنك مُعيدة هنا وعارف إن مبروك جايه متأخر شويه بس معلش بقى.

- ما أنت لو كُنت بتسأل كُنت عرفت وباركتلي مع كل أصحابك دا حتى أحمد فراج باركلي ..

"عند سماعي لإسم أحمد فراج إندهشت قليلاً لكن لم أبالي لأن أحمد كان على معرفه بها منذ أيام الدراسة ولازال".

وقتها جيهان: طيب يا ياسر أنا وفريدة هنسيبكم شويه وهنرجع تاني ماشي.

ذهبت جيهان مع صديقتها وآتت مرة ثانية وقالت لـ غدير ياسر إبن خالتي والله يا دكتور.. يا رب ننجح.

وقفت مع غدير نتبادل الإبتسامات ولا نعلم ماذا نقول بسبب صدمة لقائنا المفاجئ بعد آخر لقاء لنا منذ 7 سنين..

– تعالى نتمشى شويه في الكلية.

– ماشي.

ونحن نتجول طرق الجامعة قالت:

أنا انفصلت عن جوزي بمعنى أصح اتطلقت.

– مش عارف اقولك مبروك ولا اقولك معلش، هو أنتي مبسوطة ولا زعلانة طيب !

– أنا إتجوزت واحد أكبر مني ب 10 سنين يا ياسر ماكنش بيقولي عاوزك إلا عشان ينام معايا، تخيل كدا حياتك كلها نوم في نوم زي ما يكون إنسان مريض نفسياً ولو رفضت طلبه بيضربني ولو زعقت بيقولي أنتي بتعصي ربنا عشان بتعصي جوزك..

– طيب ماكنش في بينكم تفاهم خالص وبعدين أنتي بتحكي ليا كل الكلام دا مرة واحدة كدا من أول مرة نشوف بعض فيها من فترة ؟

– خايفة معرفش اشوفك تاني ولازم اقولك كل حاجة وبعدين بقولك حياته ودماغه كلها في الشهوة يا ياسر تقولي تفاهم؟ دا كان لما بيحب يأكل كان بياكل لوحده، مباكلش معاه، خوفت على نفسي منه وبقيت باخد حبوب منع الحمل عشان ماجيبش منه أطفال تتعذب، أجيب أطفال يلاقوا أبوهم همجي وحيوان كدا !

– مش دا اللي قولتي مناسب و معاه فلوس وهعرف أعيش حياتي والحب مش كفاية والواقع لازم نعيشه والحياة مش كلها حُب في حُب، مش كدا كلامك!

- يا ياسر أنا كُنت غبية لما فكرت اتجوز أصلاً، ما أنت عارف أهلي فضلوا ورايا لحد ما خلوني أوافق .

- لا لا لأ ثانية واحدة، إنتي قولتي ليا في أخر مكالمة إنك موافقه بدون أي ضغوط عشان هيلففك الدنيا كلها وهيجبلك عربية وشقة وهتعيشي أسعد أيام حياتك مش كدا !

- أيوة أنا قولت كدا بس في سبيل العربية والشقة والسفر بقيت مجرد جسد كل ما يقولي عاوزك اقلع ولما يقوم أفضل أعيط ولما يسألني مالك اقوله مافيش، ياياسر أنا عمري ما حبيت حد قدك لا عرفت أحب من بعدك..

دايماً كنت بعرف أخبارك من أحمد لما كان في إنجلترا دايماً كنت بسأله عنك يقولي معرفش أخباره دا حتى لما طلب رقمك أنا اللي إدتهوله لإن لسه حفظاه، اتصلت بيك أكتر من مرة كُنت بترد وتقول ألو ألو وتقفل، كنت بسمع صوتك وأقفل بس عشان أرضي شوقي لإنك بتوحشني .

- مبقاش ليه لازمة الكلام دا يا غدير يعني الحياة اتغيرت وإحنا كمان اتغيرنا دا إحنا بقالنا كتير أوي مشفناش بعض يعني عمر يا غدير ولسه بتحبيني؟ صدقيني معتقدش .

- مش هكدب عليك دخلت في علاقات وحبيت بس عمري ما حبيت حد زيك يا ياسر، طيبتك وحنيتك مش موجودة في حد تاني، حاولت أدور على حد زيك في حبك ليا بس ملقتش كُلهم ورق يا ياسر، عبارة عن مجرد أشخاص بيعدوا على حياتنا وبس لو كلامي ضايقك يا ياسر اعتبرني ماقولتش ليك أي حاجة خالص وانسى إننا إتقابلنا أصلاً !

- مش كدا يعني متكبريش الموضوع أنتي دلوقتي مُعيدة وفي مكانه راقية وأكيد في حواليكي كتير وعرفت من جيهان إنك بتعملي دكتوراه وهتبقي دكتورة يعني مستقبلك هيبقى حلو فهماني ؟ صحيح هو أنتي اتعينتي أمتي مُعيدة في الكلية؟

"حاولت جاهداً أن غير محور الموضوع لأن أمس كان ماضي والشخص الذي كان معك أمس، أصبح مع غيرك"..

– أنا اتعينت على طول بعدها بـ 7 شهور و ...

جيهان انقذتني منها ومن حديثها:

– إيه يا جماعة كل دا بتتكلموا طب بقولك يا ياسر أنا همشي بقى عشان هتأخر على البيت وعاوزاك توصلني عشان الوقت اتأخر والبيت عندنا عارف إنك هنا فـ سيبني براحتي ومش هينفع أمشي لوحدي.

إستأذنت غدير لكي نذهب لكن قبل أن أذهب''

غدير: هشوفك تاني في الجامعة ؟

– أكيد قريب هتشوفيني.

– طيب، أشوفك على خير.

– سلام..

ونحن في الطريق أنا وجيهان:

– إنتوا كان في بينكم حاجة ولا إيه !

– لأ يا بنتي خالص دي كانت مجرد واحدة أعرفها زمان، واحدة زميلتي.

بصيتلي جيهان: اممم، واحدة برده؟ شكلك كنت مقضيها في الجامعة.

– لأ خالص، صحيح فين زياد وفريدة؟

– واقفين عند البوابة مستنيني أجيبك عشان نمشي .

– طيب يلا بينا نمشي عشان متتأخرش عليهم.

" ونحن في طريقنا لبوابة الجامعة "

– جيهان: ياسر أمشي على مهلك عشان عاوزه احكيلك حاجة !

– خير !

– استني كدا الموبيل بيرد دي فريدة شكلها بتستعجلنا هكنسل عليها، بُص زياد يا ياسر مش حساه و شايفه إنه بقى عادي كدا مش عارفه ليه مُمكن هو اتغير أو أنا اللي اتغيرت يا

ياسر، بس أنا بحبه والله لكن هو مش متأكدة منه ومن وقت ما قعد معاك وهو متغير، طول الوقت مشغُول كتير أوي وموبيله مشغُول، لما اقوله موبيلك مشغُول يقولي معلش أصلي بكلم أصحابي ما هما ليهم حق عليا زيك، مش فاهمه أسلوبه معايا أو مش حاسة بطريقته، اتغير جامد عن الأول..

– بُصي يا جيهان لو زياد بيحبك هيفضل معاكي وبعدين في كل علاقة بين أي إتنين بتحصل حاله من الملل لفترة والحاله دي هى اللي بتحدد إذا كان هيكملوا ولا لأ عشان وقتها لو الإتنين بيحبوا بعض فعلاً هيقعدوا ويتكلموا ويناقشوا علاقتهم بكُل هدوء مدام في تفاهم بين أي إتنين هيكملوا فهماني !

– طب من وجهه نظرك أنت شايف إن أنا وزياد متفاهمين ؟!

– وأنا هعرف منين أنتوا اللي جوا الدايرة مش أنا !

– بس أنا حساه مش هو يا ياسر، مش عارفة خايفة أوي، طب هو مُمكن يكون بيحب غيري مثلاً؟! .. ولا يمكن عاوز يسبني فبيجيبها بالطريقة دي !

– طب إهدي بقى عشان إحنا وصلنا على البوابة .

"عند وصولنا عند البوابة"

فريدة: كل دا كنتوا فين دا إحنا كنا هنمشي أنا وزياد.

– معلش بجيب سجاير فمكنتش لاقي لفينا لحد ما لقينا سجاير، يلا نمشي.

"أوصلت جيهان إلى بيتها ونزلت بصعوبة بعدما امسكت خالتي في ولم تريد أن تنزلني من بيتها لكي أكل معهم، لكني عرفت أن أفلت منها بسرعة، نظرت للساعة رأيتها 4:30 لا أدري أذهب إلى ميادة في المطعم أم أذهب إلي البيت وفي اليوم التالي أذهب إليها لتكون المقابة من مختلفة عن أي مرة"

ذهبت إلى البيت وبعد زن أمي لكى تعرف ماذا حدث بيني وبين جيهان وعشمها الدائم أن من الممكن أن يحدث شيء ثم قلت:

– مفيش والله يا ماما كان يوم لطيف يعني وحضرت معاها احتفال ولا إعتزال دا ولا إيه لدكتور عندهم..

– أنت عمرك ما بترحيني أبداً دايماً لما اسألك عن حاجة بتلاوعني كدا على طول، يا رب صبرني.

– ماما في أكل ؟!

– بغضب، مش عارفه .

– يبقى في أكل.

وعند إنتهائي من الطعام إتجهت لغرفتي كالعادة وامسكت بقلمي وكتبت:

صعب لما نلاقي نفسنا عبارة عن كتاب على الرف وقت ميلاقوش حاجة يعملوها يفتكرونا وشويه وينسونا، عادي بنبقى عبارة عن أداه بيسلوا نفسهم بيها وقت فراغهم، قالوا هيستنوا ومستنوش..

قالوا هتلاقونا وتاهوا مننا ..

قالوا مفيش حد هيفهمكم قدنا وطلعوا إن اللي حوالينا فاهمنا أكتر منهم،قالوا كلام مجرد كلام قالوا لو إحتاجتونا هتلاقونا جنبكم ولما احتجناهم ملقناش حد قالوا إن اللي جاي معانا حلو وطلع إن اللي جاي أصعب من اللي راح واللي راح كان مجرد بدايه للي جاي.

صعب لما تقنع نفسك بحاجة هى أصلاً غلط ومش هتحصل، بتحط إحتمالات لو 1٪ إنها مُمكن تبقى صح، بتكدب على نفسك وعارف إنك كداب بس بتعدي عشان ترضي نفسك، تحاول مع نفسك وبتجي عليها عشان حاجة أنت متأكد إنها مش هتستمر، فبتحاول تثبت العكس رغم إن الحقيقة واضحة والنتيجة 0٪ مع شخص حاولت معاه وفشلت مليون مرة..

المشكلة إن غدير فاكرة إن أنا مُمكن ارجع تاني وأحبها وعادي بعد ما قبلت على نفسها تكون لغيري ودلوقتي جايه وندمانه !

طب وأنا ؟! فكرت فيا وقتها لما كنت بعيط لأول مرة في حياتي لما كنت واثق ومتأكد إنها هتفضل معايا رغم إن أهلها كانوا رافضين وجودي في حياة بنتهم !

جايه دلوقتي بتقولي عاوزين نرجع، طب هرجع إزاي ولو أنتي فعلاً بتحبيني أنا خلاص حبي ليكي مبقاش ليه أثر جوايا، بقيت مجرد ملامح لو شوفتك اعرفك مش أكتر إنما أحبك صعبة أوي، صعب نرجع.

"أغلقت دفتري وجلست افكر ما هى الهدية التي سأهديها إلى ميادة وهل اختياري للهدايا سيعجبها أم لا؟"..

امسكت هاتفي واتصلت بأحمد:

– أنت فين ياض !

– أنا جنبك عند الميكانيكي العربية اتحسدت يا ياسر ومش عارف منك ولا من جارنا يا جزمة.

– طيب هينفع نتمشى شويه أنا وأنت اهو نجيب شويه حاجات عربية أبويا موجوة نأخدها وننزل لو عربيتك مش سليمة.

– طيب أنا هسأله كدا لو العربية هتفضل عنده هجيلك ولو هاخدها وأنا ماشي اشطه، طب بُص استنى هسأله خليك معايا...، اهو يا ياسر العربية هتقعد عنده لبكرا، أنا هعدي عليك دلوقتي يلا اجهز على ما اجيلك.

"عند وصول أحمد أخذته إلي منزلي يسلم على أهلي لأنهم يعرفونه جيداً ويحبونه منذ صغرنا فأحمد الصديق الذي لم يتغير وفي كل مرة اثبت لي بأنه

أهل للثقة وبالرغم من بعد المسافات لم تؤثر علينا وبالرغم من إنشغالنا في الحياة لم ننسى بعض أبداً ودائماً معاً بالذكريات وأيام الطفولة الجميلة، جلس مع أمي وأبي وذهبت لأبدل ملابسي وعند إنتهائي أخذته وأخذت معي مفاتيح المنزل وخرجنا الساعه 8:15 بالسيارة".

وأنا أقود السيارة بدأ أحمد يذكرني بذكرياتنا سوياً:

– فاكر لما كنا بنأخد عربية أبوك القديمة ونخرج بيها نعاكس البنات على الكورنيش ولا لما كنت عاوز أخد واحدة اظبطها فيها بس أنت قولتلي يومها لا لا عشان خاطري مش عاوز انجس العربية، فاكر !

– أيام وسخة شبهك .

– وقف عند أي كشك نجيب سجاير وحاجة سقعه نشربها .

"نزل أحمد ليشتري السجائر ومشروبات غازية".

قلت:

– أنا عاوز أجيب هدية لميادة ومش عارف أجيبلها إيه؟ عايز حاجة كدا تبقى حلوة لما تشوفها تفرح يعني وتاخدني بالحضن وكدا.

– هى بيضة ؟

– أه ، ليه؟

– خلاص هاتلها طقم داخلي يكون أسود هيجنن عليها.

– أنا بتكلم بجد !

– بُص في واحدة كُنت اعرفها هى كندية بس عايشه في إنجلترا يوم عيد ميلادها جيبتلها شنطة مكياج، نمت معاها تاني يوم، هتلها شنطة مكياج حلوة كدا.

– ماشي.

"ذهبنا لأقرب توكيل مُستحضرات النساء"

اشتريت حقيبة "مكياج" متوسطه الحجم وركبنا السيارة ووضعتها في الكرسي الخلفي ..

أحمد: إيه رأيك نروح نلف على الكورنيش شويه ؟

– الساعة دلوقتي 10 ياعم أحمد .

– تعالى بس نأخد لفه ونمشي.

– ماشي .

– أصل أنا كلها شهرين وماشي .

– أنت واخد أجازة قد إيه؟

– أنا واخد أجازة 5 شهور ما أنا منزلتش 5 سنين فواخد على كل سنة شهر.

– أنا كمان واخد أجازة مفتوحة من الشغل ومكاني محفوظ، بقولك يا أحمد ما تشوفلي أي سفرية معاك نطلع من البلد دي !

– أنا موافق و هجيبك على طول بس أنت أنوي وأنا تحت أمرك يا حُبي .

– تمام، صحيح يا أحمد أنت كنت بتتكلم مع غدير !

– أه ، بس إيه فكرك بيها يعني ؟

– رد بس كُنت بتتكلموا إزاي ؟

– كانت بتكلمني على الفيس بوك كل فين وفين .

– وأخدت رقمي منها صح !

– بُص يا ياسر أنت قولت زمان يا جماعة محدش يفتح موضوع البنت دي قدامي تاني عشان اللي هيفتحه هخسره وأنا احترمت كدا عشانك خاطرك وعشان مخسركش ماكنتش بجيب في سيرتها لكن لو زعلان إن لسه بكلمها أنا مُمكن اقطع علاقتي بيها خالص عشان متزعلش .

– لأ مش للدرجة ، أصل شوفتها النهاردة في الكلية دي إتعينت مُعيدة.

– أه ياعم ما أنا عارف واطلقت كمان .

– أه ما هي قالتلي، عاوزاني ارجعلها .

– طب حلو دي متجوزة وعايشة في شقة لوحدها يعني هتهيص جاريها أنت بس.

– بطل وساخة بقى مش في دماغي خالص، يلا تعالى أوصلك بيتك.

"أوصلت أحمد لمنزله ورجعت أنا لمنزلي، فتحت باب المنزل ومعي الهدية ودخلت غرفتي بسرعة خوفاً من أن تراها أمي وخوفاً من أسئلتها الكثيرة، وضعتها في دولابي وجلست على السرير افكر كيف سأهديها الهدية؟"..

الشريط السابع

كل شيء يحيط بي يطالبك بالعوده

عند دخولي منزلنا أِشعر بالوحدة

عند دخولي لغُرفتك أشم رائحتك في ملابسك

البيت أصبح فارغاً بدونك..

مكتب المطعم

إستيقظت من النوم متأخراً الساعة 5 المغرب، لا اعلم كيف استطعت أن أنام كل هذه المدة! لا يوجد أحداً بالمنزل اتصلت بأبي وقال لي أنه أخذ أمي وذهبوا ليشتروا مستلزمات المنزل، ذهب للحمام وقفت تحت الماء فنسيت إنني مازلت أرتدي ملابسي الداخلية، وبعد إنتهائي أمسكت بالمنشفه ورقصت قليلاً مجرد لحظه من لحظات الجنون، إرتديت ملابسي وخرجت أقابل ميادة وقبل أن اخرج من باب المنزل نسيت الهدية فدخلت المنزل احضرها ثم إتجهت إلى المطعم.

دخلت المطعم فلم أجدها جالسه على طاولتها فسألت أحد العاملين قالوا لي بأنها في المكتب – الدور العلوي– فقلت لهم:

بعد إذنكم قولوا لها أن يوجد شخصاً يدعى ياسر يريد مقابلتك..

ذهب أحد العاملين ليستأذنها أدركت بأنها أتيه من صوت أرجلها على درجات السلم،، ثم قالت:

– ياسر إزيك أنت كُنت فين ماجيتش إمبارح ليه، إستنيتك لدرجة إن لما روحت البيت قعدت افكر هو أنا عملت إيه يخليه مايجيش ليا، هو كلامي معاك المرة الأخيرة ضايقك أو قولت حاجة زعلتك وأنا مش قاصده ؟!

- لأ خالص بس لما روحت البيت بنت خالتي كلمتني وكانت عاوزاني أروح معاها الجامعة عشان حبيبها منفضلها وكدا وأنا واقف معاها في الموضوع دا، صحيح نسيت إتفضلي دي حاجة بسيطة كدا مني ليكي.

عند رؤيتها للهدية فرحت بالرغم من أنها لا تعلم ما في العلبة، وكأنها فرحت بالهدية أكثر، شاهدت في أعيونها السعادة وأنها لا تحتاج أن تعرف ما فيها وأنها تحتاج فقط للإهتمام، تحتاج أن تشعر بأن يوجد أشخاصاً يهتمون بيها مثل الطفلة الصغير..

- تعرف إن مافيش حد جابلي هدية من زمان أووي !

- ودي أحسن حاجة عشان يجي اليوم دا وأنا أكون أول حد جابلك هدية من فترة طويلة .

أمسكتني من يدي وقالت: تعالى نطلع فوق هفتحها في المكتب يلا تعالي.

"أمسكتني من يدي وباليد الأخرى الهدية وتجري على سلم المكتب مثل الطفلة الصغيرة عند رؤية أبيها وهو بيده قطعة من الشكولاتة"..

وضعت الهدية على مكتبها وقفت تنظر لها تخمن ما الذي موجود بالعلبة فأغمضت عيناها وهى تنزع غلاف الهدية ثم فتحت عيناها فندهشت وجدت علبه أخرى مغطاه بغلافاً أخر !

- إيه دا ودا كمان غلاف !

- افتحي عيونك يلا شوفي الهدية !

"نزعت الغلاف ثم رأت ما بالعلبة، شنطة مكياج"

- إيه دا بجد، حلووووة أووووي يا ياسراً أقولك على سر كان نفسي أجيب الشنطة دي أوي يا ياسر، أنت كل مرة بتفاجئني بحاجة مختلفة تماماً، أنا مبسوطة أوي إنك موجود في حياتي..

- وأنا مبسوط عشان أنتي مبسوطة .

– بقولك كنت ناويه اشتري واحدة زيها بس تعرف دي أجمل من اللي كنت عاوزة اشتريها، ربنا يخليك لياااا.

– ويخليكي ليا أنتي كمان ..

– تعرف أنت بتخليني أحبك غضب عن أهلي أساساً.

– ودا اللي أنا نفسي فيه لإن أنا بصراحة بـ...، بقولك أنا عاوز أعرف حاجة بس شغلاني هى مين الأشخاص اللي أنتي معلقة صورهم دول في طرقة السلم وإحنا طالعين على المكتب ؟!

أخذتني من يدي مرة أخرى ووقفنا أمام الصور المعلقة على الحائط وقالت:

دا جدي أبو بابا و دا جدي أبو ماما والإتنين دول أكتر ناس بحبهم من عيلتي يعني عمي وخالي وخالتي، إنما الصورة الكبيرة اللي قدامك دي فـ دا قلبي أنا، بابا ..

– طيب ما تحكيلي عنه !

– ماشي بس افتكر إن أنت اللي قولت احكيلي عن بابا..

– لأ احكي أنا حابب اعرف حاجات كتير عنك .

– ليه؟

– عشان بقيتي بالنسبالي كل حاجة في حياتي.

– هحكيلك حياة صغيرة عن بنت كان عندها 6 سنين.

"قبل 19 سنة"

كان في بنت صغيرة عندها 6 سنين، سمعت ابوها بيسأل عليها وداخل اوضتها، عملت نفسها نايمة.. قرب منها وقعد على سريرها الصغير وحط إيده على شعرها وفضل يلاعب شعرها بصوابع إيده ويبوسها على رأسها ويركز في ملامحها وهى ونايمة حاسه بيه.

عملت نفسها لسه صاحيه ولما فتحت عيونها شافت أبوها قاعد قدامها بيبتسم لبنته وبيقولها" صباح الخير" كان مخبي حاجة ورا ضهره وقفت على سريرها بتتنطت بتحاول تعرف هي إيه الحاجة اللي مخبيها دي؟ وهتعيط لو أبوها مورهاش اللي مخبيه ورا ضهره ! لمحت بعنيها الشكولاتة اللي بتحبها قربت من أبوها وباسته على خده، حط أبوها إيده حواليها وشالها وطلع بيها على الصالة

قعدها على رجله وهو بيلاعبها وبيفتحلها الشكولاتة تأكلها وبتقول أنا بحبك أكتر من ماما جاله تليفون لبس هدومه وهيخرج..

بصيتله بنته :

– خدني معاك يا بابا.

– أنا رايح مشوار في شغل لما ارجع هأخدك ننزل أفسحك لوحدك من غير ماما أنا وأنتي وبس وهنأكل شكولاتة كتير أوي.

لسه هتعيط قعد على الكرسي وقعدها على رجليه

قالها: هي ساعة واحدة بس وهتلاقيني هنا عندك ألبسي هدومك على ما أرجع عشان ننزل بسرعة ومتتأخرش على ماما ونرجع بدري عشان تنامي وتروحي مدرستك فرحت أوي ودخلت تجري أوضتها وهي عندها 6 سنين قعدت تدور في لبسها وتجيب الكرسي تزوقه على التسريحه وتطلع برجليها الصغيرين عليه وتوقف قدام المراية، قدام مراية مامتها وتبص للفورش والكريمات وكل حاجات مامتها وهي حاطه إيدها على خدها بتفكر تعمل إيه !

جابت الفورشه و بتسرح في شعرها، شافت قلم روج أمها بتستعمله مسكته وقعدت تعمل زي أمها ما بتعمل لكن كانت عامله زي الأراجوز المضحك وشها وحوالين شفايفها أحمر في أحمر..

دخلت أمها عليها ضحكت على منظرها..

أمها: أنتي بتعملي إيه يا هبلة مش كده يا حبيبتي.

بنتها: بابا قالي ألبس واحضر نفسي عشان هننزل أنا وهو بس مالكيش دعوة أنتي مش بتجيبي ليا شكولاتة بس بابا حبيبي بيجيب ليا أنا وبس، أمها شالتها وقعدتها على التسريحه وفضلت تسرح لبنتها شعرها وبعدها حطتلها روج وبعدين قالتلها: استني هحطلك كحل في عيونك الحلوين دول يا حبيتي وبعد ما جهزت بنتها قالتلها: اقعدي يلا استني بابا لما يجي.

بنتها: ماما هو بابا لسه كتير على ما يرجع من الشغل؟

قالتلها: لسه ياحبيبتي شايفة الساعة دي لما العقرب الصغير ده يجي على 7هتلاقي بابا بيرن جرس البيت وهتفتحي الباب تلاقيه على طول.

قربت البنت من ساعة الحائط وقعدت قدامها، حاطه إديها على خدها مستنيه أبوها يرجع..

قالت لأمها: هو العقرب ده غلس ليه؟ بيمشى براحة أوى يا ماما؟

أمها ضحكت وقالتلها: هى العقارب كده ياحبيبتي بتمشي براحة دايماً ..

لما سمعت البنت جرس الباب في ثانية نطت من على الأرض لقت نفسها بتفتح الباب، شافت أبوها واقف قدامها وبيضحك..

بيقولها: إيه ده اللي أمك عملاه فيكي ده؟

أمها: هي اللي عاوزه تتذوق اعملها إيه بس.

شالها أبوها علي كتفه ومسك إيديها ونزل بيها قالها أوعي سيبي شعري

قالتله: لأ لو سيبت شعرك هقع من علي كتفك، عاوزني أتعور !

ضحك على كلامها وخدها ونزلوا زي ما وعدها..

نزل من شقتهم وخدها عند الكشك بتاع الحلويات اللي قدام بيتهم وطلع من جيبه فلوس وقالها: يلا شاوري أنتي بس من فوق يا ميادة وأنا هجيبلك اللي أنتي عاوزاه، جابلها

كيس كبير فيه حلويات كتير، لما حاسب الراجل على الحاجة نزلها من على كتفه وخدها يتمشوا على البحر ماسكة في صباع إيده بإديها والإيد الثانيه شايله فيها الكيس الحلويات وخايفة تسيبه لإنه من حبيبها، أبوها أغلى حاجة عندها..

شافت كلب ماشي من جنبهم خافت وحضنت أبوها من رجليه حط إيده على رأسها يطمنها وبعدها قعدوا على البحر يبُصلها و تبُصله وهو يضحك وهي بتاكل الحلويات قالها:

- بتحبي بابا؟

- بحبك قد الكيس الكبير دا.

- قد الكيس دا بس؟

فتحت دراعتها على الآخر وقالتله بحبك قد كده..

"قرب منها وباسها "

مسكت شكولاتة مش عارفه تفتحها إدتها لأبوها يفتحها وبعدها نطت على رجله وفضلت تاكل وهي بتاكل كأنت بتاكل حته وتدي لأبوها حته وهو بياكل غصب عنه لإنه مش بيحب السكريات و عنده السُكر لكن عمره ما خذل بنته في أي طلب تطلبه منه أو حتى لو مديت إيدها ليه بتلاقي دراعات أبوها مفتوحة ليها يحضنها..

كانت بتقسم كل الحلويات اللي معاها بينها وبين أبوها..

أبوها: يلا عشان نروح البيت؟

- خلينا شويه يا بابا ..

- ماما هتقلق.

مسكت خدود أبوها بإديها وقالتله: بتحبني ولا بتحب ماما؟

- بحبك أنتي وماما.

- لأ حبني أنا بس، ماما مش بتخرجني أنت بتخرجني حبني أنا بس.

ضحك أبوها وخدها في حضنة وباسها على خدها وقالها طب يلا بينا بقى.

وهما راجعين لبيتهم بص أبوها لبنته لاقاها بتبُص على الكيس الكبير اللي هو جايبه ليها أصله خلص، أول ما وصولوا تحت البيت قرب من نفس الراجل بتاع الكُشك اللي عند بيتهم..

أبوها: يلا اختاري اللي عاوزاه .

بنته: هتجيب تاني ؟

قال: أه .

فرحت أوي وأشترت من تاني، خدها وطلعوا على البيت فتحت أمها الباب

دخلوا وقعدت تضايق في أمها بكيس الحلويات وتقولها بابا بيحبني أنا..

لما شافت أبوها بيبوس رأس أمها جريت عليه وزقت أمها بعيد عنه وقعدت في النُص وعمالة تزق في أبوها بعيد عن أمها وهي بتزعق ومتنرفزة أوي وقالت:

- متبوسهاش بوسني أنا بس.

- بس دي مراتي؟

- لأ أنت مراتي أنا.

ضحك وخد بنته في حضنه وحط دراعه التاني على كتف مراته لما شفات ميادة دراع أبوها على كتف أمها شالت دراع أبوها من على أمها وأمها بتضحك وفرحانة بحبها لأبوها ومبسوطة إن بنتها بتعشق أبوها زي ما أمها بتعشق جوزها..

أول ماحسيت ميادة بالنوم بصيت لأبوها وهي حضناه وبتتاوب وبتقفل في عيونها.

ابوها قالها : عاوزه تنامي ؟

بصيتله وبتدعك في عنيها بإديها شالها خدها على أوضتها نايمها على سريرها

لسه جاي يقوم مسكت في صباع إيده بإديها قالتله:

- خليك.

- يا حبيبتي أنا مش هبعد عنك أنا جنبك اهو.

- طيب خليك جنبي يا بابا متسبنيش.

- يا حبيبتي أنا هفضل جنبك وعمري ما هسيبك أبداً.

مسكته من هدومه وشدته ليها بصلها وإبتسم قرب منها و نام جنبها وفضل يلعبلها في شعرها وبيكلمها بصوت واطي عشان تنام..

وفجأه قالتله:

- بابا هو ربنا فين؟

- ربنا فوق السحابة الزرقة وفوق النجوم الصغيرة اللي بتنور بالليل.

- هو ربنا شايفنا؟

- أيوه شايفنا كلنا.

- يا بابا ربنا مش بيجي ليه نشوفه ويقعد معانا؟

- ربنا شايفنا وهو قريب أوي كلنا هنشوفه ياحبيبتي و ربنا بنحبه وبيحبنا وجوانا حاسين بيه وبوجوده حوالينا دايماً.

فضلت حضناه وهو نايم جنبها بإديها و برجليها لحد ما راحت في النوم وكل مايجي يقوم تقلق ويفضل جنبها لحد ما نام وهو كمان في حضنها..

دخلت مراتة عليه نايم وحاضن بنته جابت البطنية وغطتهم هما الإتنين وسابتهم يكملوا نوم للصبح عشان كل ما يقوم تقلق وتمسك فيه بأيديها.

اتعودت إن كل يوم تقعد قدام الساعه تستني أبوها عشان يخرجها وعماله تنفخ لإن العقرب كان مُمل أوي بالنسبالها بيمشي على قده، و مستنيه جرس البيت يرن عشان يأخدها أبوها يفسحها زي كل يوم ..

كبرت وبقي عندها 9 سنين ولسه برده بتقعد تبُص للعقرب عشان ابوها ياخدها يشتريلها كيس الحلويات بتاعها من عند الكشك اللي جنب البيت.

وفي يوم هي قاعدة مستنيه جرس البيت يرن نطت كالعادة تفتح الباب لاقيت واحد بيسأل عن البيت جات أمها بتكلمه أغمي عليها، أبوها كان عمل حادثه البنت واقفه مش فاهمة حاجة، واقفة بتبُص للراجل ولأمها اللي واقعة على الأرض جريوا الناس شالوها وفوقوها وراحوا المستفشي وبنتها معاها ..

دخلت مراته وفي إيدها بنتها..

قالت ميادة: ماما هو بابا نايم ليه هنا؟ ليه مينامش على السرير بتاعه؟!

بصيتلها أمها وهي بتعيط ومش عارفة ترد عليها.

أمها: بابا نايم يا حبيبى شويه جريت بنته عليه وبتشد في صباع إيده زي ما بتعمل كل مرة بتشده عشان يقوم ويصحى من النوم ياخدها فى حضنه ويخرجها معاه.

بتحاول تشده تقومه لكن مفيش رد فعل من أبوها !

بصيت لأمها و مش فاهمه حاجة؟

بتسمك في السرير بإيدها عاوزه تطلع على السرير لأبوها.

شالتها أمها طلعتها جنبه وهو ميت.

حطيت إيدها على صدر أبوها وفضلت تبُصله وهو نايم و روحه مفارقه جسمه، بتبُصله وبتمد إيدها تمسكه من خدوده زي ما بتعمل يمكن يصحي ويقوم يروح معاهم البيت.

قالت لأمها: صحى بابا يا ماما يلا عشان يروح معانا البيت معانا أمها واقفه بتعيط ومش عارفة تقول لبنتها إيه؟ مش عارفة تقولها لبنتها إنه مش هتشوفه تاني ودي أخر مرة هتشوف فيها أبوها قدامها.

حطت بنته رأسها على صدره وهو نايم عاوزه تسمع دقات قلبه زي ما كان أبوها بيخليها تسمع دقات قلبه وهو بيقولها بحبك..

مش سامعه صوت، فضلت نايمة على صدره وساكته مبتتكلمش زي ما يكون حسيت أو فهمت ومن الصدمة ساكته ومش عارفة تعمل إيه ؟

شالتها أمها من عليه ووقفتها جنبها وهتاخد بنتها وهتخرج تطلع من الأوضة وبنتها ماسكة في صباع أبوها بإيديها الصغيرين مش عاوزه تسيبه وتمشي..

عاوزه تفضل جنبه لإنه قالها : أنا هفضل جنبك ياحبيبتي.

وهما بيمشوا لباب الأوضة عشان يطلعوا منه كانت بنته بتبُص على أبوها وهو نايم مش فاهمة أبوها نايم ليه كده؟ مش فاهمة أمها وخداها على فين من غيره؟

شافت الناس شايله أبوها وحطينه فى صندوق..

قالت لأمها: هو بابا رايح فين؟

- بابا رايح لربنا يا حبيبتي وهيجي تاني.

- هيتأخر يا ماما؟

- بُصي للساعة يمكن يخبط علينا ويدخل.

لما أدفن كانت أول ليلة تنام فيها من غير ما تنام في حضن أبوها، أول ليلة هتنام من غير ما أبوها يحط إيده على رأسها يطمنها إنه موجود صحيت من النوم تلبس هدومها وقاعدة بتبُص لعقرب الساعة مستنياه يعدي عشان تسمع جرس الباب زي كل مرة وتفتح تلاقي أبوها بياخدها من إيديها ويخرجها فضلت

قاعدة مستنياه كتير لكن أبوها مجاش زي ما كان بيوعدها دايماً، حاولت أمها تقرب منها أكتر لكن عمرها ما هتقرب زي ما كان أبوها منها قريب أوي منها وحاسس بيها وبتحبه..

مات أبوها وسابلها مطعم كبير مكتوب بإسمها خوفاً من عيلته لإنه عامل حساب اليوم ده، يوم موته، يوم ما يجروا ينهشوا في أمها وفيها..

وبعد ما اتخرجت من الكلية بسنة ماتت أمها بسكته قلبية وبعد ما كانت قاعدة تستنى أبوها ، بقيت قاعدة تستني الإتنين قدام عقارب الساعة.

حسيت البنت بنقص جواها، حسيت بحاجات كتير بتضيع منها، مش لاقيه أبوها اللي كان دايماً جنبها و بتنام في حضنه للصبح ولا شايفة أمها اللي في عيونها نظرة خوف على بنتها من الأيام .

بدأت تحس بمعنى الغياب وعرفت يعني إيه موت ويعني إيه اللي بيروح مش راجع ويعني إيه قلوبنا متعلقة بقلوب تحت التراب، كبرت ولسه فاكره الإتنين.

فاكره صوته وضحكته ،حنيته عليها، فاكره حضنه وإيده لما كأنت بتلمسها، فاكره كتفه اللي كان بيشيلها عليه وإيديها حاسه بشعره لما كانت بتمسكه منه كبرت ولسه برده فاكره أبوها بتفاصيله ومش ناسيه أمها بحنيتها وطيبتها، سامعه صوتهم اللي بيتردد جواها و حاسه بدمهم اللي بيجري في عروقها وملامحها اللي واخداها منهم..

أبوها سابلها المطعم بإسمها تديره وتكبره وزي ما أبوها حافظ عليه هي كمان أصرت تحافظ على الحاجة الحلوة اللي من تعب وريحة أبوها وشقى عمره بتكمل يومها زي أي حد بيكمل يومه وتروح تنام عشان تصحي تاني يوم تكمل عايشة حياتها وبتضحك وعادي عايشة طبيعية من بره زي أي حد مفيش أي فرق بينها وبينهم لكن عمر ما كان اللي جواها سهل أو شيء عادي .

لإن ببساطه مفيش حد تحكيله اللي جواها أو تشكيله تعبها اللي حساه فبتخرج كل اللي حساها جواها وعلى شكل حروف صغيرة نايمة على سطور دفترها ترجع

من الشغل تتغدى تدخل أوضتها، يا تنام يا تفتح التلفزيون تتفرج لحد ما تنام وهي مش حاسة بنفسها..

كان نفسي يفضلوا جنبي، يفضلوا معايا لحد ما أكبر، أصحي من النوم على صوتهم وأنام وأنا مطمنه، كان نفسي أحس بيهم وأنا كبيرة أكتر، كان نفسي أعيش حياتي كلها وهما حواليا أخد رأيهم قي قراراتي، أسمع صوتهم الدافي وهو بينصحني كان نفسي أحس بإيديهم وهي بتطبطب عليا وتخفف تعب يومي.

أنا عارفه إنهم شايفني وحاسين بيا، وأنا حاسة بيهم وشامه ريحهتم، سامعه صوتهم لسه بيتردد في ودني، كان نفسي أحس بحضنهم وقت ضعفي ويقويني..

مش عارفة أعمل إيه من بعدهم، صحيح عايشة بس من جوايا تعبانة والهلاك ساكن ضلوعي، كل حاجة فكراهم، جدران البيت نفسها إيديهم تلمسها ومفتقداهم..

جربت الوجع و الفراق من صغري واتعودت على البُعد، بقيت بخاف من الناس وبخاف أكتر أقرب منهم، حاسة بالوجع جوايا وبتهرب من كلامهم، وشوشهم غريبة مش متعودة عليها وكلامهم أسخف منهم نفسي الاقي الشخص اللي يعوضني و يحبني و يفهمني من غير ما أتكلم، نفسي الاقي نفسي اللي تاهت مني وأنا صغيرة معاهم، نفسي أحس بالأمان..

نفسي ألاقي الشخص اللي معاه مخافش من أي حاجة كل ما أبُص في عيونه تزيد قوتي بنفسي أكتر، نفسي أعيش حياتي طبيعي من غير فراق..

وجود الناس حواليا لوحده مش كفاية، محتاجة حاجات كتير أوي غيرهم معايا، محتاجة "حب، حنية، طبطبة" محتاجة شخص يحبني ويفضل معايا، محتاجة ربنا يعوضني عن اللي فات من حياتي، محتاجة السعادة في حياتي أوي محتاجة أحس بالإحتواء اللي عمري ما حسيت بيه أبداً نفسي أعيش حياتي طبيعية زي الناس أصحي من النوم مبسوطه مشيلش هم حاجة، ألاقي الشخص اللي يشيل عني و أشيل عنه..

أياً كان مين الشخص اللي هحبه ويحبني مش عاوزه منه غير إنه يحس بيا ويهتم ويشيلني في عيونه زي ما أنا هشيله جوايا لأخر عمري، نفسي في حُضن ينسيني الوجع اللي جوايا، حُضن يخليني انسي أى حاجة مزعلاني، حُضن يعيشني لسنين قدام من غير حزن ولا كتمان مشاعر.

خايفة أوي من بكره ليجي وأنا لسه لوحدي، خايفة أوي أموت قبل ما أدوق طعم سعادة الدنيا وأنا في حُضن اللي بحبه واللي بيحبني، أنا خايفة أوي وبجد نفسي أوى نفسي...

وبعد إنتهائها من حكايتها قالت :

– فهمت حكاية الإنسانة اللي بقيت كل حاجة في حياتك زي ما بتقول؟ صدعتك أنا مش كدا؟!

– لأ خالص، أنا حبيتك أكتر من الأول يا ميادة !

– وأنا نفسي تكون بتحبني بجد لإني بصراحة وثقت فيك عشان كدا قولتلك.

– طب إيه رأيك بقي أنا عازمك على الغدا وفي مطعمك.

– ضحكت، مش لدرجة دي تعزمني في مطعمي يعني !

– يلا بس أطلبي حاجة نأكلها..

– بسببي أنا خليتك تخلص كل فلوسك عليا عشان تشوفني هنا.

– مش مهم عندي حاجة على قد ما المهم أوصل لقلبك.

عارفه! كنت بقول مش مهم تحبني ومش مشكلة لو تتقبلني صاحب أوتتقبل وجودي مهما كان أو على أي شكل لدرجة إن فكرت اشتغل عندك في المطعم أي حاجة بس عشان أشوفك، أنتي عملتيلي هوس في دماغي..

"الموبيل رن"

– ثواني أشوف مين ؟ رقم غريب !

– ألو ، مين معايا !

– أنا غدير ''عند سماع اسم غدير ارتبكت أمام ميادة وكأنني ارتكبت جريمة''

– إزيك يا غدير !

– أنا كويسة أنت فين ؟!

- أنا بره البيت هكون فين يعني !

- أنا كنت بسأل عليك بس أصلك مسألتش !

- ما أنا مش عارف رقمك أصلاً .

- أه، طيب عموماً اديك عرفته

- هكلمك قريب عشان أنا مشغول فعلاً..

- ماشي، سلام..

بعد إنتهاء المكالمة سألتي ميادة:

- مين دي ؟!

- دي واحدة حكايتها طوويلة أووي.

- أيوة يعني مش فاهمة مين دي ؟!

شعرت من نظرة ونبرة صوت ميادة بالغيرة ...

- بُصي دي حوارها طويل أوي بس ناكل الأول وبعدين أقولك كل حاجة عنها، لإنها واحدة نادرة من نوعها..

- ماشي، ناكل وماله يا ياسر ناكل..

ابتسمت لميادة وامسكت بيدها لأطمئنها بأن قلبي لها هى وسعادتي بداخلي تفوق كل شيء..

الشريط الثامن

بين الغيرة وعدم الثقة شعرة لا يراها إلا القليل

حواديت زمان

طلبنا الطعام سوياً وبعد الإنتهاء صممت أن ادفع ثمن الطعام لإن في إتفاقي معاها بأنني من سيعزمها على الغداء وبعد محاولتها دفعت أنا الحساب رغم انفها الجملية..

قالت لي ميادة بأسلوب فيه بعضاً من السخريه:

- مش هتحكي موضوع بتاع الأنسة غدير!

- شوفي لما كُنت في الجامعة حبيت غدير وكان يُعتبر أول حُب ليا في حياتي، دا كان بس لما قابلتك عرفت المعنى الحقيقي للحُب، المُهم إرتبطنا ببعض وعشنا أيام حلوة وكانت متمسكه بيا جداً يعني تقدري تقولي ماشية ورايا زي ضلي ودايماً مقتنعه بأفكاري ومتفاهمة معايا أوي وفي أخر سنة لينا قررت اتقدم طبعاً هى فرحت أوي وحددت ميعاد مع أهلها وأبوها..

روحت البيت لوحدي عشان الأول اتكلم عن نفسي لو عجبتهم يبقي أجيب أهلي والموضوع يبقى رسمي أصل مش هينفع أجيب أهلي في أول مقابلة عشان الإحراج إفرضي رفضوا أو قالوا كلمة مش حلوة وقتها مش هستحمل إنما لو أبوها قالي أنا كلام فأنا عادي هستحمل نتيجة فعلي وفعلي هو أن أنا روحت اتقدم..

لما وصلت البيت قعدت مع أبوها وكان شخص كويس معايا جداً وقولتله إن أنا خريج هندسة نفس بنته ونفسي اتجوزها وتبقى من نصيبي اتشرف بالنسب العظيم دا أبوها:

– دا شرف لينا يا إبني بس لازم أهلك يبقوا معاك عشان يبقى الكلام على وضوح ونعرف ناويين على إيه معانا !

منكرش إن فرحت وجريت على أهلي وحكيتلهم وبعد محايله طويلة بابا وافق وماما وافقت إلا حد ما لإنها كانت بتفكر في حاجات كدا زي إنها شيفالي واحدة معينة في دماغها هى، بس بعد الضغط مني ومن بابا وافقت وروحنا نتقدم رسمي أنا وأهلي يومها حصل اللي عمري ما كُنت متوقعه أبداً في حياتي ..

دخلنا قعدنا وقدموا لينا الواجب، بابا فتح الموضوع واتكلم وأمها كانت قاعدة وأخوها قاعد وأبوها، أبوها :

– أنا عاوز شقة لبنتي تبقى قريبة مني وفضل يطلب في طلبات كتير أوي لدرجة إن أنا خوفت للحظه إن أمي تفتح بوقها عشان عارف إنها في الحق بتتكلم ومش بتخاف من حد مهما كان، كانت طلباته صعبة وغريبة اللي هو يعني إيه حضرتك اعملها فرح مايكونش تكلفته أقل من 60 ألف جنيه والشبكة ماتكونش أقل من 50 ألف جنيه، المشكلة إنه مش بيبُص للشخص اللي قدامه إنه لسه في بداية طريقة ولسه هيكون نفسه ولسه ولسه ولسه .. صحيح أهلي هيساعدوني حتى لو بحاجة بسيطة، أمي وقتها اتكلمت:

– يعني أنتوا شايفين انه لسه هيبدأ حياته وبتطلبوا طلبات صعب إنه كا شاب لسه في بداية حياته ينفذها.

أمها: لو إبنك مش قادر على طلباتنا فـ كل شيء قسمة و نصيب..

وقتها وقفت من مكاني وقولت شكراً يا عمي على الواجب اللطيف دا وفعلاً هى قسمة ونصيب زي ما حضرتك قولت، وقتها بابا بصلي بنظرة غريبة مفهمتهاش إلا بعدها بفترة وإحنا طالعين من البيت أمها قالت بصوت عالي عشان تسمعنا وإحنا ماشيين:

لما هو لسه متخرج ومش قادر جاي ليه هو وأبوه وأمه ما كان يقعد في البيت جنبهم أحسن، أنا بنتي لازم تتجوز أحسن جوازة وبكره تسمعوا وتشوفوا..

قولت لماما ولبابا: أنا أسف عشان أحرجتكم مع الناس دي وأسف كمان إن معرفتش أجيبلكم حقكم منهم..

بابا: يا إبني كفاية وقفتك قدمهم وأنت بتقول شكراً وهنمشي دي بحد ذاتها كرامة لأمك وأبوك إنك دوست على نفسك عشان خاطرنا ومحملتناش فوق طاقتنا..

طبعاً أكتشفت بعدين إن غدير كانت قايله لأمها عليا وأمها أصلا من البداية مش موافقة وناوية تبوظها ليا عشان شايفه عريس أحسن مني وأبوها لما جه في صف غدير كان عشان مش عاوز يكسر بقلب بنته والطلبات اللي اتطلبت كانت عن لسان أمها بصوت أبوها، يعني تحسي إن راجل البيت واحدة مش واحد..

غدير كلمتني تاني يوم:

- أنا بحاول يا ياسر بس ماتسبنيش أنا بحبك والكلام الحلو اللي يحسسك إن الشخص اللي معاكي متمسك بيكي وأنا فكرت مرة وإتنين وقولت هحاول عشان بتحبني بس للأسف كانت كل المحاولات فاشله وبرده كُنت متمسك بغدير لكن جالي مُكالمه بعدها بأسبوع من غدير..

- أنا أسفه يا ياسر مش هقدر أكمل معاك لإن خلاص أنا تعبت وبصراحة جايلي عريس كويس شغال بره مصر وهيقدر ينفذ طلبات أهلي وشاب كويس ومن عيلة محترمة، ربنا يوفقك في حياتك..

ردي عليها كان بسيط جداً وهو: طيب..

ومن بعدها إتقطعت علاقتي بيها تماماً حتى صحابي لما كانوا بيجيبوا سيرتها قدامي:

- اللي هيفكر يجيب سيرتها تاني ميعرفنيش ويبعد وينسى أسمي تمام !

كُلهم تقبلوا رغبتي وأحمد فراج صاحبي وقف جنبي وساعدني أعدي من المحنه دي بكُل الطرق لحد ما بعدت عنها ودلوقتي جايه عاوزة ترجع بس بعد ما إطلقت من جوزها اللي من عيلة كويسة وشغال بره مصر وهيعيشها أحسن عيشه .

ميادة: طيب يا ياسر مش مهم زمان والمهم عندي دلوقتي.

– ودلوقتي أنتي كل حاجة وعشانك أعمل أي حاجة، المهم أنا همشي عشان الساعه بقيت 11 بالليل.

– طيب هشوفك بكره ولا ؟!

اعطيتها رقم هاتفي..

– خلاص رقمي معاكي وقت ما أوحشك إتصلي هتلاقيني.

وقفت بجانب الطريق انتظر المواصلات ولكن كان الطريق شبه معدوم، لا توجد أي سيارة، وقفت ساعة كاملة إلى أن وجدت سيارة أجره وكان يرى أن الطريق طويلاً عليه فقلت له اذهب معي وسأعطيك كل ما تطلبه، وافق ثم ركبت معه وأخذني الي منزلي، دخلت من الباب متجهاً إلى غرفتي ،إذا بأحداً يطرق الباب فقلت..

– إدخل يا بابا..

– عرفت منين إن أنا مش أمك ؟!

– أمي دايماً بتدخل دخالات شرطة الآداب، رزع الباب وبتهجم معندهاش حوار تخبط على إبنها ولسه مقتنعه إن أنا طفل وكل ما أقولها يا ماما أنا كبرت! تقولي كبرت على نفسك مش عليا دا أنا كُنت بغسلك شختك يا معفن.

ابتسم أبي وقال بصوت هادئ: أنت سيبت الشغل ولا هما اللي رفدوك !

– خالص يا بابا أنا واخد أجازة مفتوحة بدون مرتب .

– في حد مزعلك هناك !

- لأ بس محتاج أرتاح شويه وماشي في موضوع كدا إحتمال أحمد ياخدني معاه إنجلترا بره وأعرف أعيش أحسن من كدا..

- طيب أصل أمك قلقانة عليك بس فقولنا نعرف حكايتك إيه !

- متخافش أنا عارف مصلحتي فين يا بابا.

- تصبح على خير يا إبني .

- وأنت من أهله يا بابا وخلي أمي تهدي من الشخير شويه عشان تعرف تنام.

رقم مجهول يتصل بي..

- ألو ، مين معايا !

- أنا زياد يا ياسر.

- زياد مين ؟

- أنت لحقت تنساني !

- زياد وجيهان!

- أيوة، إزيك !

- تمام وأنت ؟

- كويس يا ياسر، أنت تيجي بكره الجامعة لو سمحت عشان جيهان مُخها فلت منها وعماله تخطرف بالكلام وتغلط وأنا قولت أرد عليك عشان متزعلش مني لو عملت حاجة ..

- لو عملت إيه؟ ما تخلي بالك من كلامك يا زياد حتى لو بتخطرف ومجنونة إيه لو عملت حاجة دي ؟!

- مش قصدي يعني أنا أقصد لو زعقت مثلاً أو سبنا بعض !

- براحتك تسيبوا بعض تفضلوا بس متزعقش فيها، عموماً أنا جاي بكره متقلقش وهنشوف الموضوع إيه يلا عاوز حاجة ؟!

- لأ سلام..

خلدت للنوم وفي اليوم التالي ذهبت إلى الجامعة لجيهان لإنني قد وعدتها بأنني سأكون لها الأب الذي يخاف على إبنته ويحميها من كل ضرر ..

عند مقابلتي لها تفاجئت بأنني هنا فقلت: مالك إيه اللي مضايقك ؟!

قالت:

- أنا جوايا كتير أوي يا ياسر مش مستحمله ومش قادرة استحمل أكتر من كدا..

- الواد دا زعقلك ولا شتمك أو أي حاجة ؟!

- جيهان: زياد بيحب فريدة يا ياسر مش بيحبني أنا على طول الآقيهم مع بعض ودايماً بيتكلموا وأي مشكلة تحصل يدخل فريدة تحكم ما بينا زي ما يكون فريدة من أهلي ولا حاجة.

- جيهان عاوزه نصيحتي ؟

- ياريت ؟!

- الولد دا مش راجل وأنا مُتأكد من اللي بقوله وعرفت دا من أول مقابله بيني وبينه لما قالي إن أهلي هيساعدوني وهيصرفوا عليا دا غير إنه عاوز يخطبك في الدراسة، يا بنتي أنا كُنت عايش في علاقة زمان وكُنت رافض اتقدم وأنا في الدراسة وبعد ما خلصت أنا موافقتش عشان مش هحمل أهلي كمان مسئولية جوازي وكفايه إنهم فضلو يربوا فيا لحد ما أكبر إنما زياد دا هيقول لأبوه هات فلوس إما افسح جيهان..، سيبيه يا جيهان أنتي تستحقي أحسن منه..وبعدين أنتي إيه أكدلك إنه بيحب فريدة ؟!

- جيهان: أصل كل ما بكلمه ألاقيه مشغول فاتصل بفريدة الاقيها مشغوله هى كمان ومش معقول يعني الإتنين في نفس الوقت وبعدين في مرة وقع بالكلام وأنا عديتها وعملت نفسي مش واخده بالي وهو غير الموضوع بسرعة وأكتر من مرة قالي يا فريدة ندالي بإسمها فاهم؟! شاغله باله أوي ؟!

- وأنتي إيه يخليكي تستحملي واحد زي دا؟!

- جيهان: بحبه ..

- لو الحب هيضيع كرامتنا هنشربه زي السيجارة وندوس عليه برجلينا يا جيهان لو هيقل مننا وهيقل من قيمة أهلنا، أنا قولتلك الخُلاصه وأنتي حره بقى، أنا همشي عشان ورايا مشوار وإبقي عرفيني عملتي إيه بعدها..

خرجت من بوابة الجامعة متجه إلى توكيل مستحضرات التجميل واشتريت منه شيء بسيط وذهبت إلى ميادة بسرعة ..

كالعاده ميادة تجلس على طاولتها وتمسك بهاتفها المحمول تلعب بيه، أخذت الهاتف من يدها وأخذتها على المكتب وهى مندهشه من تصرفاتي حيناها.

قلت:

- امنعي أي حد يدخل علينا .

- مالك مش مطمنه يا ياسر؟!

- عندك مانع افتح شنطتك ؟

- اممممم لأ اتفضل !

فتحت حقيبتها اخرجت منديل ورقي، امسكتها من يدها واجلستها على المقعد المقابل لمرأتها وضغطت على ذراعيها بيدي ..

- أنتي مطمنالي مُمكن تسيبي نفسك ؟

- مالك ؟!

- مفيش بس هوريكي حاجة عمرك ما تخيلتيها.

- طيب وريني ؟!

أمسكت بالمنديل ومسحت مكياجها ثم قولت لها أغسلي وجهك جيداً ثم امسكت شعرها الطويل بلطف وأبعدته عن ذراعيها ثم حولته لضفائر..

ربطت شعرها وبعدها اخرجت قلم الكُحل من جيبي ..

لما رأت القلم قالت: إيه اللي بتعمله دا ؟!

اقتربت من أذنها بصوت هادئ :

هووووووش أسكتي خالص.. سيبيلي نفسك يا حبيبتي''

أمسكت قلم الكُحل ورسمت أعيونها وأتيت بحمر الشفاه، لونه أحمر هادئ جداً ورسمت شفتيها بالحمرة وهى جالسه أمامي صامته ومستسلمه لي، أسير بيدي على خديها وامسكت المنديل امسح أي غلطه مني بالحمرة أو بالكحل وهى صامته وشفتاي قريبة جداً لشفتيها وأشعر بنفسها الدافئ وهو يلاعب وجهي ومستمع لصوت دقات قلبها ...

بعد ما انتهيت: ها إيه رأيك؟ شوفي كدا أحلى بكتير من والألوان اللي كُنتي بتحطيها على وشك صح ؟!

نظرت لمرأتها وقالت ببتسامه: تصدق كدا أحلى بجد، أنت إيه رأيك برده؟

قولتلها :

- أيوة أحلى بكتير وأشيك كمان وبعدين عاوز اقولك على حاجة مهمة أوي تحطيها في دماغك ولازم تفكري فيها بعقلك مع نفسك كويس أوي ربنا لما خلقك، خلقك في أحسن صورة لما تيجي أنتي وتبوظى شكلك بشويه ألوان ملهاش لازمه تبقى خسرتى كتير خسرتي جمالك المُميز والطبيعي وخسرتي الصورة اللي ربنا خلقك بيها، عامل بالظبط زي العصير الطبيعي والعصير البودرة، لما تشربى عصير مانجة طبيعي أكيد مش زي ما تشربى عصير مانجة بودرة وبتحسي بالفرق أوي في طعم دا وطعم دا حتى لو

البشر حاولوا يغيروا وخلوه نفس الطعم هتعرفي تفرقي ما بين دا ودا وتحسي بجمال الطعم في بوقك.

- ميادة: عارف أنا حاسة إن قلبي هيوقف من حبك ليا، حاسة إن مُمكن أموت بسببك، قلبي بيدق بطريقة مش طبيعية لإنك جنبي.

- تموتى إزاي يعنى؟

- أموت كدا اهو زي الناس..

- أنتي بتهزري؟! موت إيه اللي بتكلمينى عنه دا وبعدين أه كلنا هنموت بس متتكلميش عنه تاني مهما كان ومش عاوز اسمع سيرته طول ما إحنا مع بعض فهماني يا ميادة، مش عاوز سيرته تيجي على لسانك..

- أنا مش متخيله إن في حد بيحبني كدا ؟!

كانت كل أحلامي إن ألاقي واحد يخلص ليا ويكون بتاعي إنما أنت كسرت كل الحواجز اللي بيني وبين كل حلم وبعد ما كان حلم بقى حقيقة بشوفه قدامي في كل وقت، أنا مش عارفه أقولك إيه ولا عارفه أوصف الإحساس اللي جوايا بكلام ولا حتى قادرة أقولك بحبك، عارف حتى كلمة بحبك بقيت قليلة عليك مش ده كلامك يا ياسر ؟!

بُص أنا فعلاً بغير بس في شعرة بين الغيرة وعدم الثقة أنا قدرت أشوفها مع إنها شفافه أوي لكن عرفت أشوفها لما حسيت بيك وعرفتك وتأكدت إن الغيرة وعدم الثقه مُمكن يضيعوا علاقات نبيلة وطاهرة بسبب شك بسيط أوي إنما أنت حاجة تاني غيرهم تماماً..

أبتسمت وأمسكت يدها ثم قبلتها ضغطت علي يدها كي تشعر بأنني سأظل بجانبها الى الأبد وجلسنا نتحدث كثيراً عن مستقبلنا معاً ثم تركتها ليلاً الساعة الـ 8 مساءً وأنا أسير في المواصلات أحمد فراج اتصل بي:

ياسر حبيبي أنت فين كدا ؟!

- أنا راجع ع البيت في حاجة ؟!

- تعالى في كافية "بلايستيشن" في حد عاوز يشوفك !

- مين ؟!

- دي مفاجأة لازم تيجي ، تعالى وهتعرف..

- طيب إديني نص ساعة بس وجاي.

ظللت طول الطريق افكر من هذا الشخص وعند وصولي للمكان وأنا هناك تفاجئت فعلاً رأيت ياسين حمدي، فرحت جداً وعانقنا بعضنا البعض وجلسنا نتحدث عن أيام الدراسة وعن قذارة تفكيرنا القديم الذي كان يجمعنا نحن الثلاثة معاً..

سألت ياسين: أنت فين يا إبني من بعد ما الدراسة خلصت أنت اختفيت ؟!

- ياسين: هعمل إيه بقى دورت على شغل وبعدها لبست في الجيش 3 سنين ظابط إحتياطي وبعد ما خلصت دورت على شغل ولقيت هنا في الإسكندرية شغل في شركة كدا مُرتبها حلو ولقيتلي سكن حلو أنا بقالي حوالي 3 شهور هنا اهو هقفل الرابع، دا عشان إسكندرية صغيره كمان عرفت أجيب أحمد بالصدفة شوفته واقف قدام كُشك قريب من بيتي وأنت بقى فينك ؟!

- أنا يا سيدي خلصت واشتغلت على طول بابا يعرف واحد شغلني في شركة برده كويسة محترمة وأهو شغالين بس أنا حالياً واخد أجازة مفتوحة يعني تغير جو من قرف الأيام ..

نظرت لـ أحمد فراج، مشغول يتحدث مع شخصاً في الهاتف ولا يريدني سماع ما يقوله فقلت له:

- في إيه ياض؟ مش على بعضك ليه ؟

- أصل في كمان مفاجأة ليكم تانية..

- مفاجأة كمان؟! مين دا بقى ؟!

- مين دي بقى مش مين دا ..

ونحن جالسين سوياً نشرب العصير وجت غدير أمامي، غدير !!

– هاي إزيكم كُلكم عاملين إيه؟ إيه رأيكم في المفاجأة دي ؟!

وقفنا جميعاً نسلم عليها ثم جسلت معنا وبدأت تحكي لنا عن الحياة وعن عملها ثم إندمجنا معاها في الحديث وبدأنا نتكلم عن ذكرياتنا في الماضى مع بعضنا وعن أيام الإمتحانات والجامعة التي تغيرت جداً.

ياسين: مين قدك ياغدير بقيتي مُعيدة دلوقتي وبتقبضي فلوس قد كدا على قلبك..

– خالص يا إبني مش أوي يعني بس اللي بيسند معايا الدروس اللي بديها للطلبه بره الجامعة في السنتر هى دي اللي يعني تمشي الدنيا معايا واهو كله بيقلب في رزقه يا ياسو..

ضحك أحمد: أنتي لسه فاكره دلعه دا كان بيضايق منه لما حد يقولهوله !

– ياسين: أيام بقى وراحت لحالها..

– قلت: طب أنا هدخل الحمام وجاي..

ذهبت متجهاً إلى الحمام وتركتهم ثم وقفت أمام المرأة أتنفس بغضب بسبب ما فعله أحمد وآتى بغدير لهنا لإنني أصبحت لا أطيق رؤيتها..

أحمد آتي إلى الحمام:

– ياسر أنت مضايق عشان جبتها؟!

– أيوة يا أحمد كان المفروض تعرفني إنها جايه وأنا قايلك إن هى عاوزة ترجع وأنا منفض للموضوع دا مش حصل مني ؟!

– أحمد: والله ما اعرف هى قالتلي غير كدا وقالتي إنكم بقيتوا أصحاب ولسه مكلماك ومفيش حاجة في دماغها فجبتها، دي حتى طلبت تشوفك عشان تفهمك إن الموضوع بقى عادي متقلقش أنت بس وتعالى يلا فك كدا متخربش القعدة بتكشيرتك دي، يلا روح أنت وأنا هدخل الحمام أفضي التنك وجايلك عشان ماحدش يأخد باله إن في حاجة أو أنت متضايق من وجودها..

- ماشي يا أحمد فضي التنك.

وقفت أمام المرآة ارتب ملابسي وغسلت يدي وأمسكت المنديل وخرجت لهم مبتسم إبتسامه مزيفة .

- غدير: إيه يا ياسر حساك مش مظبوط كدا ؟!

- لأ مفيش بس عشان بره من الصبح فهلكان من تعب اليوم مش أكتر.

- ياسين بدون قصد: وأنت إيه أخبار الحُب معاك مش ناوي تتجوز بقى،غدير جربت حظها ومظبطش معاها وأنت بقى إيه ؟!

أنتهزت الفرصة وقت قريباً جداً سأتزوج ..

- هانت يا ياسين كلها شويه كدا وتسمع خبر حلو .

- غدير: بجد مين دي ؟!

- لسه كدا بنشوف الدنيا فيها إيه !

- ياسين: طيب كويس يا رب نسمع سمع خير كدا .

بعد إنتهاء أحمد آتى وجلسنا ساعة نتكلم ونضحك ونستمع إلى أحمد وهو يروي لنا بطولاته في دول الغرب مع نسائهم إلى أن قررنا مغادرة المكان والرحيل..

نهضت من مكاني ووقفت بجانب ياسين نتحدث ثم أخذت رقم هاتفه وغدير تتكلم مع أحمد بصوت منخفض، ركبنا السيارة وأوصلنا ياسين ثم أكملنا طريقنا ولكن فوجئت عندما وقفت سيارة أحمد عند منزله ومعنا غدير !

قلت لأحمد:

- إيه يا إبني أنت اتسطلت ولا إيه؟ دا عصير اللي إحنا شربناه مش حاجة تانية ؟!

- لأ أنت هتأخد العربية وهتوصل غدير أصلي تعبان شويه وبكره هاجي أخدها من تحت البيت ماشي ؟!

- طيب ماشي ..

نزل أحمد من السيارة ثم قلت لغدير:

- بيتك فين عشان أوصلك ؟!

- ياسر خلينا نتمشى شويه بالعربية أو نروح مكان هادي أو نقعد نتكلم في العربية لو سمحت يعني ؟!

- حاضر ..

ونحن في الطريق سمعت هاتفي يرن، ميادة تتصل بي

- إزيك ؟! أنتي وصلتي البيت ولا إيه؟!

- أه وصلت الساعة بقيت 11:30 وأنا تعبت شويه وسيبت المطعم شغال فقولت أعرفك إن أنا وصلت، أنت فين !

- أنا بره في مشوار وهروح بعدها .

وقت مكالمتي مع ميادة سمعت غدير تقول: أحم أحم مفيش مناديل في العربية دي ؟!

وكأنها تحاول ان تلمح لميادة بوجود أنثي معي في السيارة...

ميادة: مين اللي جنبك دي ؟!

- لأ مفيش دا أنا راكب ميكروباص وكدا ..

- ماشي، تصبح على خير بقى يا حبيبي .

- وأنتي من أهله يا قلبي..

اغلقت الهاتف ثم قلت بغضب:

- غدير أنتي قصدك إيه بإنك تتكلمي وأنا بتكلم مع اللي بحبها، عاوز إيه ياغدير؟!

- مش عاوزة حاجة بس أنا كُنت بشوف مناديل..

- أه وعلبة المناديل اللي قدامك دي ؟!

- تصدق مشوفتهاش ؟!

وقفنا في مكان هدئ يخلوا من الناس ثم قالت:

- ياسر، أنا بحبك والله بحبك أنت ليه مش عاوز تصدقني ؟!

- مش، مش عاوز أصدقك.. الحكاية إن أنا خلاص شلتك من جوايا وكمان مبقاش ينفع يا غدير..

- لا أنا جواك وبعدين قصدك إيه مابقاش ينفع ؟ عشان نمت مع راجل غيرك؟!

عموماً دا كان جوزي مش واحد من الشارع ..

قلت:

- مهما كان مين الموضوع خلص وأنا مش عاوز اتكلم في الموضوع دا بمد إيدي على مفتاح العربية اشغلها عشان نمشي سبقتني وخدته وحاطت المفتاح في صدرها.

- هاته لو عاوزه ؟!

- على فكرة دي اسمها وساخه يا غدير!

- يا ياسر أنا نفسي في حُضنك عاوزاك، نفسي أجرب الحب معاك ..

- تجربي الحب ولا تنامي معايا؟! في فرق ما بين الإتنين!

- قصدي أحس بجسمك عشان بحبك، أحس بيك وأنت معايا !

وضعت يدها على كتفي فقلت: غدير لو سمحتي ماينفعش كدا أنا بحب واحدة تانية ولو سمحت هاتي المفتاح وزعقت فيها ..

اخرجت مفتاح السيارة من صدرها: خده اهو..

أخذت منها المفتاح بقوة ثم أخذتها وأكملنا طريقنا ونحن في الطريق قالت:

- ياسر لو ماقولتش ليا أنا بحبك هرمي نفسي وفتحت باب العربية واحنا ماشيين، قولها حتى لو بتكدب عليا ..

أوقفت السيارة بسرعة فجأة ..

فتحت باب السيارة وخرجت وهى أيضاً خرجت منها قولت بصوت ممتلئ بالغضب :

- أنتي عاوزه مني إيه ؟!

انسيني يا غدير أنا عمري ما هكون ليكي والموضوع اتقفل من يوم ما أبوكي وأمك أهانوا أهلي وأنا عمري ما هنسى فاهمة، يا غدير أنتي دورتي على ميدالية المفتايح والسفر أكتر ما دورتي علي اللي بيحبك ..

- يا ياسر أنا مش وسخه كدا

ضحكت بسخريه.

قالت غدير: قصدك إيه بالضحكة دي إن أنا وسخه؟!

- مقصدش حاجة وكل واحد عارف نفسه..

فتحت غدير باب السيارة وأخذت حقيبتها وقالت:

- أنت أوسخ إنسان شوفته في حياتي أنت نسيت الأحضان والبوس اللي كان بينا وأنا هوريك أنا هعمل فيك إيه يا ياسر وهخليك تندم على اليوم اللي شوفتني فيه وقريبتك دي بقى هنيمهالك في الكلية طول ما أنا موجودة فيها ..

- غدير اقسم بالله لو جيتي جنب جيهان لمدمرك وأنتي عارفه أنا لما بتحول ببقى عامل إزاي، خلي بالك أنا مُمكن أجيبك من شعرك فاهمة ؟!

- هشوف مين اللي هيموت التاني ..

أقف بجانب السيارة والغضب يصب من عيني كالدموع، شعرت بلحظه بأنني أريد أن أمسكها وأضربها على وجهها ألف مرة..

أخذت حقيبتها ووقفت على الطريق المعاكس، أوقفت تاكسي وركبت وذهبت...

لم أستطع السيطرة على نفسي وبدأت أضرب برجلي في السيارة وبيدي..

اتصلت بأحمد:

- أنت يا إبن الكلب إيه اللي أنت عملته دا أنا مش عاوز أعرفك تاني والحركة الوسخة اللي أنت عملتها معاها عليا أنا هعرفكم هعمل فيكم إيه !

- يا ياسر أهدى بس عشان خاطري أنت فين ؟!

- أنا قدام المكتبة ..

- خليك متتحركش أنا جايلك ماتمشيش أصبر ..

دخلت السيارة أجلس فيها إلى أن سمعت صوت طرق على زجاجها، أحمد آتى، فتحت باب السيارة وخرجت منها وبدأ يعلو صوتي عليه وقلت له ما حدث بيني وبين غدير وتهديدها لجيهان ..

- والله يا ياسر أنا مفكر إنها هتتكلم معاك عادي مش في حوار الحب وكدا وإنكم ترجعو لبعض ؟!

- دي واحدة وسخة ومُمكن تعمل أي حاجة عشان توصل للي عاوزاه ..

- لو على حوار بنت خالتك أنا هكلمها ومتقلقش أنا هظبط الدنيا ومش هخليها تعمل حاجة وكمان هخليها تظبطها في الجامعة..

- لو بنت خالتي شالت المادة بتاعتها أنا هفشخك وهفشخها ..

- خلاص متخافش مش هتيجي جنبها يلا تعالى هسوق أنا عشان أنت متعصب ومش هينفع تسوق بحالتك دي ..

ركبت السيارة ثم وصلت لمنزلي وقبل أن اخرج من السيارة قلت :

- أحمد أنا لو عليا أولع أنا بجاز وسخ إنما بنت خالتي مالهاش ذنب إنها تشيل المادة أو تعيد السنة لأ فاهمني يا أحمد ؟!

- يا ياسر متقلقش أنت بس أنا هتصرف معاها، مش أنت مش عاوز تعرفها تاني ؟!

- يا ريت لو جبتني تاني وهى معاك هبقى مش عاوز اعرفكم أنتوا الإتنين.

- خلاص ياعم إتفقنا متشيلش أنت هم حاجة.

خرجت من السيارة وإقتربت من بابه وقلت :

- بكره تكلمني تعرفني إيه اللي حصل وهى ناويه على إيه فاهم ؟!

- ماشي ياعم خلاص بس أنت فك كدا وسيبك منها وأنا هتصرف..

صعدت على سلم منزلي خائف على جيهان بسبب غدير وما قالته لي وهى ليس لها ذنب وسأكون أنا ذنبها التي لم ترتكبه، قررت أن أحاول لحل المشكلة قبل أن تكبر وتزيد وأحاول أضغط على أحمد ليتصرف معها ويجد حلاً، إقتربت من نتيجة الحائط أدركت أن اليوم هو الأربعاء موافق 14/ 12/ 2005، تبقى 16 يوماً فقط على رأس السنة الجديدة 2006 ..

بعدما ابدلتُ ملابسي مكثتُ على الفراش أفكر في أكثر من موضوع مُهله أفكر في ميادة ومُهلة ثانية افكر في غدير ومُهله أخرى افكر في جيهان إلى أن أتاني النوم أخذني لأحلامي..

أقف في مكان مظلم لا أرى أمامي خطيت خطوة بقدمي والهواء يشتد من حولي مِلت بجسمي لأسفل وحاولت أزحف على الأرض من شدت الظلام لكن وجدت فراغ إذا تحركت أقع لأسفل رجعت للوراء بجسمي وجدت نفسي على صخرة إذا تقدم خطوة سوف أقع لأسفل لكن أين لا أعرف؟!

وفي وهله أضاءت الدنيا من حولي نظرت للمكان رأيتني أقف على قمة عالية ومن حولي جبال قاتمة السواد لكن يوجد جبل لونه أبيض من كثرة الثلج عليه، لكن وجدت جسور غير كاملة أمام كل جبل، لكن لا تصل إلى الصخرة التي أقف عليها، إذا قفزت لا أصل حتى إليها وجدت نفسي أصرخ لكي يسمعني أحد نظرت إلى السماء وناديت وقولت يا رب بناجيك وحدك تسمعني ضممت قدمي ووضعت رأسي عليها وظللت أبكي لكي ينجدني أحد..

عندما كنت أواصل في البكاء سمعت صوت غريب يتردد بين أضلوعي يقول: أنظر إلى قلبك..

وقفت مكاني ..

أقف أنادي على صاحب الصوت، من يحدثني؟! أجب من أنت ؟!

أجبني أين أنا ؟!

صرخت بأعلى صوت، انتظر إلى أين أنت ذاهب !

أنت أين ؟!

أنادي على شخص لا أعرفه ولا أعلم من أين إتجاه يأتي هذا الصوت !؟

صرخت بصوت عالي إلى أن راح صوتي من كثرة الصريخ..

أمي : ياسر ! ،، ياسر؟! أنت يا زفت ؟!

استيقظت من النوم وأنا اقول: أنت مين ؟!

أمي: أنا أمك يا موكوس ..

كُنت بتزعق وأنت نايم بتحلم بإيه ؟!

قولتلها:

– كنت بقول إيه يا ماما ؟!

– مافيش عمال تقول استني! أنت مين! متسبنيش؟!

– طيب يا ماما خلاص ..

– أنت كنت نايم بتحلم بمين ؟!

قولت:

مش عارف، مش عارف أي حاجة .. حلم غريب كل حاجة فيه غريبة !

– طيب يا حبيبي ابقى اتغطى كويس عشان خلاص داخلين على الشتا والجو هيبرد، أنا هطلع اللبس الشتوي عشان خلاص داخلين على الثلج..

– أحلى حاجة الشتاء، الشتاء اللي بروده بيدفي..

– أمي: وأحلى حاجة لما تقلع جزمتك قدام الباب عشان الطينة عشان لو لقيت السجاد إتوسخ أنا اللي هخليك تكره الشتاء يا حبيبي، قوم يلا من النوم عشان الساعة بقت 10 الصبح ..

إقتربت من هاتفي وامسكت به لكي أرى هل توجد مكالمات أم لا، أكثر من 26 مكالمه من ميادة لم يرد عليها، قفزت من على سريري سريعاً وعندما رأتني أمي بهذه الحاله قالت:

- إيه البنت الصايعة بتاعتك بعتتلك رسالة بتقولك فيها شوفلك غيري؟!

- يووه يا ماما بقى، بتصل بيها لقيت موبيلها مقفول؟!

إتجهت لحمامي مسرعاً وقلبي يدق بسرعة غريبة من شدة الخوف ثم إرتديت ملابسي ونزلت مسرعاً على المطعم ثم سألت عليها فقالو لي بأنها تجلس في مكتبها، طلعت على سلالم المكتب ثم فتحت الباب، رأيت ميادة تبكي وعيناها تكاد أن تنزف دم من شدة البكاء ..

أول شيء خطر ببالي أن غدير قد استطاعت أن تصل لغدير عن طريق أحمد لأنني في حديثي مع أحمد قلت له كل شيء عنها وعن عنوان المطعم !؟

قفلت الباب وإقتربت منها بخوف وأنا متجمد اللسان والعقل..

إقتربت منها وقولت بصوت مرتبك: ميادة، مالك ؟!

- ياسر أنا مبقاش حد في حياتي دلوقتي بيحبني غيرك، أرجوك ماتسبنيش لوحدي، أنا خايفه أوي لتسبني يا ياسر؟!

أمسكت يدها وظللت لأطمئنها وقلت:

- إهدي الأول و أحكيلي بس مالك في إيه ؟!

- بابا وماما لما ماتوا كان ليا واحدة بس هى اللي صاحبتي ودلوقتي هى كمان ماتت في حادثة، البنت اللي كانت قاعدة جنبي لما أنت دخلت وشوفتني في المستشفي، يارا ماتت.

ملامحي حزينه ولكن لساني عاجز عن الكلام بعد ما سمعته منها ..

وفي لحظه قفزت في حضني وتبكي على صدري فعانقتها بيدي أكثر وباليد الأخرى أسير بيدي على شعرها، أحاول أن أخفف الألم بداخلها..

أجلستها على الكرسي وجلست بجانبها ويدي على كتفيها وهى تميل برأسها على جسدي، أحاول نزع الألم والحزن من قلبها على فراق صديقتها وأعلم أنه من الصعب أن تجد كلاماً يداوي الجرح ..

لا أعلم ماذا أقول وكيف أواسيها لأن الكلام في بعض الأوقات لا يقدر أن يمحي الألم وتحديداً إذا كان سبب الألم فراق ميت كان بالنسبة لك كل شيء وأصحبت الآن أنت فوق الأرض وهو تحتها، فالسكوت أحياناً يكون انسب رد في هذه الحالات، السكوت أنسب بكثير من كلام سمعناه ويتردد كثيراً..

قالت:

- ياسر، مُمكن تيجي معايا العزاء ؟!

- أكيد مُمكن هفضل قاعد معاكي النهاردة لحد ما نروح أنا وأنتي وبعدين هوصلك للبيت عشان ماينفعش اسيبك لوحدك..

قالتلي:

- هتسيبني ؟!

- عاوزك توقفي قدام البحر وتبُصي بعيونك وتركزي لو شوفتي نهايته مع السحاب لازم وقتها تتأكدي إن أنا هسيبك بمجرد ما تلاقي نقطه نهاية..

أخذت نفساً طويلاً بداخلها وهى بين ضلوعي ثم قالت:

- يارا دي أنا اعرفها من 3 سنين أول كلام ما بينا كان خناق وبعدها إتصاحبنا أوي وبقينا أصحاب لدرجة أنت متتصورهاش، تعرف يارا عارفه حكايتك معايا وقالتلي لو حاسة إنه بيحبك ماتسيبهوش خليكي ماسكه فيه عشان في فرص بتجيلنا مرة واحدة مُمكن تعوضنا عن سنين اليأس ومن كلامك عنه شكله حد كويس هيحافظ عليكي، إتمسكي بيه..

- ربنا يرحمها..

- كانت كُل حاجة في حياتي لما أنت ظهرت قاسمتني حياتي بقيت أنت وهى أنتو الإتنين بحبكم أوي ..

- وأنا بحبك ويارا كمان بتحبك زي ما أنتي بتحبيها وأكيد هتزورك دايماً بروحها وأنتي لازم تزوريها دايماً يا ميادة..

أكملت يومي معها ثم ناديت على أحد العاملين وطلبت الغداء لها

قالت:

- مش هقدر أكل صدقني ماليش نفس لأي حاجة.

- وأنا كمان ماليش نفس بس الأكل هيخلينا نكمل يومنا أحسن ما ندوخ ونقع من طولنا وعشان خاطري هتاكلي معايا، اطلبي الأكل يجيلنا فوق المكتب وهناكل هنا ..

حاولت معها ولكنها ترفض الأكل بشده ثم بعد إلحاحي عليها وافقت وبعد انتهائنا من الغداء طلبنا مشروب غازي ثم جلست معها الي ان بدأت الشمس بالغروب وذهبنا الي الغزاء..

بعد وصولنا فوراً ذهبت أنا أجلس مع الرجال وذهبت هي إلى منزل يارا ثم بعد ساعة إتصلت بي وقالت لي أريد أن أذهب، فذهبت انتظرها عند السيارة ثم أمسكتها بيدي وضغطت على يدها حتى تشعر بأنني اشعر بالذي تشعر هي به، فالحزن يأكد أن ينهك قواها ..

ونحن في الطريق قالت لي:

طلبت أدخل أوضة يارا وطلبت محدش يدخل عليا، قعدت على السرير أعيط وأمشي بإيدي على فرشتها ومخدتها وأبُص على صورها وأنا بقلب شوفت صورنا مع بعض وفضلت أعيط وعماله اقول: حتى أنتي يا يارا ؟! حتى أنتي مشيتي ؟! ليه؟ .. أنا كنت محتاجاكي أوي الفترة دي جنبي ..أنا شامة ريحتك في الأوضة كلها، ربنا يرحمك.

وقفت بالسيارة تحت منزلها..

- يارا مش نسياكي وأكيد حاسه بيكي يا ميادة!

- يا ياسر أنت مش فاهم أنا ويارا كنا أصحاب إزاي!

- حاسس بكل اللي جواكي.

- تصبح على خير.

- هشوفك بكره وهاخدك لقبرها تزوريها..

- ماشي .

نزلت من سيارتها و وقفت أنتظر المواصلات ثم إتصلت بأحمد''

- عملت إيه يا أحمد ؟!

- خلاص أنت متقلقش من حاجة بس عاوزك الفترة دي متتصلش عليا خالص لحد ما أنا اللي أتصل عليك وأكلمك ماشي، ياسين كان بيسأل عليك ابقى كلمه وأبقى رد على الناس اللي بتكلمك يا حبيبي متعملش فيها مهم كدا.

- طيب يا أحمد ، سلام..

رجعت المنزل

يوم الجمعة 16/12 جيهان تركت لي رسالة مع أمي وأنا نائم "لما تقوم تعالى البيت عاوزاك"..

روحت لجيهان بيتها وقالت لأمها: ذهبت الي منزل جيهان ثم قالت لأمها :

- الساعة لسه 11 الصبح ؟!

- يا ماما عادي في محلات بتبقى فاتحة، سلام.

خرجت معها ونحن نسير في الطريق قالت: عاوزين مكان نقعد فيه..

خطر ببالي أن أخذها إلى مطعم ميادة ليتعرفوا على بعض ويغيروا من مزاجهم المتعكر.

قلت:

– هوديكي المكان اللي إبن خالتك مقيم فيه.

– فين ؟!

– عند ميادة .

– دي اللي بتحبها ؟!

– أيوة .

– طيب كويس هنعرف نتكلم هناك ؟!

– يا بنتي دي صاحبة المطعم..

وصلنا إلى المطعم وجيهان تبحث بعينها عن ميادة وكأنها تريد أن تعرفها قبل أن أقول لها عليها فذهبت أسأل عنها "الكاشير" فقال لي إنها لم تأتي من بيتها بعد، جلسنا على الطاوله وإتصلت بميادة، أيقظتها بإتصالي فقلت لها:

– أنتي لسه صاحية؟

– معرفتش أنام يا ياسر إمبارح.

– طيب يلا تعالي في واحدة عاوزة تعرفك .

– مين ؟!

– تعالي بس وأنتي هتعرفي .

طلبنا شيء نشربه إلى أن تأتي ميادة..

– مالك يا جيهان ؟!

– زياد سابني يا ياسر .

– تصدقيني لو قولتلك إن كُنت حاسس إنه هيسيبك عشان دا واحد مُعتمد على أهله أكتر ما هو مُعتمد على نفسه ولسه في سن المراهقة والدنيا مجاتش عليه عشان يتعلم إزاي يشيل المسئولية وبعدين بصراحة أنا خايف تتجوزوا، دا واحد مش عارف يشيل مسئولية نفسه هيفتح بيت إزاي ويشيل مسئوليتك والأطفال بعدين ؟!

– مش دي المشكلة، المشكلة إنه سابني بقاله 3 أيام وامبارح شوفته ماشي مع فريدة وعرفت إنهم إرتبطوا ببعض وعرفت من صاحبه إنها بتقول لزياد إنها كانت بتحبه وأنا وهو كُنا مع بعض !

ضحكت بصوت عالي، كل الموجودين بالمطعم نظروا لي

– كُنت عارف إن دا هيحصل ما هو أصله لسه طفل وفريدة دي مابتحبش تضيع وقت زي ما أنتي كُنتي بتقولي ومسيرها تسيبه وتشوف غيره.

– لأ يا ياسر فريدة مش هتسيبه دا واحد مبسوط مادياً وأهله بيساعدوه وعنده عربية وشقق كتير وهى نفسها في حد كدا يعني من الأخر هتوب على إيده كدا وهتحاول تحافظ عليه ومُمكن كمان تعمل معاه حاجه عشان يلبسها..

– سيبك أنتي كدا أحسن دي واحدة شمال وأنتي عارفة وزياد واحد خرا وأنتي برده عارفه .

– هقولك على حاجة بس متزعلش مني، زياد أكتر من مرة حاول يبوسني وأنا رفضت ومنعته وكُنت هسيبه وقتها فعشان يرجعلي صمم يقابلك، أنا فرحت وقولت هيتغير وداخل جد بس اكتشفت وقتها إنه كان بيحاول يصلح الغلط عشان مايطلعش زباله قدامي، بس إحنا بنكتشف حقيقه العالم اللي زي دي متأخر أوي..

وصلت ميادة وعند رؤيتها لجيهان تبدلت ملامحها ..

قالت:

– أهلاً .

– أعرفك ببنت خالتي جيهان عندها 22 سنة وميادة يا جيهان اللي حكيتلك عنها عندها 25 سنة وطبعاً أنا ياسر 28 سنة، هايف جداً انا ..

جيهان صامته لا تتكلم من الحرج فبدأت أنا بالحديث حتى أنزع حجاب الصمت وبعدها بدأ الكلام بينهم وفتحت جيهان موضوع زياد وتحدثاً قليلاً عنها وعنه..

– ميادة: دا كان لازم تسيبيه من أول يوم لإن اللي زيه عمرهم ما فكروا يحبوا، أنا واحدة عندي 25 سنة بس شوفت كتير وعارفه أنا بقول إيه ، الفرق ما بينا مش كبير ..

– جيهان: ياسر حكالي عنك واحنا في الطريق، ياسر دا عمره ما قال لحد عن حاجه بيعملها عشان بيخاف من الحسد أوي وخصوصاً لو بيحب بيحافظ على الحاجة اللي في إيده وبصراحة عنده حق..

أكلنا سوياً وبعد إنتهائنا أخذت ميادة وجيهان ثم أوصلت جيهان إلى منزلها بعد تأكدها بأنها أخطأت وارتكبت خطأ كبير في حق نفسها لأنها سمحت لنفسها بأن تحب شخصاً مثل زياد، بعد ما نزلت جيهان من السيارة إتجهنا إلى القابر لنزور صديقتها يارا..

دخلنا المقابر فوجدنا أهل يارا هناك، وقفت أنا بعيداً وميادة وقفت مع أهل يارا، قرأت لها الفاتحة ودعيت لها أن يدخلها ربي الجنة ودعوت لميادة بأن يصبرها الله على فقدان صديقتها، أقف بعيداً عنها بخطوات أنظر لها ولجمالها الذي كاد أن يدبل بسبب حزنها الذي أثر على حياتي قبل أن يؤثر عليها، أخاف عليها

أكثر من نفسي.. ثم أخذت جيهان رخصة الإستأذن من أهل يارا وخرجنا من المقابر، ركبنا السيارة نجلس صامتين فقلت لها:

قولتلها:

– إيه رأيك نغير المود شويه ؟!

– إزاي ؟!

– هقولك إزاي ..

الشريط التاسع

عام الصراعات

2006

إتجهنا إلى شاطىء البحر..

الساعة 5 المغرب..

أوقفنا السيارة بعيداً وجلسنا على الرمل، أتى طفلاً يبلغ من العمر 12 عاماً أقترب منا وهو يحمل غزل البنات..

قال :

– تاخدي غزل البنات يا أنسة؟ تاخد يا بيه للعروسة ؟!

– بكام غزل البنات؟!

– أنا هديك كيس بفلوس وللي جنبك هتاخد مني إتنين ببلاش..

إبتسمت مياده من كلام الطفل..

قلت له: واشمعنا اللي جنبي تاخد ببلاش؟!

– عشان حلوة ..

– أنت بتعاكس بقى؟!

– أبداً بس شكلها زعلانة فـ حبيت أفرحها عشان أشوف ضحكتها دي.

– ميادة: ربنا يخليك بس أنا مش هاخد إلا لما أدفع .

– ماشي موافق..

أشترينا منه 4 أكياس ..

ونحن نأكل غزل البنات قالت مياده:

– تعرف يا ياسر أنا بقالي حوالي 4 سنين مادوقتش طعمه أبداً لو حتى كنت دوقته مش هيبقى حلو زي ما كان بابا بيجبهولي أبداً.

– ربنا يرحمه .. بُصي بقى أنا جايبك هنا وعارف إن الجو برد بس عاوز نقوم أنا وأنتي ونرقص سوا على الشط قولتي إيه ؟!

– نرقص ؟!

- أه هنرقص ..

أمسكتها من يدها وأوقفتها وقلت لها أغمضي عيناكي مثلي واتركي جسدك للهواء وهو يحركنا مثل ما يريد، أغضمنا أعيننا وبدأنا بالرقص مع الرياح، نميل معها ونطير معها، فتحت عيني أنظر لها لازالت ترقص وملامحها هادئه..

ونحن مستمرين بالرقص تركت يدي ورقصت بمفردها، أنتقلت إلى عالماً أخر هى من صنعته بنفسها لترقص فيه..

تتحرك كالفراشه بكل هدوء وجسدها تأقلم على الهواء بتركت نفسها للرياح، ثم وقفت وفتحت ذراعيها للسماء وصامته، جلست أنا على الأرض، وجودت طفل غزل البنات يقترب منها ووضع عصا غزل البنات على الرمل ورقص بجانبها وهى لا تشعر به، إنتقل الاثنين إلى عالم أخر ولكن كلاً منهم يرقص بمفرده..

لما فتحت عيناها هى أيضاً وجودت طفل غزل البنات يرقص بمفرده..

وقفت تنظر إليه وهو يرقص ثم قالت:إحم..

فتح الطفل أبواب عينيه وهو سعيد جداً وعند إستيعابه بأنه ما زال على الأرض حزن لإنه كان يطير في السماء مع الطيور وينتقل من مكان لمكان بدون حواجز تعيق طريقة... شعر الطفل بالخجل..

مسكته من يده وقالت: تعالى أقعد معانا..

جلس بيني وبينها قولت له:

- أنت عندك كام سنة ؟!

- عندي 12 سنة وأنتوا !

- أنا عندي 28 سنة ودي عندها 25 سنة، وأنت أسمك إيه بقى ؟!

- أنا أسمي بياع غزل البنات كل اللي عايزني بيندهلي بالأسم دا وعمر مافي حد ندهلي غير بياع غزل البنات.

– ميادة: طب لو حبينا نعرف أسمك؟!

– جون.

– إحكيلي عنك يا جون؟!

– أنا عندي 12 سنة وحط عليهم كمان 12 سنة يبقوا 24 سنة وده سن عقلي إنما السن اللي الكل بيؤمن بيه في شهادات الميلاد فـ هو زي ما قولتلك 12 سنة، أنا ماليش أم ولا أب تقدري تقولي فتحت عنيا لقتني شايل غزل البنات، لما بشوف ولد ماشي جنب أمه ببقي عاوز أسأله أنت مبسوط؟ طب حاسس بإيه وأمك ماسكه إيدك ؟!

كان نفس يبقى عندي أم زيك وزيها وزي الناس اللي ماشيه في الشارع مع أهلهم كان نفسي أحس أوي بالإحساس دا ولحد دلوقتي عمري ما حسيته في حياتي لما شوفت الأنسه بترقص قدامي غمض عيني ورقصت جنبها حسيت إن رجلي بترفع من على الأرض وطاير في السما، كنت بفكر في كل حاجه في حياتي ماكونتش عاوز أفتح عيوني عشان كنت مبسوط..

وضعت ميادة يدها على شعر الطفل تلاعبه وقالت:

– مُمكن نبقى أصحاب؟!

– أنا وأنتي ؟

– أه، أصحاب وتبقى صاحب ياسر كمان!

فرح جداً ومن فرحته بدأت عينيه تمطر بدموعٍ نقيه وقال :

– هتقبلوا نبقى صحاب وأنا كدا ؟!

– أيوة، قولي تحب تشتغل عندي في المطعم ولو عاوز تنام هوفرلك مكان تنام فيه قولت إيه ؟!

– بكام ؟!

ضحكت ميادة وهو بيقول بكام وقالتله: 1000 جنية وهتاكل وهتشرب وهتنام ببلاش ومش هتدفع حاجه خالص .

قلت: فرصة مش هتتعوض يا جون وبعدين دي طيبة أوي وهتفرح لما تعرفها أكتر ومش هتحس إنك شغال على قد ما تحس إنك فعلاً وسط عيلتك .

- أنت جوزها؟!

- هبقى جوزها..

- حبيبها يعني ؟

- أه حبيبها.

وقفت من على الرمل وقلت لميادة هيا لنذهب، وقفت ميادة، نظر لها الطفل يتنظر ماذا ستفعل !

ميادة قالت:

يلا هات غزل البنات وتعالى نروح نوديه للراجل اللي بتشتغل معاه وتجيب هدومك ونروح أنا وأنت على مطعمنا أو شغلك زي ما قولنا.

أخذناه معنا وركبنا السياره وذهبنا الي الرجل الذي يعمل عنده جون ثم دخل جون فنتظرنا قليلاً إلى ان أتى، نظرت له وهو يحمل ملابسه في شنطه بلاسيتك سوداء .

قالت: يلا يا جون عشان نلحق المطعم قبل ما يقفلوه عشان إحنا أخرنا 12 وبنقفل، وصلنا إلى المطعم ودخلنا من باب الزبائن، عين الطفل كانت تتجول في كل مكان في المطعم، شيء غريب عليه أول مرة يدخله ..

دخلت المطبخ وتحدثت مع الشيف خليل وقالت:

- يا شيف خليل، جون هيشتغل معاكم.. هيساعدكم في غسل الأطباق والتنظف وعلموه يطبخ عشان في المستقبل يبقى مساعد الشيف وخدوه الشقه ينام معاكم فيها..

- شيف خليل: حاضر يا بنتي، نورتنا يا عم جون.

إبتسم جون ثم بكي، إقتربت منه وقلت:

الصحاب دايماً بيخافوا على بعض وبيساعدوا بعض وأنت صاحبنا فلازم نشوفك كويس، يلا امسح دموعك ..

أخذ الشيف خليل جون لبدأ عمله الجديد..

قلت لميادة: أنتي فعلاً إنسانة ولو كل واحد عمل كده مُمكن نطلع ناس عندهم موهبه ومُمكن جون يبقى هو الشيف بعدين..

– ميادة: أنا كنت فاهمة إن أنا اللي حياتي صعبة لما بابا وماما ماتوا لكن اكتشفت إن في ناس أساساً ميعروفش حنان الأم ولا عطف الأب..

بعد رجوعي إلى منزلي قالت لي أمي :

– رفدوك من الشغل يا موكوس عشان متبروحش وطول اليوم صايع برا معرفش صايع فين ؟!

– عرفت .. صاحبي قالي، دخلت الأوضة أغير ولما خلصت طلعت من الأوضة قولت لبابا عاوزك لو سمحت في الأوضة أنا وأنت في موضوع لو فاضي يعني بعد إذنك بس ؟

– أمي: هو في بينكم أسرار ماشي يا إبن بطني..

دخل أبي الغرفه وجلس على سريري ثم قلت له:

– هو لسه في مكان ليا عندك في المعرض بتاعك ؟!

– إيه عاوز تسيب شغلك وتيجي تشتغل معايا في أثاث البيوت والديكورات؟

– أه .

– كويس أنا موافق.

– أصل أنا اترفدت من الشغل عشان من شهر 3 وأنا مأجز من الشغل.

– امم، طيب يا إبني أنا مبسوط من قرارك ده عشان لما أموت تمسك المعرض وتحافظ على اسم أبوك اللي فضل يحافظ عليه سنين من عمره.

- بس إديني شويه وقت مُمكن ؟!

- قد إيه كدا ؟!

- يعني بعد رأس السنه .

- هو النهاردة كام في الشهر؟!

- 29/ 12 يا بابا.

- طيب وقت ما تحب قولي عشان أنزلك أفهمك الدنيا فيها إيه وأعرفك على التجار والمصانع والمهندسين اللي بنتعامل معاهم .

- شكراً يا بابا ..

- بتشكر أبوك ؟!

- طب اقولك إيه ؟!

- ماتقولش يا إبني حاجه ..

خرج من الغرفه وجلس مع أمي ومتأكد بأنها لن تترك أبي قبل أن تعرف ما حدث بيني وبين أبي فكان مضطر أبي أن يقول لها حتى تتركه هى أيضاً في حاله..

مرت الايام وأنا بجانب ميادة..

وفي يوم السبت خرجت معها نجلس في مكاناً عام وفجأة بكت بدون أي أسباب للبكاء المفاجئ !

سألتها: مالك ؟! قالتلي:

- أصل شوفت البنتين اللى هناك دول فكرونى بيها، ب يارا ..

- اممم، مُمكن تهدي شويه يا حبيبتي أنتي عارفه إن العياط مش كويس عشان صحتك وكمان ماينفعش تعيطي أصلاً..

امسكت بحقيبتها وفتحتها واخرجت مرآتها الصغيره، فوجدت بالصدفة كيس "اولويز" ..

- بتشيلى أولويز فى الشنطة يا قليلة الأدب ؟!

أمسكت حقيبتها وملامحها قد خجلت مني ثم إبستمت وعيناها ممتلئه بالدموع..

- أنت اللي قليل الأدب .

- وماله كله في ميزان حسناتي..

انظري لوجهك، كيف تبكي، تبكي عيناكي وأنتي جميلة؟ أريد منك ألا تبكي مرة أخرى مهما كان فإن قلبي يبكي على بكائك..

أصلك متعرفيش إن دموعك دي بتوجعني إزاي !

قالت: على فكرة أنت بتأفور أوى معايا !

قلت: أنا بقول اللي حاسه وبس ومش فارق معايا أفوره أو لأ وبعدين أنتي المفروض تكوني عارفه إن كل كلمة بتتقال بتبقى طالعه من جوايا..

ونحن نجلس نتحدث، فجأة أشتد التعب عليها وأخذتها بسرعة إلى المستشفى..

الدكتور قال: المفروض كانت تغير دم من فترة لكن هى ماجتش عشان تغير دم زى كل مرة، كان المفروض تغير الشهر اللي فات شهر11 .

قلت لميادة: عاوزة تموتي نفسك مش كدا!

- أموت أحسن ما تسيبني أنت كمان زي يارا.

إقتربت منها و وضعت رأسي على رأسها:

- لما تموتي أنا هعيش لمين بعدك! تفتكري هعرف أعيش أصلاً ؟!

- متخفش أنا كويسة بس عشان بطني وجعاني وكدا فالتعب زاد.

- فاهم قصدك عندك الـ..

- بطل قلة أدب.

- الحمد لله إنك كويسة.

خرجت من غرفتها ثم تحدثت مع أهلي اطمئنهم علي حتى لا يقلقوا وأنني سأنام اليوم خارج المنزل..ثم رجعت إلى غرفتها وهى نائمة على سريرها، أمسكت بيدها وأنظر لها إلى أن نمت أنا أيضاً، أستيقظت على صوتها وهي تتألم وشاهدت الممرضين بجانبها سألتهم:

– فى إيه مالها ميادة؟ حد يرد عليا في إيه؟

– مفيش حاجه، حصلت تضاعفات بس هتاخد حقنه وهتبقى أحسن قربت منها وهى نايمة وقولتلها :

– تفتكري ربنا هيزعل لو حبيتك أكتر منه؟

– إبتسمت، ربنا هو اللي أختارك ليا وعارف إن أنت اللى هتفهمني وتحبني بجد من جواك عشان كده لقيتك بسرعة قبل ما العمر يعدي بيا..

إقتربت بيدها لتمسح دموعي..

إقتربت منها ووضعت يدي تحت رأسها وأمسكت بيدها وأخذتها بين ضلوعي وقولت لها:

– عارفه عمري ما تخيلت إن هحب حد كدا أساساً !

متخيلتش في يوم إن مُمكن أحب حد أكتر من اللي خلقنى بتبُص ليا ومبتسمه..

أنتي بالنسبة ليا حاجة أكبر من الكون دا كله حاجة متتوصفش أنتي حُبك عدى حُبي للي خلقني ونفخ فيا الروح، حُبك بالنسبالي كيان ودستور عايش عليه أنتي، أنتي كل حاجة، أنتي كل حاجة فيكي كاملة ومش ناقصك أي حاجة.

قالت :

– ساعات بيجي علينا وقت نلاقى الشخص اللي بيحبنا من قلبه بجد بس من كتر العلاقات الفاشله واللي بنشوفه بقينا بنخاف نقرب لتضيع كل حاجة جوانا ومفيش حد عارف امتى هنحب ولا امتى هنفارق عايشين وسايبين الدنيا تودى وتجيب فينا ومفيش حد عارف في زمنا دا اللي بنعمله صح ولا غلط من اللى بنشوفه.

قبلتها على رأسها:

– أنا عن نفسى عارف أنا بعمل إيه دلوقتى وعارف موجود هنا ليه!

عاوز اقولك حاجة قبل ما أحبك كنت بقول:

لما أحب مش هحب واحدة عشان صدرها ولا عشان ضهرها أو تقسيمة جسمها، أنا هحب واحدة لما اتعب واحط رأسى على صدرها أحس بالأمان معاها والتعب يزول بمجرد ما أحس بدفى حضنها، لما أحب مش هبُص لأي واحدة صحيح بيقولوا إن عيون الراجل زايغه لكن اللي بيحب استحاله يبُص على واحدة تانية

عشان اللي بيحبها أصلها ماليه عنيه ومكفياه زي ما أنتي مكفياني ومش مخلياني اعرف أبُص برا من غير حتى ما تعملي أي حاجة..

فى بنات عاملين زى قطعة الماس مدفونه وسط الجبال مستنيه الشخص اللي يجي ويدور عليها ويكتشفها ويطلعها للحياة لإن حرام اللى زيها يندفن وسط شويه تراب..

عارفه لما بسمع مزيكا بفتكرك ولما باكل بفتكرك ولما بفكر مبفكرش غير فيكى ولما بصحى من النوم بتيجي على بالي ولما أنام برده بحلم بيكى، أنتي ساكنة حياتي وقاعدة فيها بدون ما أقاوم أو حتى تلاقي رد فعل مني، أنا مستسلم بكل إرادتي ليكي ورافع قلبي على إيدي زي الرايه البيضة..

أنا مش عارف إيه الحب اللى جوايا ليكى دا؟

أنا بقيت حاسك إله من السما بقيت بحبك أكتر من اللي خلقني أنا، أنا مش عارف بحبك كدا ليه أصلاً !!

خرجنا من المستشفي اليوم التالي..

وأنا معها سألتها سؤال غريب:

– هما أهلك من أبوكي أو أمك ماجوش سألوا عليكي ليه أو مفيش حتى أي حد من قريبك قريب منك ؟!

– تخيل إن مفيش ولا حد من أهل أمي أو بابا بيحبني عشان ..

أولاً: أهل أمي بيسألوا بس عشان لو عاوزين فلوس.

ثانياً: أهل بابا من بعد ما عرفوا إن البيت والمطعم وكل حاجة تخص بابا إتكتب بإسمي وهما بيكرهونا حتى لما عرفوا إن أمي ماتت محاضروش العزاء عشان أكتشفوا إن سني بقي 21 سنة اللي هو خلاص مباقتش قاصر وقادرة أتحكم في فلوسي وهما همهم الفلوس وبيتمنوا موتي عشان ياخدوا كل حاجة..

تعرف يا ياسر لو جاتلهم الفرصة يموتوني هيعملوها، دا حتى ولاد عمي مبيسألوش عليا ولا حتى ولاد عمتي، زي ما أنت شايف جيراني، أصحابي هما دول أهلي إلي حد ما إنما اللي من دمي نكرين وجودي وبيتمنوا يتخلصوا مني.

ذهبت معها إلى منزلها وصعدنا على السلالم وجدنا ورد أمام باب المنزل فأمسكت بالكارد: ألف سلامه عليكي، أنا لما عرفت خوفت أوي عشان بحبك أوي أخوكي الصغير جون..

وقفنا على باب المنزل وهى تمسك بالباب ابتسم لها وهى تبادلني الإبتسامه ثم نزلت، أغلقت باب منزلها عليها وأنا أنزل على السلالم وجدت رسالة من أحمد فراج "موبيالك غير متاح طول اليوم لما تفتح كلمني ضروري"..."

إتصلت بأحمد:

– أنت فين يا إبني ؟!

– أنت اللي فين ؟!

– خلاص كنت بوصل ميادة ورايح على البيت .

– طيب عموماً عندي خبر حلو ليك بس الأول لازم نتقابل .

– طيب أنت فين وأنا أجيلك ؟!

– أنا عند محطة الرمل في كافية "لاكوستا"..

– طيب تمام، ساعة بالكتير وأكون عندك.

وصلت للعنوان أنظر الي الناس فوجدت أحمد وجلست معه..

– إيه الأخبار اللي عاوزني عشانها ؟!

– طب مفيش إزيك ولا أي حاجه !

– يا أحمد أنجز عشان أنا فيا اللي مكفيني .

– عموماً غدير دي طلعها من دماغك خالص وانساها.

– إزاي ؟!

– رسمت عليها دور الحب وهى صدقت وعشمتها بالسفر معايا وهي إقتنعت أوي ومبسوطة..

– ضحكت وقولتله، تصدق الوسخ هيفضل وسخ وهى فعلاً كده عمرها ما هتتغير لسه بتبُص للماديات ولميدالية المفاتيح اللي معاك زي ما بصت للي قبلك..

قال: بس بصراحة يا ياسر لما أتكلمت معاها حسيت إن في حاجه جواها ليك، حاجة نظيفة كده، زي ما بيقولوا الحب اللي مش بنعرف ننساه..

– فكك من حبها والحوارات دي، أنت هتسفرها معاك فعلاً ؟!

– أسفر مين ياعم أنت بتصدق، إحنا بنعيش يومين وبس يعني أقضي أجازتي معاها واهو تتحسب من ضمن اللي عرفتهم وبعدين هى مالهاش عازة عندك يبقى خلاص " أصبحت ملكي " ..

– طيب كويس، حوار جيهان بقى عملت فيه إيه ؟!

– لما كلمتها قالتلي أنا كنت بضايقه وكنت فعلاً هشيلها المادة، بس أنا يا ياسر بخبرتي كـ ابن للحج فراج عرفت إزاي ألفها وأحطها في جيب البنطلون وقولتلها لو جيتي جنبها انسيني وهي خلاص اقتنعت بيا، شيلها من دماغك بقى لحد ما أعرف أجيبلك حقك ..

– أنا اتشمت منها في الشارع .

– هخليها تندم على اليوم اللي عرفتك وعرفتني فيه بس متقلقش..

– أعمل حسابك يوم رأس السنة أنت وياسين معزومين وهتصل بيكم، هنحتفل برأس السنة الجديدة في مطعم ميادة..

19/12/2005 أمام المطعم..

أقف أمام المطعم مع ميادة نسند على السيارة ونتحدث، قلت:

– تفتكري لو أتقدمتلك للجواز هتوافقي ؟!

– إتصدمت من سؤالي وقالت: أنت بتهزر صح !

– ردي على السؤال ؟! هتوافقي ؟

– لازم أوافق، مجبره أوافق عشان بحبك..

وهى سعيدة وتقفز من فرحتها، كف رجلها مال – اتلوح – سندت بيدها على السيارة وتتألم من شدة الألم.. قلت:

– استني خليكي زي ما أنتي ..

إنحنيت بجسدي وقبل أن أمسك برجلها المصابة رفضت وقالت:

– لا يا ياسر ماينفعش هي هتبقى كويسه قوم عيب كدا..

– يا ياسر الناس بتتفرج علينا ماينفعش كدا !

– مُمكن تهدي شويه! سيبك من الناس..

– استني وإهدي، نزلت بركبتي ومسكت رجليها وهى بتتوجع من ألمها وبإيدي حاولت أحرك رجليها واحده واحده ..

وقف بعض الناس ينظرون لنا ومنتبهين لما أفعله وتحديداً بعض البنات عند رؤيتهم لي كانت أعينهم تتحدث وهي تقول " أريد مثل هذا الرجل"..

ميادة: يا ياسر كفاية كدا الناس بتبُص علينا أرجوك !

– لسه حاسة بوجع فيها !

– خلاص بقى عشان خاطري ماينفعش كدا وهى بتحاول تخليني أسيب رجليها فأبعدتني بيدها وبدون قصد وقعت على الارض..

– أنا أسفة بجد مش عارفه، أنا أسفة.

– لأ مفيش حاجة المهم إن رجليكي كويسة دلوقتي..

وأنا أقف معها قال أحد الماره: الرجالة ماتت..

نظرت له ثم إبتسمت إبتسامه ترد على ما قاله فهو لم يحب من قبل..

– أنا مش قولتلك إنك كتير عليا؟

– عمري ما كنت كتير عليكي عارفة، لما تفرحى ببقى عاوز أكون سبب فرحتك ولما تتخنقى ببقى عاوز أكون أنا سبب راحتك ولما تتعبي لازم أكون أنا اللي بشاركك تعبك أصل "أنا أنتى"..

******

الشريط العاشر

عجباً على زمناً تحولت فيه الدماء لماء

يوم لك و يوم عليك

2005/12/31 الساعة 11:49

أقف مع ياسين وأحمد وميادة في المطعم نحتفل برأس السنة..

وكل من بالمطعم يشارك في إحتفال رأس السنة وعندما وقف العقربان عند الساعه 12:01 فتحت الأنوار والمزيكا تلاعب أذاننا..

جلسنا على الطاولة كلنا ثم قدمت أحمد وياسين لميادة وأحبتهم مثلي والفرحة في عيناها لإنها بدأت تقترب من الناس أكثر وتحدثنا سوياً وكان المزاح بيننا قوياً وميادة سعيدة لإن أحمد بدأ يتحدث عن أيامنا معاً وعن فضائحنا القديمة..

ميادة: على فكرة يا أحمد أنت دمك خفيف أوي .

أحمد: ربنا يخليكي دا من ذوقك وياسر دا أنتي متعرفهوش لما يبقى مزاجه رايق بيتحول وبيتشقلب يخليكي تموتي من الضحك..

ميادة: وأنت يا ياسين شكلك طيب الصراحة ..

ياسين: ربنا يكرمك، دا شرف ليا أنا والله إن إتعرفت عليكي، على زوجة ياسر في المستقبل..

أمسكت يد ميادة وسعيد بها وهى تنظر لي أرى نفسي في لمعان عيونها..

وأنا انظر لعيناها كالمرآة تعكسني ولمعة العين من الفرحة تملئ عيناها الجميلتين..

قالت ميادة: يلا يا جماعة عشان هناخد صورة مع طاقم المطعم، صورة لذكرى لأول يوم في السنة ..

وقف العاملين في المطعم ووقفت بجانب ميادة وجون جالس على كرسي بيني وبينها وعلى يساري أحمد وياسين و وراءنا العاملين بالمطعم، ألتقطت الصورة..

بعد إنتهاء الإحتفال ركبت السيارة ومعي ميادة و وراءنا في السيارة الآخرى أحمد وياسين وبعد ما تأكدت بأن ميادة دخلت منزلها وفتحت نور منزلها ركبت في المقعد الخلفي وأحمد وياسين أمامي ثم ذهبنا.

أحمد: مد إيدك يا ياسر تحت الكرسي بتاع ياسين هات الإزازة..

طلعت الإزازة وقولتله: خد ..

أحمد: أصل ما ينفعش نحتفل برأس السنة كده يعني .

شرب ياسين مع أحمد إلى أن أصبحوا مثل المجانين فطلبت من أحمد أن يقف يتركني أقود أنا السيارة ورجعوا هما الإثنان في الكرسي الخلفي والسياره تهتز من صوت المزيكا وبعد إنتهاء إحتفالهم الخاص أوصلت ياسين بيته ثم وصلت بيتي ونزلت من السيارة فخفت على أحمد فأنزلته من السياره يقف على قدميه ليستعيد وعيه ليعرف يقود سيارته وقبل أن يذهب أحمد بسيارته قال لي:

صحيح ياسين عارف حوار غدير ومرسيه على الدنيا من الأول عشان هيساعدني في حاجات هعملها مع غدير..

قلت:

- وأنت تقول لـ ياسين ليه وتعرفه حاجة زي دي؟ وإيه حاجات دي ؟!

- غدير كلمت ياسين وبتلعب في دماغه وبتحاول تكرهه فيك وبتجيب القديم والجديد وبتقول عنك كلام محصلش في حق ياسين عشان تشدوا مع بعض فياسين كلمني وكان لازم أقوله الحوار كله وأعرفه غدير ناويه على إيه وكمان غدير بتحاول تكرهني فيك بحوارات قديمة، بس صحيح أنت قولت لغدير قبل كدا دا أنا لو عندي أخت مش هجوزاها لواحد زي أحمد ؟!

- تفتكر أنا مُمكن اقول عنك كدا ؟!

- امم، لأ بس أنا شكيت يا جدع !

- وإيه الحاجات اللي ياسين هيساعدك فيها ؟!

- ياسين بُص على أخره منها لما عرف إنها عاوزة تقلبلك حياتك وتعمل معاك مشاكل لكن الحاجة التانيه دي هسيبها مفاجأة ليك أنت عشان تاخد حقك قدام عينيك .

- ماشي، سلام.

ذهب أحمد سريعاً متجه لبيته وأنا طلعت على سلم البيت..

في اليوم التالي وجدت الصور التى أخذنها أمس وضعت واحدة في صالة المطعم والثانية موضوعه جنب صور أبيها..

سألت عليها لم أجدها في المطعم، إتصلت بيها موبيلها كان مشغولاً !

دخلت المطبخ أبحث عن جون، سلمت عليه وسألته عن أخباره وأخبار العمل معه قال: أنا مرتاح هنا، زمان كان الواحد متبهدل في الشوارع إنما دلوقتي حاسس إن كل الناس اللي هنا زي أهلي بالظبط ومفيش فرق بيني وبينهم.

- إيه دا إيه دا ؟! أنت جيبت موبيل !

إبتسم والفرحة في عينيه، هكذا هم البشر أصحاب المشاعر الرقيقه من أقل شيء يبتسمون و يفرحون..

- أه وفي نغمات مجسمه كمان .

قلت: حلو حافظ عليه بقى وأنا معاه ميادة إتصلت وقالتلي تعالى الإبراهيميه ضروري ولما توصل كلمني عشان أقابلك ..

لما ذهبت تحدثت إليها وطلعنا عند محامي فسألتها: إيه اللي حصل في إيه ؟!

قالت: مرفوع عليا قضيه من أهل بابا إن أنا مابعرفش أتصرف في مالي وعاوزين يطلعوني مجنونة عشان ينهشوا فيا وتبقى كل أملاكي تحت سيطرتهم واللي شاكيني عمامي وعماتي كلهم وماضيين على الشكوى ..

طلعنا للمحامي وجلسنا معه ثم قال :

هما عاوزين كل فلوسها تبقى تحت وصايتهم هما وطبعاً دا لو حصل والمحكمة حكمتلهم يبقى كده الأنسة ميادة راحت عليها..

قالت: صحيح يا ياسر أعرفك ده المحامي سعيد الطلوشي من أكبر محامين الإسكندرية وكان صاحب بابا وكان واقف معانا زمان لما كنت صغيرة لما أهل بابا عملوا نفس الحكاية في أمي وساعدنا ..

– تشرفنا، طيب حضرتك إيه الحل في نظرك ؟!

– المحامي: المحكمة هتطلب شهادة من مستشفي الأمراض النفسية بحالتها عشان تتأكد من الشكوى إذا كانت كيديه ولا لأ و وقتها الشهادة دي هى اللي هتثبت كل حاجه ولو كيديه هيبقي وقتها من حق الأنسة ميادة ترفع قضية رد شرف وتطلب اللي هى عاوزة واحتمال يتحبسوا .

قولتله : طيب والجلسة امتي !

– 2006/ 1/ 15 وطبعاً القاضي هيوقفها ويسألها كام سؤال وتاني جلسة هينطق بالحكم بوجود الشهادة اللي هتثبت كل حاجة ..

قولتله: وطبعا لو ليهم حد هناك مُمكن الشهادة تتزور .

– ده لو حصل وقتها هتبقى كارثة وهنطعن في الشهادة وفي الدكتور اللي كشف عليها .

طلعنا من مكتب المحامي وقودت السياره مكانها، ميادة منهارة من البكاء، أهلها الذين يشاركونها نفس الدم يحاولون الإستيلاء على كل أموالها بدون وجه حق.

سألت ميادة عن المال والأملاك التي تمتلكها قالت:

– عمارتين والمطعم وفلوس في البنك والعربية دي.

– أه طبعا ما الحاجة دي تساوي كتير، حسبي الله ونعم الوكيل.

متقلقيش خالص أنا جنبك فاهمة! لو حد قربلك بس هقتله بإيدي ..

قالت: ياسر مالكش دعوة بحاجة عشان خاطري ومتدخلش نفسك في مشاكل ومُمكن لو إستفزوك وعملت حاجة هياخدوها بالمقابل وأنا مش عاوزاهم يمسكوا عليا غلطة وكمان عاوزاك جنبي بعقلك وبحبك ليا أكتر من أي وقت تاني ..

14 /1 /2006

منزل خالتي..

ركبت السيارة مع أمي أذهب بها لخالتي وبعد وصولي للمنزل جلست أمي مع خالتي ويتحدثوا بصوت منخفض وأنا أقف بجانب جيهان في شرفه المنزل أشرب سيجارة وأتحدث معها..

جيهان: أخبارك إيه مع ميادة ؟!

– كويس عندها مشاكل مع أهلها وعندها بكرة جلسة مهمة في المحكمة، إدعيلها يا جيهان..

– ميادة دي بنت طيبة أوي، صحيح نسيت أقولك أخر التطورات زياد ساب فريدة وفريدة إتخطبت لواحد شغال مهندس بترول وزياد إرتبط بواحدة تانية معرفهاش والبنت بتحبه أوي يا ياسر .

– أنتي بتعرفي الكلام دا إزاي ؟!

– يا إبني مفيش حاجة بتستخبى خالص على البنات لإن إحنا بنتجمع أنا وصحابي نتكلم وبنعرف بقى كل حاجة ولإن كمان زياد في بنات صحابي يعرفوه ونفس الكلام فريدة فبجيب أخبارهم وأنا قاعدة..

– طب وأنتي قلبك أخباره إيه ؟!

- بُص يا ياسر أنا جربت مرة وفشلت والمرة دي أنا هسيبها لنصيبها ومش هفكر في أي إرتباط تاني دلوقتي لحد ما أخلص الكلية وأشتغل، أنا تعبت بها فيه الكفاية..

يا إبني أنا عيشت فترة لما زياد ده سابني كنت بشوفهم ماشيين جنب بعض زي ما يكونوا بيغوظوني، كنت مفروسة أوي يا ياسر، كنت عاوزة أشدها من شعرها بنت الكلب دي، تعرف أحسن إنهم سابوا بعض أنا شمتانه أوي فيهم ..

- فريدة خلاص متقلقيش عليها إتخطبت لواحد مرتبه بالدولار يا ماما..

- يلا إحنا مالنا بلاش نجيب في سيرة حد.

- لاااا والله ؟!! بلاش نجيب في سيرة حد! ماشي يا جيهان.

- عارف أنت لو كنت أخويا فعلاً ماكنتش هتحبني كده وأنت فاهم أخويا لسه صغير وطبعاً مش هروح أقوله حاجة لإن أكبر طموحاته ينزل يلعب في الشارع..

- أنا قولتلك إن أنا أخوكي وزي بابا بالظبط كمان..

- ربنا يخليك ليا يا رب.

- بس عارفه لما كنت معاكي في الجامعة أخر مرة البنات كانت غريبة، جميلة أوي هما تحولوا ولا إيه مش فاهم أنا !

- أنا هسيبك ورايحه أقعد معاهم..

اليوم التالي نجلس في قاعة المحكمة..

أجلس بجانب ميادة، دخل القاضي وقال رقم القضية ووقفت ميادة أمامه

القاضي: عمامك رافعين عليكي قضية إن أنتي مختفلة عقلياً وبتتصرفي في مال أخوهم غلط وطالبين الوصايه عليكي وعلى كل أموالك وممتلكاتك إيه رأيك !

قالت:

حضرتك لما بابا مات كانت أخر مرة أشوف فيها أهلي، اللي هما عمامي ..

عمامي اللي رافعين عليا قضية دلوقتي هما نفس الأشخاص اللي بيتمنوا موتي لما ماما ماتت إتفاجئوا إن أنا عندي21 سنة يعني عديت السن القانوني وأقدر أتحكم في فلوسي وهما نفس الأشخاص اللي لما بتعب وبنام في المستشفى مفيش حد فيهم بيجيلي ويزورني أو حتى يقولي عامله إيه ؟! حضرتك أنا لو مجنونة زي ما بيقولوا كنت صرفت فلوسي وفلست لكن تقدر تشوف بنفسك من بعد ما بقى عندنا مطعم صغير كبرته وخليته أكبر مطعم في إسكندرية عشان بابا يبقى فخور بيا وإن هو سايب وراه بنت هتقدر تشيل المسؤلية..

تقدر تسألهم كانوا فين لما أمي ماتت وبقيت لوحدي؟ طب أسألهم فكرتوا في مرة تسألوا عني؟ بيمتنوا موتي دلوقتي قبل بكرة عشان يورثوني، أنا مش هفرط في مليم واحد لإنه مش من حقهم وده من حقي لإن اللي تعب كان أبويا، أخوهم اللي مش بيسألوا عن بنته اللي من دمه، أسألهم حضرتك ليه مطلعني مجنونة؟! عشان يحافظوا على فلوسه ولا عشان يسكنوا العمارات هما وعيالهم؟!

طلب القاضي عمها، وقف عمها أمام القاضي..

القاضي قال: إيه رأيك في كلامها ؟!

قال: حضرتك البنت دي عماله تصرف فلوسها على الولاد وبتشرب وبتعمل حاجات غريبة وكل يوم بتيجي متأخر بيتها ومعاها الشاب اللي قاعد جنبها ده والله أعلم بيعملوا إيه، ثانياً إحنا خايفين على اسم العيلة اللي هي خلاص قربت تضيعه..

القاضي طلب شهادة من مستفشى الأمراض العقلية لميادة عشان ينطق بالحكم الجلسه الجايه وأجل الجلسه لتاريخ 2006/ 4/ 10 ..

وعند باب المحكمة وأنا خارج مع ميادة أمسك بيدها تقدم فرداً من أهلها وقال:

فعص في إيدها كمان ما هى بتصرف عليك وسايبه أهلها من غير أكل ومظبطاك كل يوم في شقتها، الله اعلم بتعملوا إيه ولا بتروح الساعة كام ؟!

عمتها قالت: يلا يا فاجره وسختينا ..

كدت أن أفقد صوابي وأقتلهم على إهانتهم لها وسبهم لكن بدأت ميادة تهدئني ثم وصلنا للسيارة وركبنا وبدأت تنهار بالبكاء ..

قلت:

- مسبتنيش ليه أضربهم ؟!

- ياسر .. أرجوك كفايه مش عاوز أتكلم دلوقتي، مُمكن توصلني المطعم؟

ونحن في الطريق الصمت هو من يسيطر علينا فأنظر لعيناها وقد تغير لونهم للون الدم من شدة البكاء وأكمل طريقي إلى أن أوصلتها للمطعم ثم قالت:

عاوزه اقعد لوحدي طلعت تجري على المكتب لمحها جون، أقترب مني وقال:

- هى مالها ميادة ؟!

- مفيش ياجون إدعيلها تبقى كويسة ..

جلست قليلاً في المطعم فقلقت عليها فصعدت إلى المكتب، فتحت الباب وجدتها نائمه على كنبة المكتب، دخلت وأغلقت الباب وإقتربت منها وقلت:

- ميادة! يا ميادة!

فتحت عيناها وقالت بصوت مكسور: أيوة يا ياسر؟

- أنا مش عارف أقولك إيه بس أنا جنبك مهما حصل أنا جنبك.

- ما ده اللي مطمني، إن أنت لسه جنبي.

- طيب قومي أوصلك البيت .

- لأ يا ياسر أنا هروح لوحدي وعشان خاطري خلينا بس الفترة دي بعيد شويه عشان أنا خايفة عليك وعليا وهنطمن على بعض متخافش..

- بعيد إزاي يا ميادة !

– لحد ميعاد المحكمة، أنا هروح يوم الخميس المستشفي اعمل الشهادة وعاوزة أكون لوحدي .

– عموماً أنا مش عاوز غير راحتك، أنا ماشي.

نزلت من المكتب ودخلت المطبخ لجون ..

– جون عاوز منك طلب صغير.

– أنت تُأمر !

– خلي بالك من ميادة فاهمني؟

– حاضر، هى مالها !

– تعبانة شويه، هات رقمك.

– أنت مش جاي تاني ولا إيه !

– لأ، جاي بس فترة كده وهرجع.

نظر لي جون مندهش من كلامي ثم اختفيت..

إتصل أحمد بي وقال:

ياسين هيعدي عليك الساعة 9 ونص تحت البيت تنزل معاه بسرعة وهو هياخدك وهجيبك عندي ..

– فين ؟!

– أقولك فين ؟! وضحك.

– ماشي يا وسخ .

رجعت البيت الساعة 6 مساءً، أبي يشاهد التلفاز وأمي بجانبه تمسك بهاتف المنزل وتتحدث مع خالتي عن طريقة عمل المكرونة بالفراخ..

بابا: ياسر عاوزك، غير هدومك واندهلي..

– حاضر.

دخلت الغرفه وبعد ما أرتديت ملابس النوم ..

دخل بابا الغرفه وجلس على كرسي المكتب وينظر لي وأنا لا أفهم شيء ثم قال:

- أنت مش ناوي تتجوز بقى ؟

- شايفلي عروسة ؟

- أنت إيه اللي مانعك تتجوز جيهان !

- أنا وجيهان أخوات وعمرنا ما فكرنا نتجوز بالعكس دايماً لايق علينا أوي الأخوات وحاسين براحة وإحنا كدا وهى كمان نفس الشيء..

- بُص يا إبني أنا مش هغصبك على حاجة بس ساعات الواحد بيبقى نصيبه قدامه ومش شايفه، أنا عاوز أطمن عليك فاهمني !

- متقلقش يا بابا، أنا ماشي في موضوع واتمنى يوصل للأخر..

وقفت من مكاني وذهبت بهدوء أنظر لأمي فوجدتها مندمجه مع خالتي فرجعت وأغلقت الباب وتحدثت معه عن كل شيء بيني وبين ميادة ثم وقف أبي ونهى الحديث بيننا بثلاث كلمات "اللي عاوزة ربنا يابني هو اللي هيكون"..

ثم فتح باب الغرفه وخرج.

الساعة 9:30

ياسين يتصل بي، إقتربت من شرفة غرفتي، رأيته يقف تحت البيت، إرتديت ملابسي ونزلت له لا أعرف إلى أين سنذهب ؟

- رايحين على فين ؟!

- هتعرف كل حاجه لما نوصل..

- أنتوا خاطفني يا إبني ولا إيه ؟!

- إحنا لو بعناك في سوق الرقيق ماتجيبش علبة سجاير..

- ماشي يا خفه..

وقفنا أمام بوابة عمارة ثم قال:

- اطلع

- الموضوع كدا قالقني أوي ..

- ياعم إنجز وأطلع ورايا..

صعدت وراءه ثم وقفنا أمام باب شقة ..

قلت له: شقة مين دي ؟!

- إدخل وهتعرف، توطي صوتك، باب الشقة أصلاً مفتوح .

دخلت وراءه الشقه وقفت في منتصف الشقة وقلت:

- يا إبني أنت جايبني هنا ليه ؟!

- هووووووش

- بصوت واطي: أحمد فين ؟!

إقترب ياسين وفتح باب غرفه محددة وفجأة قال:

إيه دا؟ مين دي يا أحمد؟ غدير !! تؤ تؤ تؤ..

شاهدت غدير نائمه بدون ملابس في حضن أحمد، أنظر لها وأبتسم إبتسامه فيها معناها "كنت أعلم أن هذه هو ما يليق بيكي" قامت غدير خائفه جسدها يرتعش من الصدمه وتغطي نفسها وبيدها الأخرى تحاول أن تمسك بملابسها الداخليه فتقدم ياسين وأمسك ملابسها بيده..

أحمد: أنا أسف يا غدير، بس فعلاً هو ده أخرك .. ملاية تتلفي فيها..

أمسكت بكرسي وجلست في منتصف باب الغرفه أنظر لها ثم قلت:

شوفتي أهو، أخرك .. زي ما أحمد قال ملاية، أنتي فاكرة إن أنتي مُمكن توقعينا في بعض عشان تنتقمي مني ؟

ياسين أمسك الهاتف وإلتقط صورة لغدير وهى تقف عاريه وقال :

دي صورة لذكرى وبرده عشان لو حاولتي تعملي حاجة في جيهان بنت خالة ياسر وتضريها في دراستها ..

قلت: بُصي يا غدير إحنا مش وسخين، أه أحمد وسخ ده طبيعي .

أحمد: الله يكرمك يا صاحبي ده شرف ليا والله..

لكن مش إحنا اللي يضحك علينا أو حتى تفكري في يوم تعملي حركة مش كويسه فينا وأنتي اللي عملتي في نفسك كده وفعلاً ده أخرك إنك تنامي مع أي حد وخلاص وأحمد طلع صايع لما لفك في ملاية قدامنا، إحنا مُمكن دلوقتي نطلعك من البيت بالملاية تروحي بيتك بيها دا لو وصلتي بيتك اصلا..

غدير: أرجوك يا ياسر ماتفضحنيش وحياة أبوك .

أحمد: أنا عملت اللي عليا وهى دلوقتي بتاعتك أنت .

غدير: لو عاوزني أنا مستعدة بس بلاش تفضحني أرجوك !

قلت: لا لا، أصل أنا إنف اوي عمري ما أكل من طبق غيري أكل منه.

نظرت غدير إلى الأرض وهى تبكي بندم وتنظر لأحمد ولا تعرف ماذا تقول وجسدها يرتعش من الخوف..

أحمد: أنا نازل أجيب إزازة ويسكي نشربها بالمناسبة الحلوة دي.

غدير: أنتوا هتعملوا إيه فيا أكتر من اللي عملتوه..

قولت: ياسين إديها هدومها.

ألقى ياسين ملابس غدير على الأرض وهى تمسك بها وترتديها أمامنا ..

قلت لها: مكسوفة تلبسي قدامنا ما أنتي قلعتي قدام أحمد عادي؟ عموماً عادي، يلا يا ياسين تعالى نطلع يلا يا أحمد عشان تعرف تلبس ..

ياسين: ما تلبس قدامنا عادي ..

قولتله: ياسين أخلص، يلا ..

أحمد: طب وأنا اطلع ليه وأنا شوفت كل حاجه أصلاً

إبتسمت وقلت: لو عاوز تخليك خليك ..

خرجنا من الغرفه لترتدي غدير ملابسها بعد إنتهائها خرجت منها وقلت لها:

– شوفي، بنت خالتي لو جيتي جنبها هتبقي دي نهايتك واللي حصل النهاردة دا اعتبريه حاجة بسيطة ولو حبيتي تجربي التقيل قربي من جيهان أو حتى من أي حد يخصني حتى لو ماشي وشوفتي خيالي تحترميه، فاهمة !

قالت: حاضر أنا أسفة ومش هتشوفوا وشي تاني أبداً ..

خرجت من الشقة وأول ما قفلت الباب وقفنا نضحك نحن الثلاثة مع بعض وقولت لهم أنتم حقاً أعادتم لي حقي..

وقلت لهم لن أجد مثلكم يا أصدقائي لن أجد..

أحمد قال: البت عليها صدر يا ياسر ماشوفتش زيه..

ياسين: ياخسارة يارتني ما فتحت عليهم بدري وكنت إتفرجت..

قولت: شقة مين دي يا أحمد ؟!

أحمد : دي شقة مأجرها كده أقضي فيها ليالي الرزيله..

تحدثت مع أمي عبر الهاتف وقولت لها بأنني سأنام اليوم خارج البيت في منزل أحمد لأن الجو ممطر والطريق غير مطمئن للسير عليه الآن ثم أغلقت مع أمي الهاتف وجلسنا نتحدث سوياً ثم نمنا في الصاله إلى أن إستيقظنا وخرجنا أنا وياسين صباحاً من شقة أحمد..

مرت أياماً كثيرة أتصل بها وأعرف اخبارها عبر الهاتف وعندما يزيد شوقي بداخلي لها أذهب أقف أمام المطعم من بعيد أحاول أن أراها بدون أن تراني، نتحدث عبر الهاتف ولكن هل هذا يكفي عاشق مات في حبها !

أفرح كثيراً عند قولها لي أشتقت لك وأحزن كثيراً عند قولها لي لا أستطيع رؤيتك الآن فتركني لوقت، لا يهمني إلا مصلحتها لأني قد وعدتها بأنني سأقف دائماً بجانبها، بجانبها حتى لو عن بعد..

وفي يومٍ من الأيام وجدت رساله على هاتفي منها "عاوزه أشوفك"..

تركت كل ما في يدي وذهبت إلى المطعم، صعدت إلى مكتبها وجدتها جالسة أمامي، عند رؤيتها لي قفزت بين ضلوعي فقبلتها على رأسها وأنا أستنشق العطر الذي يفوح من خُصل شعرها، دقائق كثيرة على هذا الحال والصمت حل علينا لعل العناق يشبع عشقي لها فنظرت لعينيها وجدت لمعة اللقاء من بعد الوداع فقلت لها:

- وحشتيني ..

- أنت أكتر، عارف أنا مقدرتش أستحمل كنت محتاجة حضنك أوي الفترة اللي فاتت، عارف بقالنا قد إيه ماشوفناش بعض؟ أنا حاسه إن مر علينا سنين.

- مر علينا شهرين و 12 يوم و 14 ساعة ماشوفناش فيهم بعض، حاسب بالساعات والأيام، اليوم اللي بيعدي زي مايكون سنة في بُعدك

- هتفضل كتير.

- تفتكري ربنا هيضايق مني عشان بحبك أكتر منه هو؟!

- تاني نفس السؤال؟ ربنا هو اللي جابك ليا عشان تلحقني وتاخدني بين ضلوعك تطمني وتحسسني إن أنا عايشة وليا قلب بعد ما مات قلبي مع موت أهلي..

- إحكيلي حصل إيه في القضية؟!

- أنا عملت الشهادة والمحامي ماشي في إجراءات القضية ومرعوبة ليزوروا الشهادة !

- متخافيش لو حصل المحامي قال في طعن..

- يارب يا ياسر

قلت لها بنظره بها شوق:

أنا عارف كل حاجة كانت بتحصل في المطعم بتوصلي امتي وبتروحي امتى ..

اندهشت وقالت: إزاي ؟ من مين ؟

قولتلها: جون ده غير أن كنت بعدي صدفه من جنب المطعم عشان أشوفك.

إبتسمت: عارف جون ده أجدع ولد شوفته في حياتي ونفسي فعلاً يتعلم كل حاجة في المطعم ويكبر فيه ..

قلت: هو فعلاً راجل وأرجل من ناس كتير لإن الدنيا داست عليه أوي..

جلسنا نتكلم لساعات ثم ترتكتها وذهبت أكمل الليل مع أصدقائي أحمد وياسين لطلوع الفجر..

الشريط الحادي عشر

لماذا ؟

لماذا الفراق !

ماذا فعلت أنا لك ليكون هذا مصيري!

كرهتك بقدر كرهك لي ؟!

جسر النهايات

2006/ 3/ 11...

أسير مع أحمد وياسين أمام مكتبة الإسكندرية..

ياسين: شايفين البنت اللي هناك دي ؟!

قلت: فين؟

قال: اللي لابسة بنطلون أسود وهيلز أسود وشعرها بني دي اللي واقفه مع البنت والولد اللي هناك يا حمار أنت وهو !

أحمد: أه أه، وبيشاور بإيده.

ياسين: أنت أهبل نزل إيدك دي ..

قلت: مالها ؟!

قال: نفسي أكلمها، ساكنة قريب مننا، تخيلوا فضلت ماشي وراها 3 أيام عشان أعرف هى ساكنة فين وأعرف حاجات عنها، مختلفة اوي البنت دي عن أي بنت شوفتها في حياتي كلها..

أحمد: يا إبني مفيش إختلاف الحاجات اللي عندها عند غيرها بإختلاف المقاسات.

قلت لأحمد: أنت ليه يا أحمد كل ما تتكلم، تتكلم بلغة السرير !

قال: عشان دي اللغة الوحيدة اللي مفهاش كلام كله فعل..

ياسين: مش عارف إسمها إيه ونفسي بجد أقرب منها أو حتى يبقى في بينا كلام..

أحمد: طب تعالوا معايا ..

قال ياسين: هتعمل إيه يا أحمد أستنى هنا..

قلت: تعالي يا ياسين نشوف هيعمل إيه ؟!

ذهبنا وراء أحمد والقلق يسيطر على ياسين ثم قال أحمد أتركوني أتحدث..

ذهبنا لهم ثم أحمد قال: هاي أنا أحمد طالب في الجامعة مش جاي أتعرف والله إحنا مجموعة شباب هنعمل حفلة في الجامعة هنا ومحتاجين أعضاء معانا وهنجيب مطربين ومطربات ومسابقات وجوايز ومحتاجين ناس تساعدنا عشان الجامعة شايله إيدها من الموضوع ده وطبعاً مش عاوزين ندخل إتحاد الطلبة في حاجه وعاوزينها مننا فينا يعني فـ كنا محتاجينكم معانا هو حالياً معايا ياسر وياسين ومجموعة شباب تانية قولتوا إيه ؟!

الشاب الذي يقف معهم قال: طب والحفلة دي امتي ؟!

قال أحمد: قال يعني في نص شهر 4، صحيح أنا متعرفتش بيكم ؟!

الشاب: أنا خليل ودي هبه ودي أمنية ولما أشار الشاب للفتاه التي يحبها ياسين ليعرف اسمها وقال "و دي فيروز" إبتسم ياسين ..

الخجل على وجه ياسين والقلق مسيطر عليه وانا أمسك بياسين لأنه يريد الرحيل من هذا المكان وكاد أن يحطم كل ما بناه أحمد من أجله..

أحمد: طيب شكراً، مُمكن رقمك يا خليل عشان نبقي نتقابل تاني مع بعض ونشوف البروجرام بتاع الحلفة إيه والتذاكر وكده ؟!

خليل: طبعاً مفيش مانع..

سجل أحمد الرقم ثم ذهبنا..

ياسين: إيه يا إبني الدماغ دي! أنت لفيتهم في ثانية وعرفت أسماءهم كلهم ..

أحمد: بُص أنت خليك مع فيروز بتاعتك وسيبلي أنا هبه وأمنية، شوف بقى إحنا هنبظط الدنيا مع بعض ونقابلهم في يوم هنا وأنت تاخد فيروز على جنب وتعيش بقى وأنت شاطرتك..

قلت: تعرف يا أحمد أنت إبليس يتعلم منك ..

أحمد: ما هو بيأخد كروسات عندي هو عائلته الكريمة ..

جلسنا سوياً إلى أن غابت الشمس..

رجعت المنزل..

أبي: مش ناوي بقى تنزل معايا الشغل ولا إيه عجباك قعدت البيت ؟!

أمي: أه عجباه أوي مش بياكل وبيشرب وبينام !

قلت: هانت يا بابا كله في وقته أنا بس بخلص شويه حاجات كده وهفضالك وقريب أوي، متخافش يا حج إبنك هيشرفك ويرفع رأسك قدام الناس كلها..

إتجهت لغرفتي، ألقيت بالهاتف على سرير ونمت بجانبه على ظهري ويدي خلف رأسي أفكر في ميادة وقضيتها وكلام أبي ثم فتحت باب غرفتي وقلت لأبي:

- أنا نازل معاك الشغل بكرة ..

قال: طيب كويس هصحيك على الساعة 9 كده ننزل أنا وأنت..

إتصلت بميادة أسأل عنها وعن أخبارها..

قالت : واحشني أوي عامل إيه ؟!

- كويس الحمد لله أنتي طمنيني عليكي ؟!

- كويسة طول ما أنت كويس، أعمل حسابك هتيجي معايا بقي يوم القضية أنا غيرت رأي وهتيجي معايا غصب عنهم عشان نغيظهم لما يشوفني معاك وهقولهم إن أنت خطيبي .

- خبر يفرحني أوي وأنا كمان نازل مع بابا الشغل بتاعنا، أصل إترفدت من الشغل بتاعي وهمسك شغل بابا ومعرض الأثاث بتاعه.

بعد إنتهاء مكالمتي معاها أرسلت رساله لأحمد وقلت له بأنني قررت النزول مع أبي للعمل غدا ثم أغلقت عيني ونمت مبكراً لأستيقظ مبكراً..

- يا جزمة أبوك بقاله نص ساعة صاحي ولابس ومستنيك، قوم والله ما أنت فالح في حاجة ولا هتعرف تفتح بيت، قوم ..

مستقيظ ولا أريد ان أرد على أمي، أريد النوم قليلاً وعندما وجدتني لا أبالي فعلت نفس الحركة وشدتني بيدها من شعر صدري..

- أنتي مين اللي علمك تعملي الحركة دي ؟!

- اسأل أبوك وهو يقولك، قوم يلا أفطر مع أبوك..

دخلت الحمام وخرجت أرتديت ملابسي وفطرت ثم ذهبت مع أبي ونحن في الطريق إلى مكان العمل قال:

بُص يا إبني التجارة شطارة وأنت وذكائك إنك تشتري الحاجة من التاجر رخيصة وتبيعها بالسعر اللي أنت عاوزه بس برده تعمل حساب ربنا في شغلك ومتغليش الحاجة أوي عشان تكسب زبون وترضيه وبلسانك الحلو مُمكن تبيع الحاجة أم 100 بـ 200 والزبون يمشي وهو مبسوط منك ويجيبلك كمان زباين غيره صحابه وقريبه، فاهم يا إبني ؟!

قلت: أه، فاهم..

قال: لازم الأول تعرف أنواع الخشب عشان في خشب صيني وفي أنواع أخشاب كتير وإحنا بقي بنشتري الخشب ونعمله في الورش ويطلع جاهز للبيع..

قولتله: تمام وصلت ..

نزلت لأرض السوق ورأيت التجار وتعاملت مع الزبائن، نظرة أبي كان فخوراً بي وأستقر الوضع لأسبوع، أرجع من عملي أضع رأسي على الوسادة ثم أنام، نعم العمل أخذ وقتي ولكن عملي لم يكن عائق بيني وبين ميادة فدائماً أتصل بها كل يوم وإذا حدث شيء ولم أحدثها تحدثني هى..

يوم الجمعة.. 2006/ 3/ 23

أجازة الأسبوع، يوم الراحة وتجمع الاصدقاء..

أبي فخوراً بي يتحدث مع أمي عن ذكائي وكلامي الطيب مع التجار وعن أسلوبي في الحوار مع الزبائن ..

بعد ما إنتهيت من الغداء أتصلت بميادة..

هاتفها مغلق..

أنتظرت قليلاً ثم حاولت مرة أخرى، مغلق، مغلق !

قلقلت جداً عليها وزاد الخوف بداخلي، أتصلت بـ جون، الهاتف يعطي جرس ولكنه لا يرد، كررت المحاولات كثيراً أكثر من 20 مره ولكنه لم يرد، حاولت الاتصال بمياده مرة أخرى ولكنه مغلق..

تحدثت إلى أحمد وقلت له أن يأتي سريعاً إلى بيتي وعند وصوله بسيارته أخذته وذهبنا إلى المطعم وعند وصولنا وجدناه مغلق !

أحمد قال: مش يمكن أجازة ؟!

قلت: يا إبني مفيش أجازات، المطعم بيفتح 9 الصبح وبيقفل على 1 بالليل وكمان يوم الجمعة دا بيقفلوا متأخر والساعة دلوقتي 4:30 ..

قال: طيب أصبر بس شويه وإتصل تاني عليها..

إتصلت بها، مغلق .. إتصلت بـ جون لكنه لم يرد..

أحمد سأل صاحب أحد المحلات المجاورة للمطعم..

لو سمحت ماعندكش فكرة المطعم دا مقفول ليه ؟! قال:

- صاحبة المطعم تعبانة في المستشفى وكلهم هناك..

- تعبانة؟ المستشفى دي فين ؟!

- مش عارف والله ده اللي أنا عارفه ..

- طيب مش معاك رقم أي حد من اللي شغالين هناك !

- ثانية كدا..

دخل المحل وأتي بهاتفه وقال: معايا رقم الكاشير خد اهو..

أتصلنا به وعرفنا منه العنوان..

ركبنا السياره متجهين بسرعة إلى المستشفى ثم أتصلت بالكاشير وسألته عن حال ميادة وقال : كويسه..

قلت: ولما أه قافلين المطعم ليه ؟

قال: حضرتك مين ؟!

قولتله: أنا ياسر..

ونحن في الطريق قلت لأحمد: يا أحمد بسرعه أخلص أنت ماشي بطئ ليه ياعم أنزل أنت وأنا أسوق..

قال: ياعم دي عربية مش طيارة، والله دايس بنزين على الأخر اهو..

وصلنا الي المستشفى..

سألت في الإستعلامات لو سمحت ميادة علي السيد أين ؟!

قالت: الإنعاش الدور التالت، اجري على السلالم

وأحمد يحاول أن يلحق بي..عند وصولي أمام الغرفه

وجدت كل عمال المطعم منهم من يجلس على الكراسي أمام غرفتها ومنهم من يجلس على الأرض والحزن يسيطر عليهم، اقتربت من جون قلت له:

– مالها ميادة !!؟ .. فيها ايه؟ جون؟ مياده كويسه !

نظر لي ثم بدأ بالبكاء، ذهبت لأفتح باب الغرفه منعوني من الدخول..

– سيبوني ادخل في إيه ؟؟ أوعي أنت وهو سيبني ادخل ..

أحمد يقف بجانبي ويحاول ان يهدء من روعي

– أهدى يا ياسر هي كويسه اكيد اهدي

– مالكش دعوة أبعد يا أحمد، سيبوني أدخل الأوضة مالها ؟! عاوز اشوفها.

سمعت أحد العاملين بصوت مسكور ينبع بجراح الألم يقول: ميادة بتمووت..

قلت بصوت يخرج من أعماق قلبي:

مين اللي بتموت ردوا عليا؟ مين دي اللي بتموت ما تردوا؟

إنهالت دموعي من عيني كالمطر يروي الأرض من حولي، ضربت باب الغرفه بقدمي وإنفتح االباب ودخلت الغرفه..

فتحت الباب، نائمة أمامي على السرير، دخلت الغرفه أسير بقدم طفلٍ صغير وكأنني لأول مرة أسير على قدمي، إقتربت منها، وقفت أمام سريرها ومن كثرة البكاء أمسح دموعي في كم قميصي حتى أراها، قلت:

– قالولي برا إنك بتموتي !!

الكلام دا صح؟

أنتي مبترديش عليا ليه؟ ها !

أقتربت منها أكثر وامسكت بيدها، لا تستطيع التنفس، والدكتور والممرضين يقفوا بجانبها، صدمات كهربائية وتنفس صناعي،

وضعت يدي على وجهها وقلت:

– خدي صدري، خديني أنا وعيشي، خدي دمي كله بس بلاش أرجوكي!! قومي، أنتى بجد ناويه تمشي وتسبيني ! لأ يا ميادة مش هتمشي صح !

طب مفكرتيش فيا قبل ما تروحى؟ ها ! مفكرتيش هعيش إزاي؟

أمسكت يدها الباردة مثل قطعة الثلج، حاولت أن أدفئها بيدي، عانقتها وهى على سريرها، جسدها بارد، عانقتها أكثر لأدفئها وقلت لها:

حاولي تتنفسي أنا عارف إنك سمعاني متستسلميش للموت، صرخت في وجة الدكتور، زودوا الجهاز دا أعملوا أي حاجه أريدها تتنفس وتعيش، أرجوك أريدها تعيش، أرجوووك.. !

– ميادة ابوس ايدك بلاش تسيبيني وتمشي

دخل أحمد ومعه العاملين ليهدؤني ويأخذوني خارج الغرفه فقلت لهم:

أطلعوا برا ماحدش يدخل، أطلعوا كلكم برا، سيبوني معاها أطلعوا..

أبوس إيديك خديني وماتموتيش بلاش تعملي فيا كدا. !

جلست بجانبها على سريرها وأصابع يدي تداعب شعرها..

- قومي يلا عشان نمشى من هنا، أنا كرهت المكان دا، كرهت كل حاجة فيه كرهت ريحته كرهت شكله، كرهت ريحته واشكال الناس اللي فيه، قومي يا مياده يلا، قومي عشان خاطرى !

بلاش تموتي..

قبلت يدها وضغطت عليها بقوه وعانقتها بشده، شعرت بنفسٍ طويلٍ يخرج من جسدها لفمها، نظرت لها وعيني لازالت لا تصدق كل ما يحدث من حولي..

- أنتى موتى؟

لأ ردى عليا متعمليش فيا كده..

إيه؟ قومي يلا قومي مش هسيبك غير لما تقومى..

بحاول معها لكن قبل أن تفارق الحياه، فارقتني أنا أولاً..

وضعت رأسي على صدرها وظللت أبكي، أنتي عايشة ما موتيش لأ ..

وضعت رأسي على صدرها لأسمع صوت قلبها ثم بكيت، أنتي حيه لا تستسلمي، نعم أنتي تمزحين معي يا مياده..

قبلت أصابع أرجلها لأستعطفها وتكلمني، جسد نائم بدون روح..

- قومي ردي عليا أبوس رجليكي قومي، جريت وبوست رجليها عشان تقوم وتكلمني، نايمة على السرير بدون روح..

- مين اللي خدك مني؟

مين اللي موتك؟

مين اللي مضايق وغيران مني عشان بحبك؟

ردي؟ ردي عليا مين ؟

صرخت بصوتاً تردد في كل أرجاء المستشفي:

مين اللي خدك مني ؟!

فتحت باب الغرفة، أحمد يحاول أن يمسك بي ولكنني أوقعته على الأرض، صعدت على سلالم المستفشي بكل سرعتي وأنا أبكي، أجري، أكملت الجري ، أريد أن أصل لأخر دور في المستفشى، فتحت باباً وجدت نفسي على السطح..

أنظر حولي مثل التائه، نظرت إلى السماء وعيني تمتلئ بالدموع والنار ودموعي تتبخر على فراقها، وجهت يدي إلى السماء وقلت:

- أنت اخدتها منى ليه؟ ها ليـــــه؟!

رجعهالي زي ما أخدتها..

أنت غيران عشان بحبها أكتر منك؟

رد عليا أخدتها ليه؟ كل ده عشان حبيتها أنت مبتردش عليا ليه؟

كل دا عشان حبيتها أكتر منك أنت؟ إيه يعني لما أحبها أكتر منك ؟!

أنت مضايق ليه ؟

عشان قولتلها أنا حبيتك أكتر من اللي خلقني؟ وفيها إيه لما أحبها أكتر منك ؟ فيـــها إيه! عاوز أنزل ألاقيها صاحيه؟ فاهم ؟!

أنت ليه مش عاوزني أحبها أكتر منك ليه أخدتها؟

أنا عمرى ما كنت متوقع إنك بتكرهني لدرجة دي ؟

أنا عارف إنك شايفني وسامعني ومش عاوز ترد عليا، عارف إنك كنت شايفني من أول يوم شوفتها فيها، ليه خلتني أحبها لما أنت هتاخدها مني ؟!

تحول لون السماء للون الرمادي وصوت الرعد في كل مكان والهواء من قوته يرجعني اللي الوراء والمطر يكاد أن يغرني وأنا في مكاني..

- أنت سامعني وشايفني رد عليا! هو دا غضبك ؟ رد!

بتاخدها مني ليه؟ دا أنا فضلت أدور عليها كتير !

نظرت الي السماء بغضب شديد وعيناي ممتلئتين بالدموع وقلت

- أسمع أنا نازل، افتح الباب ألاقيها صاحية، أنزل ألاقيها قاعدة ..

نزلت من على سطح المستشفى وأنا أقع على سلالمها وأرتطم في الأرض وأقف وأجري للأسفل لغرفتها، فتحت غرفتها وأمسكتها من ذراعيها..

- أبوس أيديكي ماتموتيش قومي، فوقي، أنا أسف، سامحيني لأول مرة فى حياتي معرفتش أعملك حاجه، مش هسيبهم يدفنوكى..

أخذتها بين ذراعي، أخرج بها من الغرفه، أمسكوا بي، يحاولون أن يأخذوها من بين يدي بقوة..

- سيبوها دي بتاعتي ماحدش يقرب أوعوا شيلو إيديكم، سيبوها أوعوا

أمسكوا بي وأخذوها من بين يدي..

- حتى دى كمان مستكترنها عليا؟ سيبوها عاوز أخدها ماحدش يقرب منها.. أمسكوها بيديهم و وضعوها على سرير متحرك ليبعدوها عني..

- طيب رجعوها الأوضة ومش هاخدها، مش هاشيلها سيبوها وأنا مش هاجي جنبها، هحضنها بس أرجوكم !!

وقعت على الأرض وأنا ماسك بأطراف أصابعها

- هما واخدينك ورايحين بيكى على فين؟ هيودوكي فين ؟!

كانت أخر مرة في حياتي أراها أمامي، نائمة على السرير بدون روح..

اغلقت عيني فقدت الوعي تماماً مُت لفترة، عندما إستيقظت، أفتح عيني أجد بجانبي أمي وأبي وياسين وأحمد وجيهان، حاولت أن أقوم من على سريري أبحث عنها..

- هى راحت فين؟ ميادة فين يا أحمد ؟!

أحمد يقف أمامي صامتاً لا يعلم ماذا يقول لي، وابي يقول لي "خليك ماتقومش نام يابني ريح جسمك ماينفعش تقوم وأنت كدا، حرام عليك اللي بتعمله في نفسك دا، أنظر لأمي وهى تبكي..

– أنا عاوز أعرف ميادة فين ؟! خادوها وراحوا فين ؟!

أحمد: ميادة أدفنت من 12 ساعات كان لازم تاخد حقنة منومه ومهدئه عشان أعصابك كانت منهارة جداً .

– أنا عاوز أنزل دلوقتي، عاوز أروحلها..

بابا: يا إبني الساعة 2 ونص بالليل هتروح فين !

قاومت تعب جسدي ووقفت وأبي يحاول أن يجلسني على سريري لكنني صرخت في وجههم جميعاً فقال أبي "سيبوه خلاص سيبوه براحته"..

قال أحمد لأبي:

– هروح معاه أنا وياسين وهنخلي بالنا منه ..

– لأ أنا مش عاوز حد يجي معايا، أنا هروح لوحدي.

– لازم أجي معاك لإن أنا حضرت دفنتها وعارف مكانها، لما أبوك وأمك وصلوا المستشفى وأنت نايم روحت أنا وياسين جالي على هناك..

أمسكني أحمد من ذراعي ليسندني وركبنا السيارة وجسدي يرتعش ولا أشعر بشيء وحتى الآن لازلت لا أصدق أنها فارقتني وفارقت الحياه وكأنه حلم وستأتي أمي لتيقظني من نومي مثل ما كانت تفعل، وصلنا إلى المقابر الساعة 4 الفجر.

قلت بصوت يتألم: تعالى يا أحمد وريني هى فين ؟!

تركنا السيارة في الخارج ودخلنا المقابر وعند وصولنا إلى قبرها وجدنا جون يجلس بجانبها ويسند بظهره على قبرها وعينيه مغلقه عن الدنيا، وقفت أمام قبرها وفي لحظه لم أشعر

برجلي وسقطت على ركبتي أبكي، نظر لي جون وأكتفى بالنظر، وضعت يدي على قبرها وأنا منهار..

– ليه يا ميادة تسبيني؟! ليه خلتيني أحبك بالطريقه دي !

أشعر وكأنها تكلمني، اسمع صوتها يتردد في أذني، نسمة هواء باردة تدفيني في شتاءٍ قارص وكأنها هى، أبكي على كل لحظه عشتها، أرى كل موقف عشناه سوياً وكأنه يحدث أمامي الآن، أغلقت عيني، أتنفس ببطء، أسمع صوت ضربات قلبي من هدوء المكان، جلست بجانب جون وسندت ظهري على قبرها وكتفي يلامس كتف جون، صامتين، أثنين أحبوها، الأول حبيبها والثاني أخاها، جلسنا إلى أن طلعت الشمس..

قلت لأحمد وياسين أذهبوا، إذا إحتاجتونني فأنا أجلس هنا لا تقلقوا..

أحمد: مش هينفع نسيبك يا ياسر، إحنا قاعدين معاك..

– إمشي أنت يا ياسين إلحق ناملك ساعتين قبل شغلك وأنا قاعد مع ياسر هنا متخافش..

– لأ أنا شغلي ليلي، فترات ليلية وبعدين أنا مش هسيبه أنا هاخد أجازة النهاردة وهقعد معاه.

– أرجوكم سيبوني وامشوا، أنا عاوز أكون لوحدي، بعد أذنكم..

– طيب يا ياسر أنا هفضل قاعد في العربية أنا وياسين هنستناك ..

تركوني مع جون وذهبوا إلى السيارة، لا أستطيع أن أخرج كلمة واحدة من فمي ولا أشعر بجسدي، أتحدث مع نفسي، ذهبت وأخذت قلبي معها، أخذت كل أيامي، رحلت والسبب أنت، أنت من أختطفها مني لأنني أحببتها أكثر منك ومن اليوم أنا كرهتك وكرهت إسمك وكرهت كل شيء يتعلق بك، من اليوم سأفعل عكس كل شيء أنت أمرت به..

نظر لي جون وقال:

ياسر الجواب دا ميادة قالتلي أديهولك بإيدي ومفيش حد يشوفه غيرك.
بكى وأكمل حديثه وقال: إدتهولي من أسبوع، كانت حاسة إنها هتموت..

أمسكت بالرساله وقرأتها..
ياسر، لم اتخيل في يوم أنني سأقابل أحداً مثلك، حنين بالفطرة، عند إحتياجي لك أراك أمامي، لم أتخيل في يوم بأنني سأحب، أريد منك أن تأتي لي بالشكولاته التي كان يشتريها لي أبي وأنا صغيرة، أريدك أن تفعل مثل ما فعل معي أبي، حياتي كانت سوداء اللون وعند أقتحامك لقلبي ظهرت كل الألوان ورأيت الدنيا بشكل مختلف، عند ظهورك ظهر أمامي كل شيء أتمناه..
الإكتئاب الذي كان يصاحبني طيلة الوقت أنت من شفيتني منه وملامح الحزن التي كانت ترسم على وجهي مسحتها بيدك ورسمت الإبتسامه مكانها، لقد تركت علب التزين – المكياج – من أجلك لأنني أدركت إنك تراني أجمل بكثير بدونه وجلعتني أثق فى نفسي أكثر لإنك بجانبي..
ياسر أريدك أن لا تحزن إذا إستيقظت من نومك ولم تجدني موجودة في حياتك، أنت حبك لي كان أكثر من حبي لك، أنا أحببتك كما أنت، لا تتغير وسر في حياتك ولا تجعل شيء يعوق طريقك وتذكرني جيداً، إجعل مني ذكرى جميلة لا أكثر ولا أقل، ميادة..
بعد إنتهائي من الرسالة زاد بكائي أضعاف مضاعفه، جسدي يؤلمني من كثرة التعب، نظرت إلى السماء وقلت "ليه عملت فيا كدا؟، هى عملت إيه في حياتها عشان تعمل فيها كدا؟" نظرت بجانبي لم أجد جون، لقد ذهب هو أيضاً فالتي كانت تجمعنا سوياً رحلت..
مكثت مكاني إلى أن أمطرت السماء وأنا لا أبالي بأي شيء، أمسكت بالرسالة وضعتها في جيبي وأغلقت عيني والمطر يسقط فوق رأسي..

بعد ساعات وقفت ثم ذهبت إلى السيارة وجدت أحمد وياسين نائمين تركتهم وسيرت على قدمي لا أعلم إلى أين أنا ذاهب والمطر يحيط بي..

الشريط الثاني عشر

أنظر إِلى جيداً، فأنا العاصي لأمرك

سأفعل كل ما أريده على الأرض لأرك وجهاً لوجه.

حتى يحين الوقت

13/3/2006

أسير في طريقٍ طويلا لا أعلم إلى أين أنا ذاهب ولا أشعر بخطوات قدمي والبرد كسر ضلوعي وأفكاري تأكل المتبقي من عقلي وكل شيء في الحياة يقف ضدي حتى نفسي، أسير ويدي في جيبي لا أسمع صوت الناس من حولي من كثرة الأصوات بداخلي، الأصوات بداخلي تتزايد، تعلو أكثر فأكثر، أسير أعد نبضات قلبي فقط..

وقفت أمام البحر، السماء تمطر من غيمة سوداء تسير فوقي ولا تتركني في كل مكان معي، أغلقت عيني وفتحت ذراعي للسماء لعل المطر يطفئ النار التي بداخلي ويخمد البركان الثائر الذي إنتفض وثار بين ضلوعي..

خلعت حذائي وأمسكته بيدي وأكملت السير حافي القدمين تحت غيمتي السوداء والبرد من شدته أفقدني الشعور بكل شيء، برود، لا مبالاه، يأس من الحياة؛ مع كل إحساس يراودني يزداد الألم، زادت آلامي وعيني تبكي والناس من حولي لا تفرق هل أنا أبكي أم هذه قطرات من غيمتي السوداء !

أمسكتُ بهاتفي ورجعت بجسدي إلى الوراء ثم جريت ورميته في الهواء، طار في الهواء حتى لمس سطح البحر وغرق، جلست على الأرض ووجهي للبحر صامت، صامت لكني أتكلم..

أتكلم ولا أحد يسمعني، أتألم ولا أحد يشعر بي، أرى ما لم يراه غيري، استرجع ذكرياتي، أحاول أن أحرقها بداخلي قبل أن تحرقني أكثر، أحاول وأعافر مع كل شيء حتى يهدء

الألم، أحاول أن أكسر حواجز الزمن وأرجع به للوراء وأخطفها بين ضلوعي وأسرق كل لحظه كانت بعيداً عني قبل الموت، قبل أي ألم، قبل بداية الأحزان، قبل تحطيمي ..

أخذني الطريق إلى المطعم، أقف على الناصيه أنظر له وهو مغلق ومظلم وعيني تخترق زجاجه، أحاول أن أرى طاولتها، اتخيلها وهى تجلس معي عليها، أتخيل أول لحظه بدأ فيها حبي لها، أرى ذكرياتي معها وكأنه شريط مسجل يُدار أمامي باللون الأبيض والأسود، أول يوم رأيتها فيه، أتذكر وأتذكر إلي أن وصلت ليوم وفاتها، اليوم الذي أخذها من بين يدي وأنا أقف لا أستطيع أن أفعل شيء لها وكأنني عاجز عن الحركة..

أخذ قلبي وعذبني، أخذ كل شيء أحبه، أكملت طريقي وذهبت لبيتها أقف أمام عمارتها أشم رائحتها في كل مكان، على جدران العمارة وعلى سلالمها، أرى كل شيء، أتخيلها وهى صغيرة تسير مع أبيها في الشارع وهى تضحك وفي يدها كيس الحلوى نظرت على يساري فرأيت الكشك الصغير التي كانت تحدثني عنه فإقتربت منه وقلت للبائع:

- عندك شكولاتة !

- أه، تحب أجيبلك إيه ؟!

- هاتلي الشكولاتة اللي كانت ميادة بتحبها..

- أنت تعرفها ؟!

- أه، أعرفها.

- ربنا يرحمها، ربيتها على إيدي من وهى لسه صغيرة..

أمسكت بالشكولاتة في يدي وذهبت إلى المقابر لم أجد سيارة أحمد أمام بوابة المقابر، دخلت ووقفت أمامها ..

- جبتلك الشكولاتة اللي أنتي بتحبيها تحبي ناكلها سوا؟! ميادة، عاوزك ترجعي، مُمكن ترجعي !

جلست قليلاً ثم خرجت من المقابر وجدت أحمد وياسين أمامي،

- كنت فين يا ياسر؟ ينفع كدا أبوك وأمك قلقوا عليك وقالوا عملت في نفسك حاجة أنا هتصل بأمك أطمنها عليك وأعرفها إنك معانا، خوفتنا وأبوك نزل يدور عليك وأمك قاعدة في البيت بتعيط بسببك ..

- كلمهم، قولهم إن أنا شبه عايش..

ياسين: يا ياسر ما خلاص بقى ما كل يوم في ناس بتموت، مش أول ولا أخر واحدة ماتت، أرجع بقى وعيش حياتك زي الناس!

أمسكته من قميصه بيدي الاثنين وصرخت في وجهه وقلت:

- مش أول واحدة ولا أخر واحدة ماتت بس هى الوحيدة اللي حبيتها وربك خدها مني، ربك اللي بتقولوا عليه الرحيم بيكم، مرحمنيش وعذبني بفراقها، أنا عمري ما هحب زيها ولا حبيت زيها، فاهم !

- أنت كفرت ؟!

- حاجة متخصش حد، دي حاجة بيني وبينه هو، وهو أكيد فاهمني..

أحمد: يا ياسر ياسين مش قصده، هو بس خايف عليك ومقدر حالتك ومش عاوزك تتعب أكتر من كدا عشان خاطر أهلك ونفسك..

ياسين: أنت كلت حاجة ؟!

- مش عاوز أكل حاجة، ومش هاكل..

ركبنا السيارة، جلست في الكرسي الخلفي أمسكت بزجاجة الخمر من تحت الكرسي، فتحتها وشربت منها، أحمد نظر لي في مرآة السيارة وقال:

- ياسر؟ أنت هتشرب ؟!

- أه، لو مافيش مانع !

- لأ يا ياسر سيب الإزازة بعد إذنك ..

- هشربها كلها، لو عاوز تمنها قول كام وأنا أديهولك .

- يا إبني مش على تمنها بس أنت أول مرة تشرب .

- أول مرة ومش هتبقى أخر مرة..

ياسين: سيبه يا أحمد يعمل اللي هو عاوزه لو دا هيريحه..

- يا ياسين هروح البيت وريحته خمره ؟ أبوه يقول علينا إيه شربناه ؟

- مين قالكم إن أنا راجع البيت؟ أطلع على البحر عاوز أقعد على الشط.

- إحنا نسينا نكلم أهله..

أحمد اتصل بـ أبي وقال:

هو معانا دلوقتي لقيناه خلاص أرجع البيت يا عمي وأطمن، لأ هو مش عاوز يتكلم دلوقتي سيبه برحته وشويه كده وهنجيبه البيت متقلقش عليه، لأ مش هنسيبه يتحرك لوحده وعنينا هتفضل عليه، قفل مع بابا وكملنا طريقنا..

- طب هات شويه من الإزازة مشربتش النهاردة خالص !

- اشتريلك غيرها.

وقف أحمد بالسيارة على الناصيه وذهب ليشتري الخمر فقلت له:

- هاتلي معاك إزازتين وشوف تمنهم كام..

- لأ كفايه عليك دي.

فتحت باب السيارة ومتجه لأحمد جسدي يميل يميناً ويساراً ولا أستطيع أن أسيطر على نفسي وجدت سيارة تأتي بسرعة وقفت أمامها أنظر لها وهى متجه نحوي ثم وقفت السيارة، نزل صاحب السيارة ويصرخ في وجهي، كسرت الزجاجة التي في يدي وذاهب لأضربه فخاف مني فقلت له:

- أنت عاوز تموتني ؟

- والله مش قصدي أنت اللي مش مظبوط ..

- مش مظبوط؟ طب هات الرخصه ..

نزل ياسين من السيارة وأحمد إتجه لي مسرعاً قبل أن أضرب الرجل ..

– معلش إحنا أسفين لحضرتك هو بس تعبان شويه..

– أنا مش تعبان، أسحب من الحيوان ده الرخصة..

ياسين: أنت ظابط مرور يا إبني وإحنا منعرفش ؟!

امسكوا بي وأدخلوني إلى السيارة وجلس ياسين بجانبي خوفاً من أن أفعل أي تصرف يؤذيني أو يؤذي غيري..

– يا أحمد هاتلي 3 أزايز خمرة مش 2 لأ 3 فاهم !

– حاضر يا ياسر حاضر بس خليك في العربية عشان خاطري.

أتى أحمد وأعطاني كيس من زجاج السيارة وقال:

خد الـ 3 أزايز بتوعك اهم، أنت هتموت نفسك كده يا إبني .

– مالكش فيه وأطلع على الشط يلا وأخلص .

نزلنا من السيارة وجلسنا على الشاطىء الساعة 2 صباحاً، أحمد وياسين يجلسون بجانبي وجسدهم يرتعش من شدة البرد..

– ياسر تعالى نقعد في العربية طيب، الجو تلج.

– روحوا أنتوا لو بردانين أنا قاعد هنا..

– طب الدنيا هتمطر عليك وأنت قاعد كده !

– أنا عاوزها تمطر ..

وقفت على رجلي والزجاجة في يدي وقلت بصوت عالي:

– يلا خلي الدنيا تمطر ما أنت كل حاجة في إيدك، يلا قول لسما تمطر .

ياسين: يا أحمد ياسر شكله كده كفر ولا إيه !

– لا لا، هو بس عشان تحت تأثير الشرب مش واخد باله من كلامه.

– أنت نسيت قال إيه وإحنا في المقابر !

- ياعم أنت شايفه حالته عامله إزاي !

- أنا سامعكم على فكرة، ماشي بس مش هرد ..

رجعت بظهري على الرمل ونمت، ميادة ؟! سبتيني ليه ؟! تعالي هنا، تعالي..

إستيقظت من النوم أناديها..

أحمد إستيقظ مفزوع ..

- ميادة مين؟ أه ميادة .

- هو ياسين فين ؟

- مش عارف راح فين؟ إستنى اكلمه.. أنت فين يا إبني؟ طيب خلاص إحنا قاعدين اهو مش هنتحرك من مكانا بس متتأخرش علينا ..

- إيه؟ فين !

- راح يجيب فطار ..

- ليه الساعة كام ؟!

- الساعة 9 والناس بتتفرج علينا يا ياسر ما ينفعش كده وكويس إنها ما مطرتش، يا إبني أنا لو أمك مش هسيبك تنام لوحدك في أم البرد ده، والله أنا ليا الجنة.

- الجنة؟ هو في جنة أصلاً ، هاهاها ..

سمعت صوت بائع غزل البنات نظرت له وجدته جون .. !

- يا جووون، ياجووون ..

- ياسر؟ أنت إيه اللي جابك هنا !

- أنت إيه أنت اللي جابك هنا !

- المطعم الورثة خدوه وبيقولوا إنهم هيبيعوه ومشونا كلنا منه وأصلاً حتى لو كان فضل شغال ماكنش حد من العاملين اللي فيه كان هيشتغل، فيه اللي رجع بلده وفي اللي بيدور على شغل، وأنا رجعت تاني من بعدها بياع غزل البنات.

- وحشتك ميادة يا جون ؟!

جلس جون على الرمل

- ميادة، أنا كنت معتبرها أختي وكل حاجة في حياتي هى اللي عملتلي قيمة في المجتمع ده وشغلتني في مطعمها ومن وقتها وأنا بلبس حلو، باكل أحسن أكل ولما راحت ميادة راح معاها كل حاجة حلوة يا ياسر..

بكي جون فوضعت يدي علي كتفه، ياسين أتى ومعه الفطار، قولت لجون:

أقعد هتفطر معانا ..

- لأ أنا فطرت.

- قولتله هتفطر يلا مد إيدك وكُل..

جون: ياسر أنت لازم ترجع بيتك ماينفعش تعمل في نفسك كده، عشان خاطر ميادة!

- أطلع من الموضوع ده يا جون وعيش حياتك ومتحاولش تقول عشان خاطر ميادة تاني، ميادة بالنسبالي أكبر من أي حد وهتفضل أكبر من أي حد.. صرخت و وجهت يدي للسماء وقلت، فاهم أكبر من اي حد، سامعني !

بعد إنتهائنا من الفطار قال جون:

أنا همشي أكمل رزقي يمكن ربنا يكرمنا بأي إتنين بيحبوا بعض يشتروا مني ..

- هشوفك تاني يا جون ؟!

- أنت عارف مكاني يا ياسر ..

ذهب جون يكمل عمله فقلت لأحمد

- أحمد، أنا عاوز أنام مع واحدة.

- إزاي يعني ؟

- إيه اللي إزاي؟ .. عاوز أنام مع واحدة يا زفت.

- ماشي، هتصرفلك بالليل ..

- لأ دلوقتي.

- اجيبلك أنا واحدة منين دلوقتي أنا ؟

- أخلص، فتحت الإزازة وشربت وأحمد مسك موبيله وبيتصل بحد.

- يا ياسر أنت ما كونتش كدا إيه اللي حصلك ؟

- ياسين لو هتفضل تقولي الكلام ده امشي أحسن..

سكت ياسين وجلس ينظر الي البحر وأنا أرفع الزجاجه على فمي..

أحمد: تعالى ياعم شقطلك واحدة..

إتجهنا الي شقه أحمد، أنتظرناها إلي أن سمعنا صوت الجرس..

- إيه دا؟ أنتوا التلاتة عليا؟! كده هاخد الضعف ..

أحمد لوح بيده لها وقال: ما تهدي يا بت شويه، أنتي ما بتصدقي، الراجل دا مكتئب وعاوزين نخرجه من الحاله دي بأي طريقة وهو طلب ينام مع واحدة وأنتي بقى اللي عليكي الطلب لو مش هتعرفي تخرجيه من الحاله دي مش هتاخدي فلوس وهتروحي ملط ماشي؟

- وأنا مالي إفرض هو مالوش مزاج اصلاً.

- بقولك هو طلب، إزاي يبقي مالوش مزاج .

- طيب بينا.

- ياسر خدها وأدخل بيها الأوضة وعيش ..

دخلت معها الغرفه وأغلقت الباب وهى واقفه تخلع ملابسها..

- شكلك أول مرة..

- لأ أول مرة إيه، أنتي هتشوفي بنفسك .

- طب مش هتقلع ولا هنقضيها أحاسيس؟!

- لأ لأ، هقلع اهو ..

خلعت الجاكت والقميص والفانله، أقف بالبنطلون وهى واقفة بالملابس الداخلية لها، وضعت يدها على خصرها ثم قالت:

- أجيلك أقلعك أنا طيب لو مكسوف !

إقتربت مني وحاولت أن تمسك ببنطلوني وتريد فتحه فدفعتها اللي الوراء لأبعدها عني فوقعت على السرير وقالت:

- أه، يا متوحش، بحب العنف أوي على فكرة.

- بصي، أنا مش هنام معاكي ولا هعمل فيكي حاجة..

- نعم؟ أمال جايبني هنا ليه؟ أنت كده عطلتني عن زباين تانية!

- هديكي كل اللي أنتي عاوزاه من غير ما أفاصل معاكي بس بشرط.

- ها، قول !

- أنتي إسمك إيه الأول ؟!

- علياء..

- طيب يا علياء أنا هنام في حضنك بس، تاخديني في حضنك وأنام في من غير ما أعمل فيكي حاجة أو تعملي أنتي أي حاجة ؟!

- هنقضيها أحضان يعني !

- هتعملي اللي هقولك عليه ولا امشيكي وأجيب غيرك !

- لأ خلاص، تعالى في حضني..

جلست على السرير ثم نمت في حضنها وهى بأصابعها تلاعب خصل شعري، بكيت وأنا بين ضلوعها وهى تضمني أكثر لها..

- أنت موجوع أوي كدا !

- أنا بموت، كل حاجة جوايا ماتت ومفاضلش مني غير روح ..

– معلش، هى الدنيا كده عمرها ما بتدينا اللي إحنا عاوزينه إلا لما تاخد مننا أغلى حاجة، أسألني أنا..

– مش الدنيا اللي بتاخد في حد تاني بياخد مننا أغلى حاجة عندنا عشان بيفرح لما يشوفنا مكسورين؟!

– مين ؟!

– مش لازم تعرفي..

بعد ساعة ونصف، أحمد يطرق الباب..

– يا ياسر أنت قتلت البنت ولا إيه !

– ياسر دا متوحش يا أحمد حاجة تانية كدا من الرجالة اللي مش موجوده دلوقتي.

نظرت لها ومندهش من ردة فعلها على كلام أحمد لأنني لم أفعل شيء من الذي قالته له، نظرت لي وقالت بنبرة صوت هادئه:

– مفيش حد هيعرف حاجة متخافش.

إرتديت ملابسي وقبل أن نخرج من الغرفة ضحكت ضحكة غريبة – ضحكة مطرقعة– نظرت لها وأندهشت أكثر..

– متقلقش دا لزوم الشغل عشان يعرفوا إنك ألعوبان وهما برا .

احمد وياسين جالسين في الصاله يضحكون ويقولون لي بصوت مرتفع:

أيوة يا جامد يا مشرف أصحابك وسط الحريم..

خرجت من الغرفه أنا وهي، أمسكت محفظتي لأخرج النقود منها وأعطيتها الذي إتفقنا عليه أنا وهى وقبل أن تخرج من باب الشقه قالت:

– خليكم جنب صاحبكم، محتاجكم أوي الفترة دي ..

– هو عمل إيه بالظبط الواد دا !

عند سماع غلق الباب ورائها جلس ياسين بجانبي وقال:

– عملت إيه في البنت دي شكلها فرقعت من فوق لتحت!

– عملت كتير.

ياسين: أنا هستأذن بقى عشان ألحق أنام ساعة وأنزل الشغل عشان بقالي كده 3 أيام ماروحتش الشغل وهيرفدوني، خليك جنب ياسر يا أحمد لحد ما أقابلكم بعد الشعل وأنا هخلص على 12 بالليل كدا.

بعد خروج ياسين هو الأخر أخرجت أخر زجاجة خمر وشربت منها..

– هو مفيش خمرة هنا يا أحمد !

– في يا ياسر بس كفاية كدا عشان خاطري ..

– تاني يا أحمد، بُص لو فتحت الموضوع دا معايا أنا هسيبك وأمشي ..

إتصلت أمي على أحمد لتعرف أخباري:

– متخافيش يا طنط ياسر كويس اهو وفطرنا وقعدنا شويه كدا وكمان ساعة وهنطلب أكل نتغدى، خُد كلمها..

– ألو !

– إيه يا إبني عامل إيه يا حبيبي دلوقتي !

– كويس يا ماما متقلقيش أنا بخير وطمني بابا.

– مش ناوي ترجع البيت بقى وموبيلك فين ؟!

– لأ، موبيلي وقع مني مش عارف فين، يلا أنا هقفل..

خرجت مع أحمد لنأكل في مطعم أفضل من الجلوس هكذا وبعد ذلك نشتري الخمره لأنها إقتربت على الإنتهاء ولم يعد إلا زجاجة واحدة، وجدت رجلاً يطلب المساعدة ..

– حاجة لله يا إبني جعان.

– قول حاجة ليا مش لله، ربك لو كان بيحبك ماكنش سابك كدا، هات يا أحمد أي فكه من اللي معاك عشان كل فلوسي مجمده، خد ياعم وبعد كدا إسمها حاجة ليا، ربك بيستمتع بعذابنا..

عند سماع الرجل لي إندهش من حديثي وأخذ النقود ثم قال لي أحمد:

– ياسر خد بالك من كلامك أنت كدا بتكفر فاهمني؟ مش معنى إن إحنا بنعمل حاجات غلط في حياتنا كتير نبقى كفار أو عشان أنا بشرب أبقي كافر في فرق لو أنت فاهم إن عشان أنت شربت شويه أزايز تبقى كافر فأنت غلطان، أنت هيجيلك يوم وتدوق الهدايه اللي أنا نفسي فيها وأصلح كل ذنوبي يمكن ربنا يرضى عني و يغفرلي اللي عملته واللي بعمله..

– إسمها ربك مش ربنا، متجمعش، يلا عشان نتغدى.

دخلنا المطعم وطلبنا الطعام وقبل ان أمسك بملعقتي تذكرت كل شئ، تحولت الاشخاص و تغيرت الملامح، رأيت زياد هو من يجلس أمامي فنظرت الي الطاوله التي على يساري رأيت مياده تجلس عليها، إبتعدت عن الطعام..

– ياسر أنت مش هتكمل أكلك؟! ياسر؟ أنت يا إبني ؟

– عاوز إيه يا أحمد أنا دلوقتي مش هكمل أكل ياعم أنا شبعت ويلا خلص عشان عاوز أشرب.

– إيه يا إبني أنت ماكنتش كده في حياتك كلها، أنت إتحولت بسبب ...

– متكملش كلام يا أحمد لو هتجيب سيرتها بكلمة غلط هتزعل مني ودي أخر مرة هقولك الموضوع ده عشان مش هسمح لأي حد يغلط فيها فاهمني !

– حاضر يا ياسر، بس يلا كمل أكلك عشان نمشي، حرام الأكل ده هيترمي في الزبالة ..

طلبت حقيبة من المطعم ووضعت طعامي فيها وأخذتها وخرجت ونحن نسير وجدت طفل وطفلة بيبعوا المناديل فاتجهت لهم:

- أنتوا كلتوا ؟!

نظراتهم لي كانت تمتلئ بالشقاء والتعب والجوع..

- خدوا الأكل دا كملوه.

أعطيتهم حقيبة الطعام فأمسكت الطفلة بالحقيبة ومن الجوع قطعوا الحقيبة بأسنانهم ليفتحوها وجلسوا يأكلوا سوياً ونسوا أن في مناديل يجب أن تباع من شدة الجوع ورغبتهم القوية في إشباع جوعهم..

2006/ 4/ 25 الساعة 10 ليلاً

- ياسر، أنت بقالك شهر أهلك نفسهم يشوفوك وأنت رافض ..

- يا أحمد أنا مش عاوز أدخل الأوضة، كل حاجة في الأوضة بتفكرني بيها، دفتري وسريري اللي كنت بنام عليه وأنا بفكر فيها، كل حاجة يا أحمد، سيبك مني صحيح أنت مش المفروض إنك هتسافر؟!

- أه المفروض بس الشركة اللي شغال فيها غيرت فرعها وبتنقل في شركة جديدة وإدولنا كلنا أجازة 5 شهور بربع المرتب يعني أنا قاعد وبقبض عشان الشركة بقت قديمة جداً وفي مهندسين قالوا إحتمال تقع باللي فيها في وقت فيبنقلوا في مكان تاني وبيعملوا ديكوراتهم وكدا ..

- ياسين فين مجاش؟ مش المفروض إنه غير شفته وبقى بالنهار !

- هتصل بيه أشوفه فين.

- أحمد أنا عاوز أكلم علياء، البنت اللي أنت كنت جبتهالي المرة اللي فاتت ..

- إيه نفسك فيها ولا إيه؟

- إتصلي عليها وأنا هكلمها يلا..

أمسك بهاتفه وإتصل بها، فأمسكت الهاتف منه حتى ترد لكن لم ترد على الهاتف..

- إيه هى مش بترد ليه ؟

- يمكن معاها زبون، الناس دي بتحب تشتغل بضمير..

إتصلت بينا بعدها بساعة ..

- ألو .. أنتي فين ؟!

- أيوة ، يا أحمد إيه اللي فكرك بيا؟!

- أنا مش أحمد، أنا ياسر اللي كان معاكي في الأوضة بتاعت أحمد، أنا عاوزك تيجي لو فاضيه يعني !

- طيب إديني ساعة وهكون عندك..

جرس الباب رن، قام أحمد يشوف مين، سمعت أحمد وهو بيقول إيه ياعم ياسين، ياسر كان لسه بيجيب في سيرتك من شويه..

- أنا جبتلكم معايا شويه فسفور هيولعوا فينا..

أحمد ضحك وقال ياسين قلبه كان حاسس هاهاهاها..

- في إيه ؟

- مفيش أصلي طلبت من أحمد يجيب علياء تيجيلي ..

- علياء مين؟ أه وماله ياعم ..

دخلت أستريح في الغرفة مع نفسي وأنا مغمض العينين أفكر بها، ثم فتح الباب فإذا بعلياء قد أتت..

- إزيك يا ياسر أنا قولت أدخل عليك فجأة كدا ..

- أدخلي وأقفلي الباب وراكي كويس..

- إيه اللي فكرك بيا !

– عاوز أنام في حضنك !

– حاضر، لو ده هيريحك شويه..

نمت في أحضانها وأنا صامت وهى تلاعب شعر رأسي :

– شوف أنا مش هغصبك على حاجة بس أنت غريب وأول مرة في حياتي أقابل حد كدا، كل الرجالة اللي عرفتهم بيبقوا عاوزين النوم وبس إنما أنت مبتفكرش غير إنك تنام في حضني، أنا مستغربالك ونفسي أعرف حكايتك إيه لو مش عاوز تحكي بلاش بس ساعات الكلام بيريح هما بيقولوا كدا .. !

– صح، هما بيقولو كدا..

مش كل الكلام بيريح في كلام لما تقوليه يشيل عنك شويه وفي كلام تقوليه يزود عليكي تعب أكتر وحتى لو حاولتي تتكلمي من تقل الكلام جواكي مش هتقدري تطلعي كلمة واحدة عشان اللي ساكن بين ضلوعك مش مجرد كلام هتنطقه وهيطلع على جمل مفيدة اللي يسمعها يفهمها، اللي بين ضلوعك ده حياة، حياة كلها تعب وحزن "كل حاجة ضدك حتى نفسك" الجملة دي حد قلهالي زمان ودلوقتي بس فهمت معنى يعني إيه كل حاجة ضدك حتى نفسك، مالوش لازمة الكلام مش هيفيدك بحاجة، خليني ساكت عشان أنا لما بسكت برتاح أكتر من الكلام..

– طيب، اللي يريحك أنت بس هقولك على حاجة لما نمت في حضني المرة اللي فاتت حسيت بحاجة غريبة لأول مرة ابقى نفسي في حد وهو مش عاوز يعمل أي حاجة، كل الرجالة اللي نمت معاهم كنت بنام في مقابل الفلوس إنما أنت لأول مرة احس إن أنا عاوزة أنام معاك بدون أي مقابل..

– علياء، إحنا على إتفاقنا فاهماني ؟

– مش قصدي حاجة أنا بس بقولك حاجة حسيتها مش أكتر .

بعد 5 أسابيع

1 /5 /2006

قررت الرجوع إلى المنزل، أمي فتحت الباب وعند رؤيتها لي عانقتني ونحن نقف على الباب ثم وضع أبي يده على كتفي وأخذني لغرفتي وقال لي:

"بص يابني كلنا هنموت ومفيش حد فاضل ولو كل الناس عملت زيك هيقعدوا في بيوتهم ومفيش حد هيتحرك والدنيا هتوقف وصدقني الدنيا عمرها ما بتوقف على حد، على حد كلنا محتاجينه ومشي أو على ناس بنحبها وماتت ومش معنى كده إن إحنا ننسى اللي ماتوا بالعكس بنفتكرهم وندعيلهم ونزورهم كمان وبيفضلوا جوانا حتى لو عدت سنين بنفضل فاكرينهم وفاكرين كل الأيام الحلوة اللي عشناها معاهم وبنختمها بالدعاء ليهم، ارجع لحياتك وشوف نفسك، العمر بيجري ومش هتلحقه، شايف وشك عامل إزاي؟ وعيونك حمره زي الدم وجسمك، أنا معرفتكش لما شوفتك داخل من الباب".

بعد إنتهاء أبي من حديثه قام وخرج من الغرفة ثم جلست على المكتب ومن كثرة الألم بداخلي بكيت وإذ فجأةً دخلت أمي غرفتي وجدت دموعي في عيني وأنا أحاول أن أمسحها قبل أن تراها وقالت بصوت حزين:

- ليه يا إبني كدا بس، أنت هتموت نفسك من اللي بتعمله دا ..

- أنا كويس يا ماما..

- أبوك نزل يجيبلك أكل من تحت عشان تتعشى، قوم يلا غير هدومك وصلي عشان ربنا يرضى عنك ويرحمك من عذابك اللي أنت حاطت نفسك فيه.

- ربنا !!

دا نزل عليا عذابه فين الرحمة؟! فين الرحمة لما يحرمني منها؟ أنا ماكنتش بتمنى من الدنيا ومنه هو غيرها، يجي هو ياخدها مني !

- إيه اللي بتقوله دا؟ إيه الكلام دا يا إبني حرام عليك كفايه !

– ماما اطلعي وسيبني في حالي أنا مش ناقص حد ولا قادر استحمل كلمة واحدة من حد ..

خرجت غاضبه من غرفتي وأغلقت الباب ورائها بقوة، إتصلت بأحمد من هاتف المنزل وطلبت منه أن يأتي لي بمشروبي المفضل "الخمره" وعند وصوله أمام المنزل نزلت أخذتها منه وذهبت مسرعاً إلى غرفتي قبل أن تراني أمي..

عند رجوع أبي إلى المنزل دخل غرفتي وأعطاني هاتف جديد أحمله بديلاً لهاتفي الذي ألقيت به في البحر وقلت لهم بأنه ضاع مني..

جلست معهم على الطاولة..

– تحب ننزل الشغل من امتى ؟!

– أصبر عليا شويه يا بابا..

– طيب يا حبيبي وقت ما تحب تنزل عرفني.

بعد إنتهائي من الطعام دخلت الغرفة وأمسكت بدفتري وجلست على سريري أقرأ بعض كلامي الذي كتبه عنها ثم أغلقت باب غرفتي وأخرجت بزجاجتي وشربتها ثم أخرجت بالأخرى وشربتها إلى أن فقدت الوعي ونمت على سريري..

الشريط الثالث عشر

طرق البدايات كثيره ولكن في النهايه تؤدي إلي طريقين فقط وعليك أنت أن تختار.

تفسير الحلم

يوم الأربعاء

15 /5 /2006

إستيقظت ليلاً الساعه 10 مساءً.. بعدها ذهبت لأبي وقلت له:

– بابا أنا عاوز مفتاح العربية هنزل ألف شويه وهعدي على صحابي!

– ماشي بس الساعة دلوقتي 11:30 بالليل!

– عادي بقى، مخنوق وعاوز أفك شويه عن نفسي..

أخذت مفتاح السياره ونزلت ركبتها وذهبت الي محل الخمور وإتشريت ما يكفيني من الخمر، أقود السياره ولا أعلم الي اين انا ذاهب فقررت أن أخرج خارج المدينه، أقود بتهور وبسرعه مميته، لا أقف لأشارات ولا لمطبات، أسير والموت يبعد عني بدقائق، أسير على الطريق الصحراوي وعداد السياره من سرعتي كاد أن ينكسر، دخلت في طريق الأ شجار على يميني ويساري، أسير على طريق ترابي ولا أعلم الي اين انا ذاهب ثم توقفت بي السياره في مكان مظلم، تعطلت السياره وأنا لوحدي، نزلت من السياره أحاول معها لكن السياره لا تستجيب لكل محاولاتي معها...

أشعلت كل انوار السياره لأرى أين أنا! .. أسير على نور السياره بقدمي والمكان معتم تماماً وجدت لافته حاولت ان أقرأ المكتوب عليها إلي أن أستطعت أن أقرأ، "مزارع دواجن" أتصلت بأحمد

– أحمد إلحقني أنا تايه ..

– أنت فين يا ياسر؟!

– أنا فضلت ماشي بالعربية والعربية عطلت..

أعطيته العنوان و وصفت له الطريق الذي كنت أسير فيه..

– خليك مكانك متتحركش أنا هعدي على ياسين وجاينلك، أنا مش عارف جالك قلب إزاي تمشي في المكان ده لوحدك.

– متتأخرش عليا ..

– ياعم خلاص خليك أنت بس مكانك واركب العربية وخليك جواها ..

قفلت معاه وركبت العربية وشغلت الراديو وفضلت قاعد أشرب وأسمع الراديو، رجعت كرسي العربية لورا وريحت ضهري شويه ..

بعد مرور نصف ساعه من الملل فتحت باب السياره أحاول معها للمره الألف، احاول مع الموتور و فجأة وجدت يداً على كتفي، من خوفي شعرت وكأن روحي أصبحت في أصابع قدمي،،

- مين!!

- متخافش أنت إيه اللي موقفك هنا!

- العربية عطلت ومستني صاحبي يجي ياخدني، أنت مين ؟!

- أنا الحارس بتاع المزرعة، شوفت نور العربية وجيت أشوف في إيه !

- طب ما تخليك واقف معايا لحد ما صاحبي يجي أصل بصراحة مرعوب أوي وخايف أقعد أستنى لوحدي هنا!

- حاضر.

تحدثنا سوياً إلى أن يأتي احمد ويأخذني من هنا، في منتصف الحديث قال لي:

- أنت متجوز ؟!

- لأ ومش هتجوز ..

- ليه يا إبني ؟

- اللي كنت بحبها راحت وربك هو اللي خدها..

- إحكيلي حكايتك لو حابب تحكي !

بدأت أحكي له قصتي بكل تفاصيلها وأحداثها الدقيقه وبعد إنتهائي من حديثي نظرت لوجهه لكن وجدت ردة فعله كانت غير كل توقعاتي، إبتسم لي إبتسامة هادئة جداً وكأنني لم أقل له شئ ثم وضع يده على كتفي ونظر لعيني، شعرت بالخوف من نظرته الغريبه وفجأة شعرت بإرتياح غريب ثم قال لي:

- تحب أقولك ليه حصل معاك كل اللي أنت فيه !

- ياريت ؟؟!

– هقولك بس ركز في كلامي كويس عشان مش هتسمعه غير مرة واحدة بس فاهمني !

إن الله خلقك بقلباً واحد فقط..

قلب لا يتسع إلا لشخصاً واحد

قلب يحبه هو ولا يتسع قلبك إلا له

الله غيور على حب عباده له

يجب أن تكون أعلى سمات الحب بداخلك لربك ثم الأشخاص

أن الله يحب خلقه ويغير على حب خلقه له

أن الله خلقك بقلبٍ واحد وقلبك ملك لله

إذا حاولت أن تحب أي شئ مهما كان فستكون نهايتك فقدانه للأبد مثل ما حدث معك أنت والتي كنت تحبها..

أن الله لا يكره أحداً ولكنه غيور يحب عبده جداً لدرجات لن يستوعبها عقلك..

أذا رأيت شخصاً يحب حبيبتك ستفعل المستحيل من أجل غيرتك عليه..

أن الله عز وجل يريد أن يكون قلبك له وليس لأحداً غيره، قلبك له، أنت له، كل شئ فيك له، فأنت منه وإليه تعود..

الحب الحقيقي كـ شجرة العائله، أول أسم في الشجره هو الله ثم تمتد فروع الشجره لأهلك ثم حبيبتك ثم أصدقائك ثم ثم ثم..

تأكد أن قربك من الله يقرب منك كل شئ تريده لأنك وضعته في أعلى مكانه بداخلك وبالتالي سيلبي لك كل إحتياجاتك وستشعر بأنه لا ينقصك شئ، حب الناس، رضى الأم والأب، الراحه النفسيه، كل هذه الاشياء ستجدها عند الله فقط، أبواب الناس مغلقه إلا ابواب السماء فدائماً مفتوحه لعباده عند الدعاء، إقترب من ربك يقرب ربك لك كل شئ تحبه..

أن الحقد والكره ليس من صفات الله، دائما يراك وعينه عليك فكيف يكرهك وهو من نفخ فيك الروح !؟

عند إحتياجك للبشر ستجد بأن معظمهم مشغولين، أقفلوا كل الابواب بوجهك إلا باب واحد فقط هو باب ربك لا يقفل لعبد من عباده فإذا ناديته فيستجيب وإذا تحدثت معه سراً ينصت لك وإذا مرضت يشفيك وإذا أحببته أحبك الناس جميعا وإذا توسلت اليه يقول لك عبدي رجوتني فأطلب ما تشاء" وهذا هو حب الله لك

هل يستيطع أحداً من البشر فعل نصف ما يفعله الله لك !؟..

أنت أحببت بكل بصدق وأخلصت لإنسانة ولكنك نسيت يا عبد الله أن هذه الإنسانة ملكاً لله وليست لك وأنها ملك للذي خلقها وكونها في احسن صوره وإذا أراد ان يستردها فسيأخذها منك، هو من خلقها من تراب وهو الذي أرجعها إلي التراب..

قلت: بس أنا كل اللي عملته إنى حبيتها بكل ما فيا من روح وإتعلقت بيها وزاد قلبي بحبها وكانت حياتي مترتبة عليها من أول الصفر، أنا عملت إيه عشان يحصلي كل ده ؟!

عند حُبك لها لم تدرك ولم تتخيل أن في لحظه ستذهب الي الله، نسيت الله ونسيت بأن جمال وتكوين الانسانة التي امامك هي مجرد صوره مصغره جداً و جزء صغير من جمال الله ونسيت حبك لله ..

ربك خلقك بقلب لتحُب ولكن أعلى سمات الحب يجب ان تكون لله ولكن إذا أحببت بشراً و وضعته مكان الله بداخلك ستندم ندماً شديدا وسيكون نتجيتها الفراق، تعددت الأسباب والفراق واحد وأنت قلت لي بأنها كانت مريضه ..

– طب والحلم اللي أنا حلمته لما كنت واقف في مكان عالي مفيش حاجة حواليا وشايف جبال سودة كتير ومفيش غير جبل واحد أبيض متغطي بالتلج؟!

تفسيره إيه ؟!

- كان مجرد إنذار ليك إنك تحلق نفسك قبل ما توصل لمرحلة مفهاش رجوع، وزي ما قولت ماكونتش شايف قدامك يعني كنت واقف في مكان ضلمه وفي لحظة ظهرلك نور نورلك البقعة اللي كنت واقف فيها وشوفت بعينك جبل أبيض وجبال سودة وقدام كل جبل جسر بس نهايته مش عندك ولو كنت نطيت كنت هتقع في دوامة الدنيا وعتمتها وهتغرق ومفيش حد هيلحقك لكن لو كنت أخترت طريق الجبل الأبيض ونطيت كنت هتعرف إنك ماشي في الطريق الغلط الطريق اللي أخرته فيها تعبك وحزنك ودي رساله ليك تخليك تفوق قبل ما تفضل مغيب طول حياتك..

بعد سماعي لحديث هذا الرجل الغامض معي جلست بركبتي على الارض وبكيت لأنني السبب في كل شئ حدث لي ونسيت حب الله لي ونسيت بأن الحب الاول لله ثم البشر..

رفعت رأسي ونظرت الي الرجل وأنا جالس على ركبتي وقلت:

- بس أنا كنت قليل الذوق أوي معاه وقولتله كلام كتير أوي لو إتقال لأي حد مُمكن يكرهني وحاولت أعمل أي حاجة عشان أعصيه وأعمل أي حاجة تخليه يضايق مني بسبب ميادة !

ضحك الرجل للمره الثانيه وكأنه يسخر مني ومن كلامي وأنا لا أفهم لماذا يضحك فقلت له:

- أنت بتضحك على إيه ؟

قال:

إذا ضايقت أمك وأزعجتها منك هل ستكرهك؟ ستظل تحبك لأنها أمك، لك أن تتخيل الله الذي خلق أمك و وضع رحمة الأم بداخلها التي مهما فعلت بها وقسوت عليها وعاملتها أسوء معامله ستظل تحبك، أن الله رحيم لدرجات لا تعلمها أنت ولن تستطيع تخيل مدى رحمته فكيف يكرهك ربك الذي خلق أمك!؟..

نظرت الي الارض مرة أخرى وبكيت بصوت يكاد يملئ المكان بصداه بسبب كل شئ فعلته بي وبنفسي، بكيت على كل شئ، بكيت لأنني من فعل في نفسه هكذا وأنا الان أدفع ضريبة أفعالي، رفعت رأسي لم أجد الرجل !؟ أختفي من أمامي، ناديت عليه بصوتاً عالي وأنا لا أعلم من هو ومن أين، أختفي ولم أجده.

وقفت على قدمي أنظر حولي "أين ذهب هذا الرجل؟" إلتفت ورائي وجدت نوراً قوي في عيني، وجدت سيارة ياسين و أحمد ..

نزل احمد من السياره وأمسك بالمفتاح وشغل السياره فدارت معه !؟؟

– إزاي ده؟ لأ لأ يا أحمد كانت مش شغاله وحاولت معاها أكتر من مرة !

– يمكن بس العربية كانت سخنة وكان لازم تسيبها تبرد شويه عشان تشتغل تاني..

أتى بزجاجه ماء و وضعها في "الريداتير" السيارة ثم قال:

– أركب يا ياسين أنت معاه وأنا همشي وراكم..

خرجنا من هذا المكان المظلم وكان فجر اليوم التالي، أفكر في كل شئ حدث معي والرجل الذي ظهر لي وأختفي فجأة، من هذا جن؟ انس؟ لا أعلم، أوقفت السياره بجانب الطريق وقلت لياسين:

– تعالي سوق أنت، مش قادر جسمي كله بيرتعش..

– حاضر، صحيح بقولك أنا جبتلك إزازتك عشان دماغك تظبط !

أمسكت بها ونظرت لها ثم ألقيت بها خارج السيارة، اندهش ياسين من رد فعلي وأكمل قيادة السياره وهو صامت، شعرت وكأنه خائف مني..

نظرت الي السماء والنجوم تزينها وأشعر بالخجل من الله لأنني أحببت شخصاً أكثر منه، أحببت إنسانة هو السبب في وجودها وله الحق بأن يستردها في أي وقت إذا أراد، رجعت منزلي ثم صليت وأنا أصلي شعرت بشئ يجري في عروقي

وفي لحظه شعرت وكأن أحداً يحن علي وكأنه يقول لي لا تحزن لا تبكي، أنا أشعر بك وأحبك ..

رفعت يدي الي الله وقلت له:

– بعد كل اللي عملته معاك وبعد كل اللي قولته بلساني، بتطمني إنك جنبى !

بتحسسنى إنى كنت قاسي عليك بأفعالي؟

أنا أسف إن أنا حبيت واحدة أكتر من اللي خالقها..

أنا مش عارف أقولك إيه لو فضلت أعتذرلك طول عمري مش كفاية على اللى عملته معاك، رحمتك أوسع من أي شيء، سامحنى كان لازم أنا اللي أقولك بحبك..

كان لازم يمتلئ قلبي بحبي ليك أنت مش لحد تاني غيرك..

دلوقتى بس عرفت قد إيه أنت بتحبني ودلوقتى بس عرفت إن قلبي متخلقش غير ليك ونسيت إن " الله غيور على حب عباده له"..

تعرف لو كنت اعرف إنك بتغير على عبدك كده !

كنت عمري ما هديي قلبي لحد غيرك، معاك بحس بالراحة النفسية والأمان بحس إن في حد بيحبني بجد، مش عاوزك تزعل مني علي أى كلمة وحشة قولتلها ليك.

أنا أسف.. أسف عشان عليت صوتي عليك وزعقت، أسف سامحني..

خرجت من بيتي الساعة الرابعة عصراً، أنظر الي السحاب وأنظر الي الله ومبتسم فهو يراني وأنا لا أراه، أعلم بأنه يراني الأن وينظر لي، أشعر بشئ غريب دائماً يطمئنني ويدخل السكينه لقلبي..

أبتسم له وأشعر بالراحه النفسيه وأقول له سيأتي يوم وأقف بين يديك وأتكلم معك وأقول لك أنني أحببتك كثيراً وأستعطفك لأنني قد أهلكت نفسي وأنا أعمى العينين لم أدرك أنك أنت هو الحب الحقيقي، لقد اخطئت في حقك ، كنت غبياً حين أحببت شخصاً أكثر منك، كل البشر على الارض في زيارة وإليك سيرجعون، كنت أتمنى أن

أقابل هذا الرجل قبل ما يحدث لي كل هذا، كنت أتمني، أعلم كل العلم بأنني لو أحببتك من كل قلبي فلن أحبك بمقدار حبك لي ومثل ما أنت غيور على عبدك فبعدك أيضاً غيور..

بعد فترة طويله..

خرجت مع أبي الي العمل ورجعت لحياتي ولكن بطرق مختلفه و تفكير مختلف تماماً عن حياتي السابقه، أحببت انسانة ولم أتخيل بأنه في لحظة سترحل اياً كانت طرق الرحيل وأسبابها، تذكرت كلام أبي عند قوله لي "الحياة عمرها ما بتوقف على حد واللي ماتوا هنفضل فاكرينهم"..

ذهبت الي المقابر ودعوت لها بالرحمه ولازال يوجد بداخلي حزن على فراقها ثم قلت لها لن أنساكي فأنا أحببتك ولكنني نسيت ربي فأهلكت أنا وقلبي، جعلت منك ذكري جميله في حياتي وأيام أجمل عشتها معكي أنتي، دخلت تجربه علمتني الكثير، دخلت في طرق المعاصي وعصيت الله لأنني لم أكن أفهم الحكمة من ذلك الدرس، سأظل أتذكرك وأتذكر حبي لكي ولن أنساكي وكما قلتي لي أجعلني ذكرى جميله في حياتك، أراكي في عالم النهايات لعل الله يجمعني بيكي قريباً..

جالس في المنزل أشاهد التلفاز سمعت صوت أحمد ينادي من أمام العماره، نظرت له من شرفة البيت وقلت:

- إيه يا إبني؟

- ألبس وانزل بس عندي مفاجأة ليك .

- ما تقول ؟

- انزل يا زفت يلا..

أرتديت ملابسي ونزلت ركبت معه السياره و وجدت ياسين وقلت:

- في إيه ؟

– هتعرف بس نعدي على ياسين في طريقنا الأول، في إزازة تحتك لو عاوز !

– لأ خلاص بطلت أنا ..

– طب وعلياء بطلتها هى كمان؟ دي بتسأل عليك على فكرة !

– لو سألتك عليا تاني قولها إنه كويس وشكراً على الوقت اللي قضيته معاها..

شاهدت الطريق أمامي وأحمد يقود وهو يذهب الي المطعم ولكن المطعم مغلق من بعد وفاتها !؟ وقف احمد بالسياره بعيداً عن المطعم ونزلنا وسيرنا الي المطعم على قدمينا وأنا مستسلم لهم ولا أعلم شئ، تفاجئت عند رؤيتي لأنوار المطعم والمطعم مفتوح.

وقفت أمام باب المطعم وجدت صورتنا التي ألتقطت لنا سوياً كبروا حجمها وعلقوها على الحائط، أنظر حولي أجد كل العمال موجودين ! لم يتغيروا ! صدمت، نظرت الي سلم المكتب وشعرت بأن مياده ستنزل من السلم الأن وتبتسم لي وكأنه مجرد حلم !!

وجدت أحداً وضع يده على كتفي، كل أعضاء جسدي توقفت من الخوف وشعرت بأنني إذا ألتفت ورائي سأراها!

– إيه يا جون إيه اللي حصل أنا مش فاهم حاجة!

– أنا لقيت حد بيسأل عليا، عرف عنواني وجالي لقيته واحد اسمه سعيد الطلوشي قالي أن لازم تيجي بكرا في مكتبي الساعة 8 الصبح عشان في حاجة تخصك من ميادة، حاولت أفهم منه بس مرضيش يقول ولما روحت تاني لقيت كل العمال اللي في المطعم هناك مستنين وبسألهم فيه إيه؟ كلهم طلعوا بيسألو نفس السؤال ولما وصل المحامي، وقعد قال إن ميادة كاتبة نص المطعم بنسبة 50٪ لكل عمال المطعم والنص التاني لجمعية خيرية،

يعني أنا وكل اللي معايا لينا نص المطعم وقتها لما سمعنا الخبر ده عيطنا على تصرفها وطلعنا من المكتب على قبرها وقعدنا ندعيلها كلنا، كانت خايفة بعد ما تموت نتشرد من تاني عشان اللي متجوز وعنده عيال ومن بعدها بقينا أصحاب مكان وعرفنا إن باقي

الممتلكات راحت نصها لأهلها والنص التاني لنفس الجمعية الخيرية، جمعيات بتكفل اليتيم، تصور يا ياسر ميادة دي إنسانة مش هتتكرر تاني أبداً، أنت كان ليك حق تحبها..

جلست على الكرسي وأمتلئت عيني بالدموع، أقترب أحمد وقال:

- ماينفعش كده أدعيلها احسن ما تعيط .

- الله يرحمها ..

جلست في صالة المطعم ثم أخذني جون وصعدنا الي المكتب وعندما فتح باب وجدت رائحتها في كل مكان حتي الاوراق التي على مكتبها، طلبت من إدارة المطعم وجون أن لا يتغير شئ وديكور المطعم يظل كما هو وصور عائلتها تظل على الحائط وكل شئ يبقي كما هو..

دخل الشيف خليل المكتب علينا وقال:

يا إبني ميادة دي قبل ما تحبها أو تعرفها كانت بنتي عمرها ما عاملت واحد فينا وحش بالعكس كانت دايماً متسامحة معانا ودايماً واقفة معانا لو حد من الزباين قال كلمة تضايقنا وعمرها جات على حد إلا لو ليها أو لينا حق وعندها نظرية غريبة إن ليه أهزق عامل عشان زبون أو أمشيه والعامل ده هو اللي شايل المطعم، الزبنون مُمكن يمشي ويجي غيره لكن العامل لو مشي صعب ألاقي زيه ..

الشريط الرابع عشر

تراب الماضي وحنين الذكريات

2016

مسح طارق دموعه ونظر لي وهو حزين ثم قال:

– أنا مش فاهم يا جيهان هو في حد كده فعلاً !

– كان في وراح ..

– إستحاله يكون في حد كده دلوقتي، صعب وأنا اللي كنت فاكر إن أنا بحبها وفاكر إن هى بتموت فيا! طلعنا مجرد أشخاص عاديين جداً بنقول مجرد كلمة ومش حاسين بيها لمجرد لحظة حلوة بتجمعنا، ده أنا بعد اللي قولتيه ليا إكتشفت إن أنا مراهق لسه بس تفتكري إن مُمكن شخص يحب واحدة أكتر من اللي خلقها !

– ياسر لما حبها، ماكنش شايف غيرها، كان مديها حقها أوي وزيادة ونسي نفسه ودخل في دوامة الفراق بطريقة غريبة ودرامية جداً.

– طب مين اللي طلعله لما تاه والعربية عطلت بيه؟

– معرفش مين الشخص اللي ظهرله بس بنسمع إن المنطقة دي مسكونة جن وعفاريت بس الغريب إن اللي ظهرله لا خوفه ولا عمله حاجة بالعكس ده وضح الصورة وفهمه حاجات هو ماكنش واخد باله منها..

– أنتي كنتي تعرفي غدير !

– أه، بس ماكنتش أعرف الحكاية بتاعتهم غير لما شافوا بعض في الكلية.

– كانت حلوة؟

– تعرف غدير دي كانت أحلى مُعيدة في الكلية وكل اللي كان يشوفها كان بيفتكرها طالبة وكانت أجمل من ميادة بس ياسر لما حب مياده شافها من جواها، شاف روحها مابصش لشكلها ومن حبه فيها شافها أجمل واحدة في الدنيا..

– أنا نفسي في واحدة تحبني كده !

– في بنات كتير نفسها نفس أمنيتك بس لسه الوقت مجاش عشان تعرفوا بعض واللي حصل لياسر عمله كتير أوي، يلا ننام عشان مش قادرة أقعد أكتر من كده وبكرا هكملك..

إستيقظت من النوم على هاتف الساعة السابعه صباحاً، أمسكت بالهاتف وقلت:

– مين؟

– هو حضرتك مش مسجلة رقمي ؟

نظرت للهاتف لأقرأ الاسم "يوسف المخرج"..

– أحم، لأ بس لسه صاحيه من النوم ومابصتش على الرقم ..

– طب عموماً أنا كنت محتاج الشرايط .

– في حاجة جديدة ولا إيه ؟

– لأ، محتاج بس أسمع الممثلين الشرايط يمكن يقدروا يعيشوا الحالة أكتر !

– طيب أنا هعدي عليك بعد بكرا وهما معايا عشان ورايا شغل ومش فاضية اليومين دول يعني ..

– خلاص إتفقنا، هستناكي بعد بكرا في مكتب المنتج..

إتجهت الي حمامي ثم خرجت لأيقظ طارق وجدته مستيقظ فقال لي:

– أنا معرفتش أنام إمبارح من كتر التفكير لدرجة إني أتصلت بيها وقولتلها أنتي بتحبيني قد إيه؟ قالتلي قد روحي، قولتلها مش كفاية وأتكلمنا شويه وقفلت معاها وعمال أنام وأصحى بسبب اللي سمعته منك.

– بص يا طارق حبها بس بصدق بلاش المشاعر الكدابة، مشاعر اللحظة الحلوة عشان دي مشاعر مؤقتة بتختفي أول ما اليوم ينتهي ويجي غيره ..

– طب أنتي إزاي وافقتي على ياسر ؟

إبتسمت وقلتله: أنا موافقتش على ياسر، أنا اللي إتقدمت لياسر..

– إيه؟ إزاي!

– لما ياسر رجع وعاش حياته فكرت بيني وبين نفسي، كل ما بطلبه بلاقيه ودايماً واقف جنبي، طلعته من بره دائرة إبن خالتي وفضلت أفكر فيه وفضلت أحب فيه أكتر من 5 شهور وهو مايعرفش وفاكر إن كل الكلام الحلو اللي بقولوا ليه عشان بنت خالته مش أكتر، لحد ما في يوم قولتله، ياسر أنا قررت أتجوز..

– تتجوزي؟ إزاي مين ده !

– أنت..

– بطلي هزار..

– أنا حبيتك يا ياسر بجد، ومش هلاقي حد زيك يحبني ومش بطلب منك تحبني زي ميادة خالص، أنا عارفه إنك مُمكن تكون بتحبها بس أنا حبيتك ومتسألنيش إزاي، أنا عارفه إن أنا جرئية وأنت مستغرب من كلامي بس فعلاً أنا مش هلاقي زيك !

– يا جيهان الموضوع مش كده بس أنتي هتتعبي معايا لإنك هتحسي إن أنا مش بحبك عشان مقتنعه إن مفيش حد بعد ميادة !

– طب اعملك إيه، مش مهم تحبني بس أنا مش عاوزه اخسرك ..

– عارفه، أنا محرج منك أوي ومش عارف اقولك إيه !

بعد فتره حاولت بكل ما أستطيع أن أقترب منه أكثر وهو كان يلاحظ من طريقتي وأسلوبي وفي اللحظه الذي ترك نفسه لي إختطفته بين ضلوعي حتى لا يراه أحداً غيري لانه لن يتكرر مثله ابداً..

– طب وأحمد فراج فين؟

– ياسر قالي إنه أتجوز واحدة مغربية وعايش حياته وكمان ياسين أشترى شقة في إسكندرية وأتجوز ..

– طب وياسر قدر إنه يتأقلم على الموضوع !

– روح أسأله ..

– اروح اسأله إزاي يعني ؟

– في يوم وإحنا راجعين قالي خديني في حضنك وأخدته في حضني جسمه كان بردان أوي ومتلج حاولت أضمه أكتر لجسمي وألعبله في شعره ونمنا إحنا الإتنين لما صحيت من النوم بقوله قوم ؟! مردش عليا، مات في حضني ..

كنت جالسه على الكرسي أمام غرفته التي نائم فيه وهو جسد بلا روح وأمه وأبيه يبكون عليه قبل مراسم الدفن في لحظه أختلت عقارب الساعه و توقف الزمن وأنا مستيقظه وجدت ميادة تدخل من باب البيت مع رجلاً تخيل لي أني قد رأيته ولكن لم أعرف أين؟ ثم دخلت الي غرفة ياسر، وجدتها تيقظ ياسر وتمسكه من يده وخرجوا من باب الغرفه متجهين الي باب البيت ثم توقفوا ونظر لي ياسر وهو مبتسم ثم أختفى..

ظل معي من 2007 لـ 2012

5 سنوات رأيت في كل يوم منهم السعادة وانا مع ياسر ولم أشعر بالوحده ليوماً واحد وهو بجانبي بعد وفاة أمي بدأ يعاملني كـ أبنه له وزوجه له وكأنني كل شئ في حياته وبعد إدراكي بأنني لن أنجب أطفالاً لم يجعلني أشعر بأنه حزين بسبب عدم إنجابي للأطفال، كان من أكثر الناس الذيين يتعاملون ببساطه وكأن ما حدث له علمه الكثير في حياته وأنا أدركت ايضاً ان الحياه "قسمة ونصيب" كنا دائماً منذ الصغر نلعب سوياً ونضحك ونتشاجر وأتعامل معه كأخ لي ودائماً كنت أقول بأنني لن أتزوج ياسر كيف لي أن أتزوج أخي؟ ولكن كما قلت الحياة "قسمة ونصيب" ونحن لا نعلم ماذا سيحدث غداً..

– طب وأنتي عرفتي منين كل التفاصيل دي ؟

– ياسر كان كل فترة يدخل الأوضه ويقفل على نفسه الباب، لما مات لقيته حاطت مجموعة شرايط بالظبط 13 شريط في علبة وفوقهم ظرف فيه رسالتين، كل شريط كان بيسجله بيكتب عليه اسم اللحظة ومكانها والرسالتين أنت قريت

منهم واحدة والتانية دي كانت الرسالة اللي جون أدهاله لما كان قاعد جنبه على قبر ميادة..

– أنا محتاج أسمع الشرايط دي ؟

– هتسمعها بس المخرج عاوزاها هيأخدها وبعدها خدها أنت..

أول عرض للفيلم في السينما..

يجلس طارق بجانبي في أول الصف، أنظر لطارق وأرى في عينيه الأعجاب ولكنه لم يعجبني أنا لأن كل أبطال الفيلم مهما حاولوا فلن يستطيعوا أن يظهروا المشاعر الحقيقيه لأنهم أبطال الفيلم أما الأخرين فهم الأبطال الحقيقون..

بعد إنتهاء عرض الفيلم وقف المخرج وطلب أن يقول كلمة لكل الموجودين في السينما أمسك بالمايكرفون ثم قال:

– أنا سعيداً جداً بنجاح الفيلم وأرى في أعينكم جميعاً أن قصة الفيلم قد أثارت أعجابكم وأن هذا الفيلم من أول الأفلام التي تناقش قضيه لم تناقش من قبل وتناقش ايضاً قضايا كثيره ولكن ليس هذا ما اريد قوله، الفيلم ليس من وحي الخيال وهو قصة حقيقيه حدثت بالفعل ولا تزال زوجة البطل على قيد الحياه وموجوده بيننا هنا وقبل ان أختم حديثي معكم أريد ان أقول شئ واحد فقط:

القصه نعم كتبت وتحولت لفيلم وحاولنا أن ندخلكم بداخلها ونجلعكم تشعرون بكل لحظه وبكل التفاصيل الصغيره ولكن للأسف فشلنا بالرغم من نجاحها وأكتساحها لكل الأفلام لأنها ليست مجرد قصه لفيلم بل هي حياه ومما حاول الممثلون أن يدخلو بداخلها فلن يستطيعوا أن يعيشواها مثل ابطالها الحقيقين، نعم نجحنا ولكننا فشلنا..

بعد إنتهاء المخرج من كلمته وقف كل الحاضرون وسقفوا له وأنا وقفت ايضاً أسقف له على أخر كلمه قالها لأن فعلاً الفيلم ليس مجرد قصه لفيلم، رجعت البيت أنا وطارق ثم طلب مني أن يستمع إلي الشرائط.

طارق: أنا لازم أسمعها النهاردة لإن إحساسك مكانش طبيعي بعد الفيلم مع أن الفيلم أثر فيا وفي الكل الا إنتي، بعد إذنك يعني عاوز أسهر عليهم مُمكن ؟

دخلت غرفتي ومعي العلبة التي توجد بها الشرائط ثم أمسك بها طارق وبدأ يستمع لأول فصل في حياة ياسر...

– ماما ماشوفتيش فين ميدالية المفاتيح بتاعتي ؟

– لا والله يا إبني، بُص شوفها كده في الهدوم اللي أخدتها من الأوضة عشان أغسلها هتلاقيها في الحمام !

في اليوم التالي أتى لي غرفتي وهو في دهشة من أمره وقال:

هو الشرايط خلصت على كده؟! وبعدين الرساله اللي قريتها مش لاقي تكملتها في الشرايط !؟

– أه معلش نسيت لسه في شريط و الشريط ده المخرج ماخدوش يسمعه، مش عارفه ليه ماكنتش عايزاه ياخده..

– طيب أنا عاوز الشريط ده .. !

أعطيته الشريط الاخير، أمسك به وظل ينظر له ثم قال:

" استمع الي نصيحتي جيداً لعلك لا تجد من يقولها لك في زمنك وأريد منك أن تدعي لي عند ربي بعد موتي بالرحمه.

حبك الأول لربك ثم أهلك ثم حبيبك وحافظ على حبك لربك يحافظ الله لك على كل شئ تحبه ويفتح له كل الأبواب المغلقه ويسهل لك حياتك حتى تصل لهدفك مع من تحب و راعي الله ولا تحب أحداً اكثر من ربك لأنك ملك له فإقترابك من ربك يقربك من من تحب ..

لقد خضت تجربه علمتني الكثير، احببت أنسانه وجعلتها إله وكانت نتجية فعلي الفراق لأنني نسيت أن لا يوجد غير الله وكل البشر من خلق الله، تعلمت الكثير وتعلمت أن الله لا يترك عبداً لجئ اليه، فأن الخير من عند الله والشر أنت من تفعله بنفسك والله غفوراً، سير في حياتك على قدميك ولا تسير بقلبك وأجعل عقلك مستيقظ لأنه إذا غفل في لحظه تتوه في دوامة الدنيا ولن تجد من ينقذك من البشر ولكن لا تنسى بأن أبواب الله مفتوحه لك في أي وقت ويجب ان تؤمن

بالقدر والنصيب فإيمانك بهم يريحك نفسياً ويجعلك تفهم اشياءً لم تفهمه من قبل. "

لقد نسيت أن أقول شيئاً...

بعد شهوراً قليله افتتحوا فرعاً جديداً للمطعم وطلب جون من الذين كانوا في الصوره بالحضور لأخذ صورة جديده في رأس السنه الجديده مثل ما فعلنا قديماً..

دخلنا الفرع الجديد و وقفنا مثل وقفتنا في الصورة القديمة وتركنا مكان مياده فارغاً اما جون جلس في المنتصف وإلتقطت الصوره وانا أمسك بصورتنا القديمة..

مرت الأيام سريعاً وكبر المطعم أكثر وأفتتح أكثر من فرع بداخل مصر و خارجها في كل أنحاء العالم أصبح اسم المطعم ماركة مسجلة ومعروفة وأكملوا عمال المطعم الأساسين ما أكلمه ابو ميادة و ميادة ولم يذهب تعبهم سدى وعرفت من أحمد أن غدير تزوجت وأعتزلت التدريس وجيهان إتجهت للعمل في الأعلام بالرغم من أنها خريجة هندسه ولكنها أحبت هذا المجال..

أما أحمد ظل كما هو، سافر إنجلترا وأكمل حياته هناك مثل ما كان يفعل ويكلمني من حين لاخر ومازال يحدثني عن مغامراته مع الفتيات الا أن وقع في حب إمرأة مغربيه وأحبها ثم تزوج منها وياسين تزوج الفتاه التي أحببها أما عني أنا فقد رأيت علياء تقف على الطريق لزبائنها وعندما رأتني إبتسمت ثم لوحت لي بيديها فإبتسمت لها وأكملت طريقي، كل شخصيه منهم عاشت حياتها بطريقتها و أستمرت الحياه ولم تتوقف على أحد..

أما أنا حدث معي ما لم أتوقعه ابداً..

- ياسر!! أنت بتعمل إيه! أنت قافل الباب عليك ليه؟!

- لأ ولا حاجة أنا جاي اهو..

دخل طارق غرفتي وقال لي:

- جيهان إنتي كنت بتنادي عليه في أخر الشريط !

- أيوة أنا ..

- اصل استغربت يعني

- هو وقتها كان بيسجل و وقف التسجيل ولما قولتله بتعمل ايه !

كان بيقولي مفيش أصلي كنت براجع الحسابات عشان جايلنا بضاعة جديدة وناوي أكبر المعرض بتاعنا وأفتح فرع جديد فكنت قافل على نفسي، يلا يا طارق شغل الشريط وهسمع معاك ..

طارق شغل الشريط وكمل وأنا بسمع معاه ..

أنا، انسان فاشل، إنتهي مستقبله وإنتهى معه كل شئ، كل الذي تمنيته لم يحدث منه شئ ودائما أعيش لوحدي منعزل عن العالم، لوحدي في كل شئ، من كثرة الاشياء التي أراها في حياتي أصبحت أتأثر بأقل كلمة وبسببها أشعر بأنني اريد ان أبكي ولكن أحاول ان أخفي دموعي حتى لا تظهر أمام أحداً ويظهر معها ضعفي وقلة حيلتي او حتى لا يقل لي احداً "ماذا بك" وأرد عليه الرد الطبيعي "لا شئ" توجد أشياء كثيره دفنت بداخلي، أشياء كانت تتنفس إلي أن غطاها التراب، ضلوعي تكسنها العناكب بخيوطها ورائحه السجائر والخمر بفمي، أنا لم أكن أود أن أكون هذا الشخص، أريد الرجوع الي نفسي ورشدي، أريد أن أنام وأنا مرتاح البال وأعيش حياتي كما كنت، أريد أن أرجع الي نفسي، أحببت انسانه لم أكن اتوقع في يوم بأن حبي سيفوق كل الحدود، حب لها أضاع حياتي، كنت متأكد بأنني أمسكها بيدي جيداً ولكنها إختفت كقطعت الثلج وهي تذوب في يدي الا أن تحولت لماء وسقط الماء من بين يدي وأنا أقف مستسلم، أنا إنسان كان يتمنى أن يتنفس، لا أعلم لمن أكتب هذا الكلام؟ نسيت نفسي وانا أجري وراء قلبي، نسيت الكثير، كان يجب على أن أخذ حذري من كل شئ، نسيت كل من حولي وحاولت جاهداً أن أرضي قلبي فقط أما عن عقلي فهو في أجازة مفتوحة، أنا أخطأت كثيراً في حياتي لكن لن تتعلم إلا أذا أخطأت ثم تعلمت وأستطعت ان أفسر حالتي وما حدث لي ثم تزوجت من إنسانة

أعطتني كل شئ بدون مقابل، هي هدية من الله لي وحاولت أنا أبادلها شعورها وأحقق لها كل ما تتمناه، كنت أشعر في بعض الأوقات أنها لازال الشك بداخلها، يتلاعب بها بأنني ما زلت أحب ميادة، أنا أحب ميادة نعم هي أول حب لي في حياتي لكن تحول الحب لذكرى جميلة أتذكرها ثم أبتسم للذكريات لكن لن تتوقف الحياه بعد وفاتها، لا أنكر بأن لا يزال بدخلي شئ لها والأن أنا أحب جيهان حب الزوج للزوجة وحب الأب للأبنته في الأن أصبحت كل شئ في حياتي واستطاعت أن تحولني لزوج صالح يخاف عليها وأدركت أن الحياه قدر ونصيب لا نعلم ماذا سيحدث غداً، التجربه التي مررت بها في حياتي كان يجب ان أمر بها أولاً حتى أتعلم من أخطاء تجربتي وأستطيع الحفاظ على نصيبي المدون لي في صفحات السماء والأن أنت تقرأ و تستمع لي فعليك أنت أن تختار حياتك فأنت من ستعيشها..

إنتهي الشريط ونظر لي وهو مبتسم ثم قال لي:

– عارفه حكاية غريبه بس الحلو فيها إن ليها ألف معنى وفيها حكم ومواعظ كتير أوي لو ركزنا فيها ومشينا عليها هننجح في حياتنا مش في علاقتنا بس ده في كل حاجة.. فعلاً إحنا مغيبين أوي عن حاجات لازم ناخد بالنا منها، بس هو كان كاتب الكلام ده في رسالة ايه اللي خلاه يسجله تاني؟

– هو سجله عشان يدون بصوته عشان لو حصل حاجه للورق تفضل رسالته موجوده..

– ربنا يرحمة، فعلاً لو كلنا مشينا على الحاجات البسيطة دي حياتنا هتتغير..

تركت طارق وهو مستلق على سريره ينظر الي سقف الغرفة، يفكر في كل شئ سمعه داخل الشرائط ثم أخذت الشرائط ودخلت عرفتي أضعهم في مكانهم، بالصدفه وقعت عيني على صورتنا أنا وياسر، صورة زواجنا، اقتربت منها ونظرت لها وأنا أبتسم، فتحت باب الغرفه متجهة الي شرفة المنزل، ضعت يدي على سور الشرفه ونظرت الي السماء وقلت بإبتسامة :

"ولنا في الوداع لقاء".

Accounts:

Facebook
facebook.com/illusiongods

Twitter
twitter.com/illusiongods

Soundcloud
soundcloud.com/illusiongods